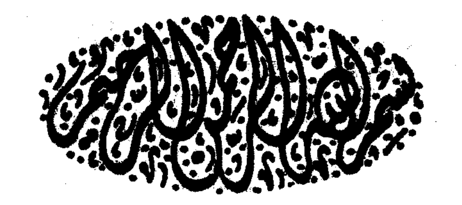

بسم الله الرحمن الرحيم


دراسات
في
القرآن
وعلومه

ولقد عرف الرسول صلوات الله عليه اليهود ، وشافههم أول من عرف وشافه من أهل الكتاب بعد أن هاجر إلى المدينة ، وكانوا على بينة من أمر نبي يُبْعث في آخر الزمان يعرفون صفاته وتتحرك ألسنتهم بسماته ويعلمون أنه الحق من ربهم ، ويتوعدون به وقد حان حينه وتقارب زمانه ، غيرهم من مشركي يثرب ، ولكن الذين ما حفظوا عهود موسى عليه السلام ، والذين جرعوه كئوس الخلاف عن أمره مترعة ، والذين لم يحفظوا التوراة التي استحفظوها فحرفوها حتى أنسوها ووضعوا مكانها من كلام غير الله ما لا تثبت نسبته إلى السماء حجة ، ولا يقوم على ذلك بها دليل . . هؤلاء الذين لم يكن حظ عيسى عليه السلام من أحفادهم أطيب من حظوظ من سبقوه ، كان أحفادهم أمناء على أحقادهم المورثة ومكايدهم لمن عداهم فشعارهم في كل اتجاه « ليس علينا في الأميين سبيل » (١) .

فإنهم يطلقون « الأميين » على كل من ليسوا يهودا ، ويعاملونهم كما يشهد عليهم التلمود وبروتوكولات حكماء صهيون (٢) بأحط ما تعامل به الحيوانات .

وفي باب الهجرة من صحيح الإمام البخارى رحمه الله جـ٢ ص ٢٣٠ طبعة الحلبي القاهرة ١٣٧٢ هـ من حديث أنس بن مالك قال « فلما جاء نبي الله صلى الله عليه وسلم — أى إلى المدينة — جاءه عبد الله بن سلام فقال :

أشهد أنك رسول الله ، وأنك جئت بحق ، وقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم ، واعلمهم وابن أعلمهم ، فادعهم فاسألهم عنى قبل أن يَعلموا أني قد أسلمت ، فانهم إن يَعلموا أني قد أسلمت قالوا في ما ليس في . . فأرسل نبي الله صلى الله عليه وسلم فأقبلوا فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

يا معشر اليهود . ويلكم ، اتقوا الله ، فو الله الذى لا آله الا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقا ، وأني جئتكم بحق ، فأسلموا قالوا : ما نعلمه ، فأعادها صلوات الله عليه ، ثلاثا عليهم ، وهم يجيبونه كذلك ، قال : فأى رجل فيكم عبد الله بن سلام ؟ قالوا : ذاك سيدنا وابن سيدنا ، وأعلمنا وابن اعلمنا ، قال : أفرأيتم إن اسلم ؟ قالوا : حاش لله ، ما كان ليسلم — وكررها ثلاثا وكرروا ما قالوا — قال صلى الله عليه وسلم : يا ابن سلام أخرج عليهم فخرج فقال :

١ ـ ال عمران / ٧٥ وسنتناولها بالبيان بعون الله
٢ ـ التلمود من كتبهم المقدسة والبروتوكولات نشر الاستاذ محمد خليفة التونسي ..

يا معشر اليهود ، اتقوا الله ، فوالله الذى لا آله إلا هو انكم لتعلمون أنه رسول الله ، وأنه جاء بحق ، فقالوا : كذبت ، فأخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم » اهـ

وفي الصحاح كلها روايات أخرى بزيادات تشهد بطبيعة يهود ، واستمساكهم بباطلهم ، ودورانهم حول انفسهم وأنانيتهم وعبادة ذواتهم ، والنظر بعين المَقْتِ لسواهم » ولا أدلّ على ذلك من حوار رسول الله صلوات الله وسلامه عليه لهم ، وحوار الطب الحبير ابن سلام رضى الله عنه ، ذلك الحوار الذى لم يثر فيم مقنعا ولا أدرك من قلوبهم موضعا ، وقد لا يكون قرع منهم مسمعا ، قال تعالى « ولاتكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون » حتّى قال فيهم رب العالمين « إن شر الدواب » الآيتين (١)

والأيام والليالى تؤكد أن الأبناء على هوى الآباء « ولا تلد الحية الا حية » وأنهم في بغيهم وصلفهم وغيهم على قلب رجل واحد ، رجل حاقد واحد — سواء في ذلك أحبارهم ورجال دنياهم وقديما قيل « من التعذيب تهذيب الذيب ، ومن العناء رياضة الهرم » و « شديد عادة منتزعة » إن القوم يملكون اليوم مقاد الاعلام العالمى المجنون ، ويتلاعبون بالأفكار ، ويتوسلون بكل سبيل إلى استثارة الغرائز واستمالة الاغرار ، واشباع أهواء من يحسبونهم قادرين على خدمة أغراضهم في قيادة العالم ، والتصرف في مقدراته كما يشاءون ، ويجامعهم في كثير من عدة المكايد من غير يهود أقوام في نفوسهم كحز المدى على الاسلام والمسلمين ، يدخلون معهم تحت عنوان « أهل الكتاب » ويدني بعضهم الى بعض — إلى حين — فرصة يظنونها تُعين على التمكين من المسلمين ، وبينهم من الخلاف الواغل ما لا يخفى على لبيب ، واصطلاحهم الظاهري على ذلك في هذه الأيام ، كسحابة الصيف وخيال الطيف لا تلبث الأعين أن تبصرها حتّى يدركها الزوال ، « ولتعلمن نبأه بعد حين » (٢) .

وما ينبغي أن تستبد بنا الغفلات ، أو تستهوينا الشعارات أو يخدعنا عن حقائق الأشياء كلامٌ مُنَمَّقٌ تردده كالببغاوات أبواق الشرق ، أو حديث مزوقٌ يرسله في مجتمع الاسلام أقوامٌ هم أصداء للغرب وأفكاره وتصوراته ومطامحه وأطماعه ،

١ ـ سورة الانفال / ٢١ ـ ٢٣
٢ ص / ٨٨

فإن هؤلاء جميعا « هم العدو » (١) الذى ينبغى ان نعرفه ونكشفه في نور الاسلام وضياء الحنيفية السمحة التى يظلمها من يقيسها بغيرها .

إذا أنت فضّلت امرءاً ذا نباهة على ناقص ، كان المديح من النقص . .

ان الرسول قد حاور اليهود وعاهدهم وواثقهم ، وواثق من بعدهم غيرهم ، فهل أجدىَ الحوار ؟ وهل أغنى عن الجهاد الجاد مع يهود بخاصة نُبل النبى وفضله ؟ الجهاد الذى يسترد الحقوق ، وليس منه بحال صراخ الصارخين الذى يُصم الآذان في أماكن وأزمان ، وحين تقرع الحجة الحجة ، ثم لا ينتصف البرهان ، وتفقد الكلمة معناها يكون اباء الرجال متمثلا في القتال ، لا في الهمس والدّس والتآمر في الدروب والأوكار ، هو الطريق الذى يحق الله به حقه وينصر جنده ، ويحمى أقداسه ، ويعزُّ عباده وبلاده

إذا الحرب حلت ساحة القوم اظهرت عيوب رجال يعجبونك في الأمن
وللحرب أقوامٌ يذودون دونها وكم قد ترى من ذى رواءٍ ولا يغنى !

وكنت من اكثر من ثلاثين سنة قد قلت في موقف من مواقف الدعوة إلى الله

إن جرى غيرنا مع الكفر يبغون سوى الأرض دولة في السماء
وتهنّوا بقوةٍ مكنتهم بعض حين من كاهل الضعفاء
واستطالوا بعلمهم وهو منا نهلوه ، وافحشوا في الجزاء
وسعوا سعيهم ونحن نيام نتغنى بعزّة الآباء
أن يكن ذاك شأنهم فعلينا وزر ما كان ، لا على الأعداء

شغلتنا عن الجهاد رءوس نشأوا في مهاد الاستخذاء
لا يرون الجهاد الا كلاما في كلامٍ لا في صفوف الفداء
أى وربي جناية الغرب فينا دونها من رجالنا هؤلاء

وما أهون الكفاح ، وأيسر الجهاد إن كان هو ذلك الذى يضحك الثكالى في أماكن وأزمان ! !

— إن انعام النظر في آيات سورة البقرة يضعنا أمام حشد طاغ من تعنت يهود

---

١ ـ المنافقون /٤

مع الله الذى آتاهم من أنعمه ما لم يؤت أحدا من العالمين ، ومع ملائكة الله الذين هم بأمره تبارك وتعـالى يعملون ، ومع أنبيائهم على النحو الذى سنجلوه مرات — إن شاء الله — ومهما اجتهدنا في ذلك فما نحن ببالغين من بيانه المدى الذى بلغوه .

ولا يخطئُ الصواب من جعل « أهل الكتاب » مرادين في كلام الله عن الكافرين في صدر سورة البقرة فكلامه عن المنافقين « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين » وما وراءها من آيات قرر الله فيها أنه : يستهزئُ بهم عدلاً وقسطاً لاستهزائهم بالمؤمنين ، وآيات ضرب لهم فيها الأمثال على انهم « صم بكم عمى » وأنهم لم ينتفعوا بالحق الذى عرفوه كما لم ينتفع أقوامٌ في المثل الآخر « أو كصيب من السماء . . » الآيتان . . (١) .

و « أهل الكتاب » — هم بنو اسرائيل » « يعقوب عليه السلام « ولا تزر وازرة وزر أخرى » (٢) ويفد عليّ من ذاكرتي مثل الفتى الذى قال لأخيه « لأهجونك » فقال له أخوه كيف تهجوني وأبي أبوك وأمى أملك ؟ فأنشد

أبوك أب حر وأمك حـــرة   وقد يلد الحـــرّان غير نجيب !

وخطاب الله لبنى اسرائيل في عهد سيدنا محمد صلوات الله عليه تذكير وتبصير للأبناء بسوالف هبات الله وإحسانه إلى الآباء .

قال ابن الجوزى « المراد من ذكرها أعني قوله تعالى : « يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم . . »(٣) شكرها ، أى إيجاب شكرها ، فإن من لم يشكر فما ذكر » (٤)

وفي اجماع واع دال لما تكفلت به سورة البقرة من أغراض قال الشيخ رشيد رحمه الله (٥) :

« ثم خص بنى اسرائيل بالدعوة تاليا عليهم ما لم يكن يعلمه محمد لولا وحيه تعالى له ، فذكرهم بنعمه ، وأمرهم أن يؤمنوا بما أنزله على خاتم رسله ، ونهاهم أن يكون المعاصرون له منهم أول كافر به ، وحاجّهم في الدين بتذكيرهم بأيام الله ، وبأهم الوقائع التى كانت لسلفهم مع كليمه ، من كفر وايمان وطاعة وعصيان ثم

١ — الايات الثلاثة عشرة من ٨ — ٢٠
٢ — فاطر / ١٨
٣ — الاية / ٤٠
٤ — زاد السير جـ ١ ص ٧٣
٥ — تفسير المنار ص ١٠٦ ، ١٠٧

بالتذكير لهم وللعرب بهدى جدهم ابراهيم الخليل ، وبنائه لبيت الله الحرام ، مع ولده اسماعيل ، ودعائهما إياه تعالى أن يبعث في الأميين رسولا منهم ، وبأن علماءهم يعرفون ان محمدا هو الرسول الذى دعا به ابراهيم وبشر به موسى — كما يعرفون ابناءهم ، وبأن فريقا منهم يكتمون الحق وهم يعلمون ، أى والفريق الآخر يؤمنون به ، ويعترفون بوعد الله لإبراهيم ثم لموسى بقيام نبي من ابناء إخوتهم مثله » .

ويردف الشيخ رشيد قائلا : « بدئ هذا السياق بالآية ٤٠ من السورة ؟« يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم . . الخ » وانتهى بالآية ١٤٢منها (١) وتخلله بعض الآيات الموجهة للمؤمنين للاعتبار بما فيه من شئون أهل الكتاب السابقين والحاضرين من اليهود بالتفصيل ، ومن النصارى بالإجمال ، إذ لم يكن أحد منهم — أى من النصارى — مجاورا ولا مخالطا للمسلمين في تلك الحال ، فإن نزول البقرة كان في أول عهد الهجرة ، وما تقدم يناهز نصف السورة وهو شطرها الخاص بأمة الدعوة . . . » اهـ .

لكن الشيخ محمد عبده — رحمه الله — يضيف لهذا الكلام الجليل إضافات جزيلة الفائدة نلحقها بهذا الكلام إتماما للموضوع في هذا السياق واجابة على سؤال قد يعرض وهو لم أعطى الله كل هذا الاهتمام لبنى اسرائيل ؟ ! قال الشيخ رشيد (٢) قال شيخنا في سياق درسه ما مثاله »

« اختص بنى اسرائيل بالخطاب اهتماما بهم لأنهم أقدم الشعوب الحاملة للكتب السماوية ، والمؤمنة بالأنبياء المعروفين ، ولأنهم كانوا أشد الناس على المؤمنين (٣) » ولأن في دخولهم في الاسلام من الحجة على النصارى وغيرهم أقوى مما في دخول النصارى من الحجة عليهم ، وهذه النعمة التى أطلقها في التذكير لعظم شأنها هى نعمة جعل النبوة فيهم . . ولذلك كانوا يسمون شعب الله — كما في كتبهم — وفي القرآن ان الله اصطفاهم وفضلهم . . ولا شك ان هذه المنقبة نعمة عظيمة من الله ، منحهم إياها بفضله ورحمته فكانوا بها مفضلين على العالمين من الأمم والشعوب ،

---

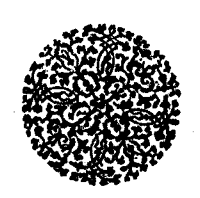
١ — وهي قوله تعالى « سيقول السفهاء . . الخ و وسنعرض لها ان شاء الله عما قليل .

٢ — ج ١ من تفسير المنار ص ٢٨٩وما بعدها

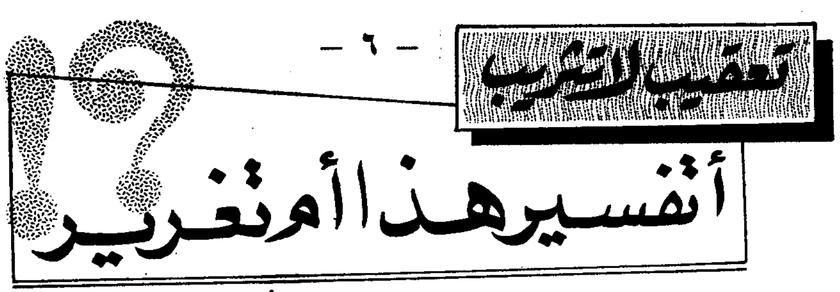
٣ — ان شدتهم على المؤمنين من جهتين : مكايدهم وسوء مكرهم بهم ، والثانية وهي اشد وامعن لانهم عرفوا الحق وعادوه وافتروا عليه الاكاذيب — الكاتب

وكان الواجب عليهم أن يكونوا أكثر الناس لله شكرا ، وأشدهم بنعمته ذكرا ، وذلك بأن يؤمنوا بكل نبي يرسله لهدايتهم ، ولكنهم جعلوا النعمة حجة الاعراض عن الإيمان ، وسبب إيذاء النبى عليه الصلاة والسلام لأنهم زعموا ان فضل الله تعالى محصورٌ فيهم ، وأنه لا يبعث نبياً إلا منهم ، ولذلك بدأ الله تعالى خطابهم بالتذكير بنعمته وقفّى عليه الأمر بالوفاء بعهده » ا ه

وحتى نبلغ هذه الآية ان شاء الله وما بعدها نتساءل : هل تغير إلى الأحسن أهل الكتاب من يهود فحفظوا العهود وانجزوا الوعود ، وانطفأت فيهم جذوة الأنانية ، وصاروا شيئاً آخر غير أصولهم الذين قال الله فيهم « أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم » (١) إلى لقاء .



١ ـ البقرة / ١٠٠



لفضيلة الشيخ محمد المجذوب

(يا أيها الذين آمنوا : اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً . يُصْلحْ لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم،ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) — الاحزاب ٧٠ — ٧١) .

في هذه الكلمات الالهية تخطيط شامل لكل مقومات الحياة السعيدة ، يحدد بها باريُ الكون سبحانه لأحبائه الطريق الأقْوم الذى يوصلهم الى الفوز الأعظم في الدنيا والآخرة .

انها التقوى ، وهى الصورة المثلى لصلاح الباطن ، ثم القول السديد ، الذى هو حصيلة الصدق ، الذى يتلاقى عليه القلب السليم والعقل الحكيم . . فلا جرم ان يكون التزامهما في كل موقف ، وفي كل امر ، مؤديا لصلاح العمل ، وموجبا لمغفرة الذنوب لأنه مظهر الطاعة الصميمة لله ورسوله . . واى فوز من شأنه ان يداني هذا الفوز العظيم ؟ .

ولكن ذلك من العزائم التى لا تتيسر الا لمن اعانه الله فزينه في قلبه ، فهو يحاسب نفسه على النبسة والهمسة خشية ان تشذ عن التقوى ، وتفارق منهج القول السديد .

وانه لمن الآفات المفسدة للعمل أن يستنيم الباحث الى الكسل ، أو يستسلم الى الهوى فيرسل القول على عواهنه دون تحقيق ولا تدقيق ، فيسيءُ الى نفسه بحرمانها أجر المجتهد المسدد ، ويسيءُ الى قارئه بالقائه في عماية لا يتبين فيها السبيل الى الحق .

هذه المعاني كثيراً ما تراودني وانا استمع الى مفكر يريد ان يدعو الناس الى الخير ولكن العجله تصرفه عن التمحيص ، فهو يخلط خبراً صحيحاً في أثر مضطرب . وأكثر من ذلك ما أقع عليه خلال البحوث او المؤلفات من هنات ما كان لها أن تتسلل اليها فتشوهها لو أخـــذ أصحابها انفسهم بالصبر ، فسألوا أهل الذكر ، أو اســـتفسروا المرجع الموثوق لتجنب هاتيك الفتوق .

هذه الأسطر أقدم بها لأكثر من تعقيب ، وكان من حقها أن تسبق الحلقة الماضية كما تتقدم حلقة اليوم ، والحلقة التى تليها ، لأن الاطار الذى يضمهن جميعا واحد ، يعرض لضروب متشابهة من التهاون بحق التدقيق .

حسنات وهفوات :

في الخامس والعشرين من جمادى الأولى لعام ثلاثة وثمانين ، وعقيب فراغى من مطالعة كتاب (الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربي) من عمل الدكتور محمد البهي ، أثبت في آخر صفحة منه تعقيباً مفصلاً ختمته بهذه الكلمة (ان ي هذا الكتاب لعلما غزيرا ، وتحقيقا خطيرا ، ومادة غنية بالخير ، من شأنها أن تساعد على إنشاء الجيل الذى يعي مشكلات أمته ودينه وعالمه ، بشرط ان يصل الى السواد الأعظم من القراء المسلمين في كل مكان . .)

فالدكتور البهي اذن من الكتاب الذين أعجب بهم فأنا أتتبع ما يكتبون ، وأحث طلابي واخواني على مطالعة نتاجهم ، سواء في الكتب أو المجلات ، ومن هنا كان أسفى لما أجده في بعض آثاره المكتوبة أو المسموعة من مفارقات لا تتفق مع ما عهدته من أناته وعمقه ووفرة سداده في مثل كتابه الآنف ذكره . .

لقد فوجئت ببعض هفواته الغريبة ذات يوم ، وانا استمع الى حديث له حول قصة نبي الله لوط في القرآن الكريم ، فسجلتها في مفكرتي على نية أن أكتب اليه بشأنها مستفسرا ، ولكن حالت المشاغل دون ذلك ، ثم عثرت له على مثلها في محاولته تفسير بعض الآي من كتاب الله في مجلة الوعي الاسلامي ، فاستيقظ في نفسى ما كدت أنساه من هفواته الأولى ، على أن أعباء العمل عادت فحالت دون ذلك ، حتى وقفت اليوم من آثاره على كتيبه المسمى (تفسير سورة الجن) فلم أجد بدا من التفرغ لتسطير هذا التعقيب

خدمة لكتاب الله ، وغيرة على قلم الدكتور العزيز أن يندفع أكثر في هذا التيار المعرض للأخطار .

افكار غريبة :

ولنقف تعقيبنا اليـــوم على تفسيره (الجنى) فهو يقع في ما دون الخمسين من الصفحات مقسما الى مقدمة وتمهيد ثم التفسير ، ففى المقدمة يعرض منهجه في ما سيليها من البحث ويكاد يلخص في صفحاتها الأربع أفكاره القائمة على إنكار ما أجمع عليه الثقاة من مفسرى الكتاب الكريم في موضوع الجن ، وما ورد من اخبارهم في سورتي الأحقاف والجن ، ليؤكد ما يعتقده من ان الاسلام ، وهو دين الانسان وحده على الأرض ، لا علاقة به للجن ألبتة ، ويختم مقدمته بجملة مشكورة على أولئك المضللين من (رسميين) و (رجال دين) الذين أخذوا على عاتقهم تنفيذ مخططات اعداء الأســلام باخضاع المفهومات الدينية لموحياتهم الشيطانية .

ومن ثم ينتقل الى القسم الثاني حيث ينطلق في تفصيل ما أجملته المقدمة . فيقف صفحاته العشرين على محاولة اقناع القارئ بـــ (اكتشافاته) التى يحسبها تحريرا للعقل المسلم من دوامة الخرافة المفسدة للتصور الصحيح . ومن ثم يخلص الى تفسير السورة الكريمة فلا يخرج عن مضمون المقدمة والتمهيد .

ويمكن تلخيص افكاره بالخطوط التالية : —

١ — أن أبليس واحد من أفراد الملائكة في الجنس ، فهو مثلهم لا نسل له ، ومن ثم لا تكليف عليه ، وانما كان تكليفه يوم صدر الأمر الأعلى بالسجود لآدم ، فجاء تمرده عليه اعلانا لسقوطه في الامتحان .

٢ — ان الملائكة مخلوقون من النار ، وما ثبت في القرآن عن خلق ابليس من النار شامل لهم بوحدة الجنس .

٣ — ان تقـــريره ملائكية ابليس ومـــا يستتبعها من استحالة تناسله قد حداه الى القطع بان الجن الوارد ذكرهم في السورتين لا يخرجون عن كونهم بشرا من أبناء آدم ، ويركّز على معنى الخفاء الذى يميز اسمهم ، فيعتبر كل ساع بالخفاء في أمر ما جانّاً ، بل انه ليرجح (ان هذا الفريق الذى تخفى — عند سماعه القرآن بمكة دون علم رسول الله بهم — هو من يثرب ومن المتأثرين بأفكار يهود بحكم مجاورتهم اياهم . ومن ثم يأتي

إصراره على حصر رسالة محمد (ص) بالبشر وحدهم .

٤ — من هذا التوسع في التأويل الشخصي يمضي الى تفسير اعترافات الجن في قولهم (وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع ، فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) بالاتكاء على الكناية التي يراد بها لازم اللفظ دون حقيقته ، فلا حرس ولا شهب ، وانما هو (الفصل النهائي بين الخرافه وممارستها من جانب ، والحق والواقع من جانب آخر) !

تشويش محير :

وقبل البدء بمناقشة هذه الأفكار أحب أن اذكر القارئ بأن في بعض تعابير المؤلف عند الكلام عن شخصية الجن ، تشويشا يبعث على الحيرة ، اذ يخيل لمطالعه بادئ الأمر أنه مقر بوجود ذلك العالم الخاص المستقل عن عالمَي الملائكة والبشر ، وذلك كقوله ص ٨ من التمهيد (والجن موجود قطعا ، وهم قوى مخلوقة من نار صافية . . وعالم الجن قائم الى يوم البعث ، لا مرية في ذلك .) الا أنه لا يلبث أن يعقب هذا الإقرار بقوله في الصفحة نفسها : (فابليس ملك عصى ربه ، وابليس جان من عالم غير المرئيات . والملائكة من الجن كما هم من النار الصافية . . ويدخل في عالم الجن من يتخفى من عالم الانسان في ايمانه وكفره وفي خيره وشره . . كشياطين الجن فانهم من الانسان . .) ويستمد العون على ذلك من قوله تعالى — في وصف الشيطان وقومه (انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) ويعلل ذلك بقوله (لأن ابليس بحكم طبيعته من عالم الجن . واعوانه بحكم تخفيهم في الشر الحقوا بهذا العالم وأصبحوا شياطين الجن . .)

وفي ظنى أن مرد هذا التشويش الى غموض الفكرة في نفس المؤلف : فهو لا يستطيع تخليصها من الاضطراب الذى نبع عن شعوره هو باهتزازها . على أن المبدأ الذى يريد القطع به على الرغم من كل شيء هو نفى المفهوم المتواتر عن استقلالية الجن ، ولهذا يلح على كون (شياطين الجن هم من الانسان) . وان اضافتهم الى الجن لا تخرج عن كونهم ملحقين بهم بعامل التسلط أو الملك ، كما تقول : هؤلاء حزب فلان وجماعته ، ولا يعنى أبدا أنهم من جنسه وهويته . . على حين يظل متشبثا بما ذهب اليه من ان الوحدة الجنسية انما تشمل ابليس والملائكة بحكم وحدة العنصر النارى ، الذى خلقوا منه جميعا ، وعلى هذا فلن يكون

هناك سوى عالمين أحدهما من النار وهو فريق الملائكة وفيهم ابليس ، والآخر من التراب وهو فريق الآدميين .

ابليس والملائكة :

ونتقل الآن الى مناقشة المؤلف في اساس احكامه . وطبيعى أن تكون مناقشته على ضوء الوحى الذى يلزم المؤمن بالخضوع له . واخضاع رأيه لحكمه ولو صدم ذلك هواه وخيّب مناه .

إن منطلق الدكتور في أفكاره عن استقلالية عالم الجن عائد الى تقديره لمبدأ الخلق ، ونوعية العنصر الذى استُحدِث منه عالم المَلَك والجن .

لقد وقف المؤلف عند قوله تعالى من سورة الكهف : (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا إبليس . .) فلم يستطع أن يتجاوز بالاستثناء حدود الاتصال بين فريقي الملائكة وابليس . كما هو الحال في مثل قول احدنا : جاء الاصدقاء الا سعيدا ، على اعتبار ان سعيدا واحد من جنس الاصدقاء . ونسي المدلول الآخر للاستثناء حين يكون منقطعا في مثل قول القائل جاء القوم الا أمتعتَهم . . وبخاصة عند وجود القرينة المانعة من وحدة الجنس كما هو الشأن في الآية الكريمة ، اذ جاءت القرينة لفظية صريحة في قوله سبحانه (كان من الجن) وهي ضرب من الاطناب الذى يفسره البلاغيون بقصد الاحتراس ، لئلا يلتبس المستثنى منه بالمستثنى . . ثم تأتي القرينة الأخرى التى لا تدع مجالا لإدخال إبليس في زمرة الملائكة . وذلك في التوبيخ المخجل الذى يوجهه الحق تبارك اسمه الى المغفلين من ابناء آدم الذين رضوا لأنفسهم بمشايعة ابليس على الرغم من رفضه المشاركة في تكريم أبيهم الأول ، واعلانه الحرب على نسله الى يوم الدين (أفتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهو لكم عدو ؟!) ففى نسبة الذرية لابليس مقنع كاف لاعتباره جنسا آخر لا يمت الى عالم الملائكة بأى صلة . . اذ لا خلاف على ان التناسل موقوف على غيرهم من عوالم الأحياء الأخرى . ولكن المؤلف هداه الله بدلا من الأخذ بالمدلول العفوى للقرينتين ، عمد الى تكلف التأويل ، فراح يبذل المستحيل لاقناع قرائه بأن المراد بذرية ابليس هم أعوانه من أبناء آدم . ناسيا أن اضافة الذرية الى مخلوق ما لم ترد في الكتاب الحكيم ولا في كلام العرب على ما نعلم الا على وجه الحقيقة . وانما يقع المجاز في ما عداها من الألفاظ ، كالابن والاخ والأب وما اليها ،

ولذلك وبدافع من اصراره على أساس نظريته في ملائكية ابليس يتخذ من لفظ الذرية دعامة لرأيه ، فيعتبرها من البراهين القواطع على صحة ما ذهب اليه من بشرية الجن ، لأن ابليس ملاك ، والملاك لا ينسل ، فلم يبق من مفهوم لتلك الذرية اذن سوى القرار الذى اتخذه في شأنها . وهو أنهم جنوده العاملون في الخفاء من نسل عدوه الذى كرمه الله عليه !

متاهات اسرائيلية :

والقارئ الذى يفاجأ بمثل هذه التأويلات المتعسفة لابد سائل نفسه عما اذا كان ثمة من سابقة لها في عالم التفسير . أم أنها من مكتشفات المؤلف التى لم يسبق اليها ؟ . . فإذا ما راح يستقصى الخبر عثر على تلك الروايات المنسوبة الى ابن عباس (رضى) وخلاصتها أن إبليس من قبيلة من الملائكة اسمها الجن . عصى الله فمسخه شيطانا . وفي رواية أخرى عنه أنه كان من الجنانين. وكأنه في هذه الرواية ينفى عنه هوية الملائكة بجعله من العاملين في خدمة الجنة. ولئن خدع بظاهر هذه الروايات من أراح نفسه من تحقيقها فمضى يشيد عليها قصور الوهم ، ان هناك من تنبه لما فيها من الدخن فلم تفته ملاحظة لونها الاسرائيلى ، وهوماعقب به عليها الحافظ بن كثير حين اردفها بقوله (وغالبها من الاسرائيليات التى تنقل لينظر فيها . . ومنها ما قد يقطع بكذبه لمخالفته الحق الذى بأيدينا . وفي القرآن غنية عن كل ما عداه من الاخبار المتقدمة لانهالا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان، ولم يتيسر لها من ينفى عنها تحريف الغالين . وانتحال المبطلين كما قيض لهذه الامة (١) وهكذا يردنا هذا الحافظ المحقق الى منطق القرآن الذي لا يأتيه الباطل ، بدلا من الضرب في متاهات المخرفين المحرفين الذين لا يؤمنون على علم ولا دين ، والذين فتحنا لهم عقولنا حتى استعمروها بكاذب الأخبار كما استعمروا مقدساتنا بالحديد والنار .

ولا جرم أن مجرد الوقوف عند حدود الوحي من قرآن وسنة صحيحة عاصم من كل تشويش واضطراب وقائد الى الحق الذي لا مرية فيه ولا مراء . . وهو في موضوع ابليس وذريته بارز الخطوط لا معدى عنه لناشد الحقيقة. فابليس — كما قال الحسن البصرى — (ما كان من الملائكة طرفة عين قط — وانه لأصل الجن. كما أن آدم عليه السلام

١ — انظر ابن كثير — ج ١ تفسير الاية ٣٤من سورة البقرة و ج ١٤ تفسير الاية ٥٠ من سورة الكهف .

أصل البشر) (١) وليست ذريته سوى الشياطين — كما يقول مجاهد — (٢)

بحث لغوى :

ولعل من الخير التذكير بما بين لفظي (الجن) و (الشيطان) من فروق لغوية دقيقة . ذلك أن الأول يدل على الجنس المخلوق من النار ، في مقابل البشر المخلوقين من التراب ، كما ورد في سورة الرحمن (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان) وفي سورة (الناس) عند ذكر (الوسواس الخناس الذى يوسوس في صدور الناس . من الجنة والناس) فهناك موسوسون نزاعون للفساد امارون به بعضهم من الجنه ، وبعضهم من الناس فلا وحدة بينهما ، ولا صلة خارج نطاق التعاون على الشر ، على حين تتسع كلمة (الشيطان) حتى تشمل كل شرير من الجنسين وغيرهما . ومن ذلك قوله تعالى في سورة الانعام (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الجن والانس) . وفي الحديث (الكلب الاسود شيطان)(٣) بمعنى أنه مؤذ شرير ، ووصف الابل بأنها (من الشياطين) (٤) لكبر خطرها عند الهياج . .

ويقول جرير في وصف طفولته :

وكن يدعونني الشيطان في صغري
وكن يهوينني اذ كنت شيطانا

ولا يزال الناس يسمون الصغير الكثير النشاط والمزعج شيطانا .

وعند التأمل في مورد التعبير القرآني (شياطين الانس والجن) . نلاحظ هذه الخاصة اللغوية في دلالة (الشيطنة) على طبيعة الافساد . كما نلاحظ اشتراك الوصف بين جنسين مختلفين من حيث الهوية عن طريق العطف المتغاير ، الذى يقطع باستقلال كل من الجنسين في عنصره وهويته . . وقد أحسن المؤلف عندما جعل من شياطين الانس (الكبراء أو الزعماء الذين يصدون عن سبيل الله علنا وفي غير خجل . .) وألحق بهم رجال الدين الذين يحترفون بدينهم خدمة للشيطان) . . وحين جعل من ذرائعهم لهذه الخدمة (وسائل الاعلام المختلفة ، وضروب القوة المتنوعة في الارهاب والتخويف (٥) .

---

١ — المرجع نفسه ص ٣٩٦ ط (دارالفكر) بيروت
٢ — انظر تفسير مجاهد ص ٣٧٧ طقطر
٣ — اخرجه مسلم عن ابى ذر
٤ — لابى داود
٥ — الكتيب ص ١٧ و ١٨

أحكام عَجْلى :

الا انه لا يرضى الا ان يعمم حكمه فيشمل شياطين الجن ، اذ يكرر ويلح على كونهم (من البشر تخفوا ويتخفون في مباشرة الشر للناس) فكلا الفريقين عنده من ذرية آدم الا أن احدهما ينشر فساده علانية وبالقوة ويعمد الثاني الى الدهاليز المظلمة ، يدس من خلالها سمومه المضلة . وانسياقا مع هذا الاتجاه يضطر الى تأويل ما أورده الله على لسان الجن في قوله عز من قائل (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديداً وشهبا) بأنه كما اسلفنا — كناية عن انهاء عهد الخرافة بعد نزول القرآن (اذ بعد نزوله لا يمكن ان يكون للخرافة وضع في البشرية ، كما لا يمكن ان تكون هناك طبقة كطبقة الكهان تحترف بالعقيدة وتملي على الناس بدعوى علم الغيب (١) .

وعلى رأيه هذا فلا مقاعد للسمع ، ولا تَسَمع لأنباء السماء ، بل هى الكناية التى تتسع لكل تأويل ، ما دام الموضوع متعلقا بهذا المخلوق الذى سُمِيّ بالجن من ذرية آدم ، فراح يزعم للمخدوعين به أنه ينقل اليهم أخبار السماء كذبا وزورا . . واذن فلا سبيل ايضا لقبول فكرة (القرين) الموسوس في الصدور ، لانها تجعل الناس يعيشون في ظلام الاوهام وترقّب ما لا يقع في الحياة أبدا (٢) وفي ظنى ان قليلا من التأمل في واقع الحياة البشرية كان كافيا لاقناع الدكتور بالإقلاع عن هذه الاحكام العجلى ، فليس ثمة مكان من هذه الأرض خاليا من أولئك الدجاجلة الذين يبشرنا بانتهاء عهدهم . والقرآن العظيم في عرضه لاخبار ذلك النفر من الجن ، وحوارهم حول التغيرات الفلكية التى واجهتهم بعد البعثة النبوية ، لا يتنبأ بزوال تلك المحاولات الشيطانية ، بل يعلمنا فقط بأنه تعالى قد حجز الشياطين عن استراق السمع ، الذى يمكنهم من تلقف بعض الآي من القرآن لئلا ينقلوها الى وسطائهم فيختلط الأمر على الخلق حتى لا يفرقوا بين أخبار الكهنة وبلاغات النبوة (٣) وأي دلالة على هذه الحقيقة أوضح من الذي يتحدث عن محاولات هؤلاء الشياطين حتى يقول : (فما جاءوا به على وجهه فهو حق ، ولكنهم يقذفون

---

١ ـ الكتيب ٢١ و ٢٢
٢ ـ الكتيب ص ٢٢
٣ ـ انظر تفسير ابن كثير لسورة الجن

فيه ويزيدون (١) وذلك هو الإفك الذى يشير اليه قوله تعالى في سورة الشعراء : (هل أنبئكم على من تَنَزَّلُ الشياطين . . تنزل على كل أفاك أثيم . يلقون السمعَ وأكثرهُم كاذبون) وكذلك وصفه عزَّ شأنه لآكل الربا (كالذى يتخبطه الشيطان من المس ٢٧٥/٢) هذا الوصف الذى حاول بعض المُحدَثين صرفَه عن حقيقته ، فأبى الله الا أن يؤكده بما يلمسه الناس اليوم في (مناجاة الأرورح) وبما شهد ويشهده المتتبعون من تلبس الشياطين بعضَ الناس ، حتى ليسمعون أصواتَ الجانّ من خلال أفواه ضحاياهم . ثم لا ينزعون عن هؤلاء المساكين الا تحت ضغط العزائم المشروعة ، التى كثيرا ما تنتهى بإحراق الشيطان وتصاعد دخانه رأي العين (٢) .

أما موضوع القرين فان إنكاره إنكار لصريح القرآن الذى يقول : (ومن يعشُ عن ذكر الرحمن نُقَيِّضْ له شيطاناً فهو له قرين ٣٦/٤٣) ولصحيح الحديث الذي فصَّلَ مجملَ الآية بقوله صلوات الله وسلامه عليه : ما منكم من أحد الا وقد وُكِل به قرينُه من الجن . قالواً : واياك يا رسولَ الله ؟ . . قال واياي الا ان الله قد أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني الا بخير (٣) .

ثم اي ذى حافظة سليمة يتذكر تجاربه الخاصة مع قرينه الخبيث وهو يوسوس اليه بزخرف القول تزييناً لمقبحة أو إغراء بمفسدة ، ثم لا يردد في خشوع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم (٤)

الايمان بالغيب :

ويتساءل الدكتور أصلحنا الله واياه : عن الفائدة من ايمان الجن برسول الله (ص) ما دام ذلك لا يشكل حجة على مشركي مكة . . وبالتالى لا يتصل بموضوع الإعجاز القرآني (٥) وبقليل من التفكير ايضا يتبين المتأمل في سياق الآي النازلة في هذا الأمر انها ليست في معرض الحجاج ولا الإعجاز ، وانما هى تعزية لقلب رسول الله (ص) الذى يؤلمه إعراض قومه عن هدايته ،

---

١ ـ مسلم والترمذى
٢ ـ سنعرض لبعض هذه الوقائع مدعومـةبشهادات النقاب فى مقال تال ان شاء الله
٣ ـ اخرجه مسلم
٤ ـ متفق عليه
٥ ـ الكتيب ص ٢٥

فيأتي الوحى ليسرِى عنه بنبأ تصديق الجن به . هذا الى ان في هذا الايمان فائدة كبيرة لنا ، اذ ان انضمام أي مخلوق الى صف المؤمنين انما هو قوة لهم ، وإضعاف لأعدائهم ، ثم يبقى ما في قبول الخبر الآلهي عن ذلك من تحقيق لصفة التصديق بأنباء الوحي عن الغيب ، الذي هو أحد المعالم الفارقة بين الكفر والايمان . .

ويحق لنا ان نقابل تساؤله بمثله فنقول : أي فائدة للمسلمين وغيرهم في رفضك ما أجمع عليه أهل العلم بالقرآن ، منذ الصدر الأول الى يوم الناس هذا ، عن ايمان بوجود عالم الجن مستقلا بعنصره وخَلقه ومميزاته ؟ وهل بلغتَ من العلم حد الإحاطةِ بكل مغيَّب حتى يسوغ لك إنكار ما لم تره . . ودعوة القراء الى مشاركتك في هذا الإنكار ؟

لقد تلقت أمة محمد (ص) خبر الجن بالتصديق المطلق ، ايمانا بشهادة الله الذي يقول انه خلق الانسان من صلصال كالفخار ، وخلق الجان من مارج من نار ، وايماناً بشهادة رسوله الذى يقول : (خُلِقتِ الملائكةُ من نور ، وخُلِق إبليس من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم (١) أفتريدنا على ان ندع هذه الوثائق الالهية لنأخذ بدعوى لايسندها الا الظن وما تهوى الأنفس !.

بين الوهم واليقين :

واذا نحن مضينا معك في متاهات التأويل على هذا النحو فما الذى يعصمنا من ألاعيب الباطنية ، التى تخلق لكل حقيقة قرآنية تفسيراً يدعم أخيلتها ، ومن أضاليل الطرقيين الذين يفصلون بين الحقيقة والشريعة ، ومن مخارق القاديانية والبهائية اللتين تسفهان فهم السلف لكل حقائق الوحي . . بل ما الذى يحول حينئذ بيننا وبين التسليم لأضاليل المهداوي الذى زعم في محكمته التاريخية أن الشيطان ليس شيئاً سوى نزغات النفس الناشئة في ظل الإقطاع ؟ . أو لمهازل ذلك الحاكم الذى ساقه الغرور اخيرا الى رفض الخبر الإلهي عن نومة أهل الكهف ، وراح يزعم ان رسول الله يدعو الناس الى عبادته لأنه يبلغهم أمر الله بالصلاة عليه ! وقد فات هذا المسكين أنه بدعواه هذه يكشف عن جهله بلغة العرب ، وبالتالى يفضح عجزه العقلى والبصري عن التطلع الى أنوار القرآن .

أجل . . أيها الدكتور الفاضل . . اننا

---

١ ـ صحيح مسلم عن عائشة (رض)

وهذه الحقائق لم تفت بعض الدارسين من عقلاء علماء أوربا . فهذا العالم الانجليزى : يورك يقول : « والقرآن الكريم بالإضافة إلى كونه من أجمل الروائع الأدبية في العالم كله . . دستور كامل من القوانين الاخلاقية والمدنية والعسكرية والاجتماعية . . وهو دستور يضبط سلوك المسلمين الذين يجب أن تكون جميع أفعالهم بمقتضى تعاليم القرآن الكريم . . أما كون المسلمين يعتبرون أن قوانين القرآن ثابتة ومعصومة عن الخطأ . فيتضح من الحقيقة القائلة بأنه بالرغم من انقضاء ثلاثة عشر قرنا « أربعة عشر قرنا » على نزول القرآن الكريم فإنه لم يتعرض لاقل تغيير أو تبديل ، وبأن كل كلمة من كلماته وكل حركة من حركاته قد بقيت كما خرجت من بين شفتى رسول الله ، وسيبقى هكذا دون أى تبديل أو تحريف . القرآن الكريم خالص من التدخل الإنساني . وهذه حقيقة لا يمكن أن تقال لا كليا ولا جزئيا عن سائر الكتب المقدسة للأديان الأخرى » (١)

والمسلمون جميعا على تباين أقطارهم ، وتباعد ديارهم ، يرجعون إلى القرآن الكريم ، لأنه المنهاج الأمثل ، الذى ارتضاه الله للإنسانية ، وقد اشتمل القرآن والسنة ، على العقائد ، والعبادات والمعاملات ، والحقوق الشخصية . . وثروة القرأن لا تقف عند حد الاعتقاد الصحيح وتوحيد الخالق ، بل تزيد عليه تهذيب السلوك ، وتربية العقل والوجدان وتصحيح المعاملات وتطبيق قواعد العدل . .

وقد احتوى القرآن الكريم ، على أنواع من الأعمال التى كلف بها المسلمون كالعبادات المحضة ، والمالية والبدنية ، والاجتماعية وهى : الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج . . وقد اعتبرت هذه العبادات بعد الإيمان بالله أساس الاسلام . عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والحج وصوم رمضان »٢

ومن الأعمال التشريعية التى أتي بها القرآن الكريم : تشريعات تأمين الدعوة ، وتنظيم الجهاد في سبيل الله ، وما يتعلق

---

١ ـ انظر : الثقافة الاسلامية من بعض زواياها ص ٦٩ طبع كراتشى « مجموعة بحوث نشرتها الامانة العامة لمؤتمر العالم الاسلامي » ..

٢ ـ انظر : التاج الجامع للاصول . الجزء الاول ص ١٤ . رواه البخارى ومسلم ..

بأسرى الحرب ، وتشريعات الأسرى وما يتعلق بالزواج والطلاق والأنساب والمواريث ، وسائر الأحوال الشخصية ، وتشريعات العهود والمواثيق ، والعلاقات الاقتصادية والمادية .. بين أفراد المجتمع من بيع وإجارة ورهن ، وغير ذلك مما يندرج تحت باب المعاملات المباحة والمحرمة ، ثم التشريعات الخاصة بتوقيع الجزاءات والعقوبات على الجرائم كالقصاص في القتل ، وحد الزاني ، وحد القاذف ، وحد السارق ، وحد قاطع الطريق (١) .

وما دام الأمر كذلك .. فإن الله سبحانه وتعالى ، يدعو المسلمين إلى الأخذ بما في القرآن الكريم . فهو إلى جانب ما له من فوائد تجل عن الحصر ، من أكبر عوامل توحيد المسلمين ، وجمع كلمتهم ، ولم شملهم .. قال تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا .. » (٢) وحبل الله كما جاء في الحديث عن ابن مسعود ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال « حبل الله هو القرآن » ..

وروى ابن أبي شيبة وابن جرير عن أبي سعيد الخدرى مرفوعا : « كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض » ..

وجاء في تفسير المنار : أن العبارة تمثيلية شبهت فيها حالة المسلمين في اهتدائهم بكتاب الله ، أو في اجتماعهم وتعاضدهم وتكاتفهم ، بحالة استمساك المتدلى من مكان عال بحبل متين ، يأمن معه السقوط .. والمختار : هو ما ورد في الحديث المرفوع من تفسير حبل الله بكتابه . ومن اعتصم به كان أخذاً بالاسلام ..

ولا يظهر تفسيره بالجماعة والاجتماع وإنما الاجتماع هو نفس الاعتصام فهو يوجب علينا أن نجعل اجتماعنا ووحدتنا بكتابه . عليه نجتمع ، وبه نتحد . لا بجنسيات نتبعها ، ولا بمذاهب نبتدعها ، ولا بمواضعات نضعها ، ولا بسياسات نخترعها .. (٣)

فالله سبحانه وتعالى أوجب علينا التمسك بكتابه وسنة نبيه ، والرجوع إليهما عند الاختلاف . وأمرنا بالاجتماع على الاعتصام بالكتاب والسنة ، اعتقاداً وعملاً . وذلك سبب اتفاق الكلمة ، وانتظام الشتات ، الذى تم

---

١ ـ انظر : اطوار الثقافة والفكر . للاستاذ علي الجندى واخرين . ص ٣٣٧ طبع الانجلومصرية
٢ ـ سورة ال عمران . الاية رقم ١٠٣ ..
٣ ـ انظر : تفسير المنار . الجزء الرابع . ص ٢٠ الطبعة الاولي ..

به مصالح الدين والدنيا ، والسلامة من الاختلاف . وأمر بالاجتماع ، ونهى عن الافتراق الذى حصل لأهل الكتابين . . (١)

وهناك آيات كثيرة . . تبين أن القرآن . هدى . . ونور . . وبرهان . . وشفاء . . ومن هذا قوله تعالى : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » (٢) .

والمراد بالنور هنا ثلاثة أقوال :
أحدها : أنه النبي صلى الله عليه وسلم . . ثانيها : إنه الإسلام . . ثالثها : إنه القرآن . .

والمراد بالكتاب المبين . القرأن . . ولولا عطفه على النور . لما فسروا النور إلا به . فإن الأصل في العطف أن يكون المعطوف غير المعطوف عليه ، ولكن العطف قد يرد للتفسير . . وهو الذى اختاره هنا لتوافق هذه الأية وما بعدها « يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نور مبينا » (٣) .

والقرأن هو القاعدة الروحية التى تنطلق منها الإمدادات الألهية والومضات السماوية . . ولهذا صار قوة فاعلة ومؤثرة ، بل إن فاعليته شملت حياة الأفراد والجماعات من جميع الجوانب . وإذا كان الإنسان ذلك الكائن الحى المكلف لا وجود له ، ولا حياة ، بغير الروح والقلب والعقل . . فإن المسلمين لا كيان لهم ، ولا حياة ، ولا شخصية . . بغير القرآن فهو لهم الروح والعقل والقلب ، وهو لهم الضياء والغذاء والشفاء . تنشده الأمة فتجد فيه مبتغاها من التشريعات الفردية والعلائق الأسرية ،والمعاملات الاقتصادية والقوانين المدنية والأنظمة الدولية . .
وبعبارة أدق وأوجز . . تجد فيه الأمة كل ما تحتاج إليه في حياتها العامة والخاصة والدين والدنيا . .

ولقد اشتمل القرآن الكريم على ستة ألاف ومائتين وستة وثلاثين آية . . احتوت جملة وتفصيلا على العبادات والعقائد والتكاليف والأصول والأحكام والأصـــول ، والأحكام والمعاملات وعلاقات الامم والشعوب ، في السلم والحرب ، وسياسة الحكم ، وإقامة

---

١ ـ راجع : تفسير القران . للقرطبي . الجزء الرابع ص ١٥٩ ..
٢ ـ سورة المائدة . الايتان ١٥ ، ١٦ ..
٣ ـ انظر : تفسير المنار للشيخ رشيد رضا . الجزء السادس ص ٤٠٣

العدل ، والعدالة الاجتماعية ، والتضامن الاجتماعي ، وكل ما يتصل ببناء المجتمع ، ورسم شخصية المسلم الكامل خلقا وأدبا وعلما . .

ومن الأيات سبعمائة وخمسون آية كونية وعلمية ، احتوت أصولا وحقائق تتصل بعلوم الفلك والطبيعة ، وما وراء الطبيعة والاحياء والنبات ، والحيوان ، وطبقات الأرض ، والأجنة ، والوراثة والصحة والصحة الوقائية ، والتعدين ، والصناعة ، والمال ، والاقتصاد ، وغير ذلك من المواعـــظ والأمثال والقصص ، وشتى أمور الدين والدنيا . . مما كان محلاًّ للدراسة والاستنتاج والتأصيل والبحث والتنقيب ، وكان أساساً لعلوم الفقه والتفسير ، والحديث والأصول ، والأخلاق ، والاجتماع والبلاغة والأدب ، والطب واللغة ، والنحو ، والهندسة ، والرياضيات ، والطبيعة والكيمياء ، وســـائر أنواع الفنون التي أزدهرت في ظل الحضارة الإسلامية . .

وفي القرآن الكريم كثير من الحقائق العلمية الكونية ، والنواميس الطبيعية . جاءت في معرض الاستدلال على قدرة الله ووحدانيته ومن هذا قوله تعالى : « وجعلنا من الماء كل شيء . . » (١)

وكذلك يخبر القرأن عن وقائع ماضية طمست الدهور معالمها ، وليس لأحد علم بها . . قال تعالى : « تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا » (٢)

ويخبر أيضا عن وقائع مستقبلة لم تكن وقعت حين نزوله ، ومن هذا قوله تعالى : « غلبت الروم في أدني الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد » (٣) وأن الباحث في القرأن بصدق ، وإنعام نظر . . يلاحظ أن آيات القرآن الكريم ، قد اتسقت على كثرتها ، واتفقت المبادئ والأصول ، في كل الموضوعات على تعددها وتنوعها . قال تعالى : « أفلا يتدبرون القرآن » ؟ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (٤)

والتناسق المطلق الشامل الكامل ، هو الظاهرة التي لا يخطئها من يتدبر هذا القرأن أبداً ، ومستوياتها ومجالاتها ، مما تختلف العقول والأجيال في إدراك

١ ـ سورة الانبياء ٠ الاية رقم ٣٠
٢ ـ سورة هود ٠ الاية رقم ٤٩
٣ ـ سورة الروم ٠ الايات ٢ ، ٣ ، ٤ ٠٠
٤ ـ سورة النساء ٠ الاية رقم ٨٢ ٠٠

مداها . ولكن كل عقل وكل جيل يجد منها بحسب قدرته وثقافته وتجربته وتقواه ، ما يملك إدراكه ، في محيط يتكيف بمدى القدرة والثقافة والتجربة والتقوى . .

ومن ثم فإن كل أحد ، وكل جيل ، مخاطب بهذه الآية . ومستطيع عند التدبر وفق منهج مستقيم . أن يدرك من هذه الظاهرة ، ظاهرة عدم الاختلاف أو ظاهرة التناسق — ما تهيئه له قدرته وثقافته وتجربته وتقواه . .

تتجلى هذه الظاهرة . ظاهرة عدم الاختلاف . أو ظاهرة التناسق . ابتداء في التعبير القرآني ، من ناحية الأداء وطرائقه الفنية . . ففى كلام البشر ، تبدو القمم والسفوح ، التوفيق والتعثر . القوة والضعف . التحليق والهبوط . الرفرفة والثقلة . الإشراق والانطفاء . . إلى آخر الظواهر التى تتجلى معها سمات البشر . وأخصها سمات التغير ، والاختلاف المستمر الدائم من حال إلى حال . .

يبدو ذلك في كلام البشر واضحا ، عندما تستعرض أعمال الأديب الواحد ، أو المفكر الواحد ، أو الفنان الواحد ، أو السياسى الواحد ، أو القائد العسكرى الواحد . أو أى فرد كان في صناعته ، التى يبدو فيها الوسم البشرى واضحاً ، وهو التغير والاختلاف . . هذه الظاهرة واضح كل الوضوح ، أن عكسها وهو : الثبات والتناسق . هو الظاهرة الملحوظة في القرآن — ونحن نتحدث فقط عن ناحية التعبير اللفظي ، والأداء الأسلوبي فهناك مستوى واحد في هذا الكتاب المعجز ، تختلف ألوانه باختلاف الموضوعات التى يتناولها ، ولكن يتحد مستواه وأفقه ، والكمال في الآداء بلا تغير ولا اختلاف ، من مستوى إلى مستوى . . كما هو الحال في كل ما يصنع الإنسان . . إنه يحمل طابع الصنعة الإلهية ، ويدل على الصانع . يدل على الموجود الذى لا يتغير من حال إلى حال ، ولا تتوالى عليه الأحوال .

وتتجلى ظاهرة عدم الاختلاف . . والتناسق المطلق الشامل الكامل بعد ذلك في ذات المنهج الذى تحمله العبارات ويؤديه الأداء ، منهج التربية للنفس البشـــرية ، والمجتمعات سبشرية ، ومحتويات هذا المنهج وجوانبه الكثيرة .

ومنهج التنظيم للنشاط الإنساني للأفراد وللمجتمع الذى يضم الأفراد . وشتى الجوانب والملابسات التى تطرأ في حياة المجتمعات البشرية على توالى الأجيال . . ومنهج التقويم للإدراك

البشرى ذاته ، وتناول شتى قواه وطاقاته وإعمالها معا في عملية الإدراك .

ومنهج التنسيق بين الكائن الإنساني بجملته ، في جميع مجتمعاته وأجياله ومستوياته . وبين هذا الكون الذى يعيش فيه . ثم بين دنياه وآخرته . وما يشتجر في العلاقة بينهما من ملابسات لا تحصى في عالم كل فرد ، وفي عالم الإنسان ، وهو يعيش في هذا الكون بشكل عام . .

وإذا كان الفارق بين صنعة الله وصنعة الإنسان ، واضحاً كل الوضوح ، في جانب التعبير اللفظى ، والأداء الفنى . فإنه أوضح من ذلك في جانب التفكير ، والتنظيم ، والتشريع . . فما من نظرية بشرية ، وما من مذهب بشرى . إلا وهو يحمل الطابع البشرى جزئية النظر والرؤية ، والتأثر الوقتى بالمشكلات الوقتية . . وعدم رؤية المتناقضات في النظرية أو المذهب أو الخطة ، التى تؤدى إلى الاصطدام بين مكوناتها — إن عاجلاً وإن آجلاً — كما تؤدى إلى إيذاء بعض الخصائص في الشخصية البشرية الواحدة التى لم يحسب حساب بعضها ، أو في مجموعة الشخصيات الذين لم يحسب حساب كل واحدة منها . . إلى عشرات ومئات من النقائض والاختلاف . الناشئة من طبيعة الإدراك البشرى المحدود ، ومن الجهل البشرى بما وراء اللحظة الحاضرة ، فوق جهله بكل مكونات اللحظة الحاضرة في أية لحظة حاضرة . . وعكس ذلك كله هو ما يتسم به المنهج القرآني الشامل المتكامل ، الثابت الإصول ، ثابت النواميس الكونية ، الذى يسمح بالحركة الدائمة مع ثباته ، كما تسمح بها النواميس الكونية (١) . .

والإسلام في القرآن الكريم . . منهج وهو منهج ذو خصائص متميزة : من ناحية التصور الاعتقادى ، ومن ناحية الشريعة المنظمة لارتباطات الحياة كلها . ومن ناحية القواعد الأخلاقية التى تقوم عليها هذه الارتباطات ، ولا تفارقها . سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية . وهو منهج جاء لقيادة البشرية كلها (٢) . .

والقرآن الكريم جاء بتشريعات عادلة ، وقد ألفت من مواد تتضمن أحكاما كلية ، ومبادئ عامة ، في كل فروع التشريع . . وصدق الله العظيم في

١ ـ انظر : فى ظلال القران • للشهيد سيدقطب • الجزء الخامس ص ١٦٧ الى ١٦٩ ••
٢ ـ انظر : فى ظلال القران • للشهيد سيدقطب • الجزء الرابع ص ١٩ • الطبعة الخامسة •

قوله: «وكل شئ فصلناه تفصيلاً »(١).
وقوله تعالى : « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ » (٢) . .

ولهذا كله ، كان للقــرأن تأثيره وفاعليته في نفوس المؤمنين المتدبرين العاقلين . قال تعالى : « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله وذلك هدى الله يهدى به من يشاء . . » (٣) . .

والقرآن الكريم منهاج كامل وشامل جاء بكليات الشريعة والأصــول ، في العبادات والمعاملات ، والأسرة والميراث ، والجنايات والحدود ، وانظمة الحكم

قال تعالى : « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحــدة ولكــن ليبلوكم فيما أتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون . وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله فإن تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون » (٤)

ومن آيات الاقتصاد والمعاملات المدنية قوله تعالى : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا قولاً معروفا»(٥)

ومن آيات الأحوال الشخصية والميراث والجنايات والحدود : قوله تعالى : « « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما أتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير » (٦) .

---

١ ـ سورة الاسراء • الاية رقم ١٢ ••
٢ ـ سورة النحل • الاية رقم ٨٩ ••
٣ ـ سورة الزمر • الاية رقم ٢٣ ••
٤ ـ سورة المائدة • الايتان رقم ٤٨ ، ٤٩ ••
٥ ـ سورة النساء • الاية رقم ٥ ••
٦ ـ سورة البقرة • الاية رقم ٢٣٣ ••

وقال تعالى : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا » (١)

وقال تعالى : « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » (٢)

وقال تعالى : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً » (٣)

ومن آيات المعاهدات قوله تعالى : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم » (٤)
وقال تعالى : « وإما تخافن من قوم خيانه فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين » (٥) .

ومن آيات الدفاع العام قوله تعالى : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » (٦)

وقال تعالى : « يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » (٧)

ومن آيات الحكم والقضاء ، قوله تعالى : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا . يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً » (٨) .

أما آيات الأخلاق والأدب والسلوك . . فهى تملأ القرآن الكريم ، وتستطيع أن تحس بها في كل أية من آيات القرآن .

١ ـ سورة النساء • الاية رقم ٧ ••
٢ ـ سورة المائدة • الاية رقم ٤٥ ••
٣ ـ سورة النور • الاية رقم
٤ ـ سورة الانفال • الاية رقم ٦١ ••
٥ ـ سورة الانفال • الاية رقم ٥٨ ••
٦ ـ سورة البقرة • الاية رقم ١٩٠ ••
٧ ـ سورة الانفال • الاية رقم ١٥ ، ١٦ ••
٨ ـ سورة النساء • الايتان رقم ٥٨ ، ٥٩ ••

وعلى الجملة فهذا القرآن به كل ما يهم المسلمين من قضايا سياسية واقتصادية واجتماعية وغيرها . .

ومن هذا المنطلق . . كان هو القادر على حل مشاكل الناس وتنظيم العلاقات الإنسانية كلها . .

وكان هو وحده مناط الثقة وموضع اليقين . لأنه من عند الله . وما كان من عند الله كان أتم . .

وهو وحده القادر على تحديد علاقة المسلم بالوجود كله ، وبالكون وبما يغص به هذا الكون من ناس وأشياء . .

ففي باب العقيدة . . دعا إلى توحيد الله ، وإفراده بالعبادة والتعظيم والتمسك بما شرع الله من أداب العبادة والفرائض

وفي السياسة . . دعا إلى الشورى ، واحترام حقوق الإنسان ، والتزود بكل أسباب القوة . .

وفي النظام الأخلاقي . . دعا إلى خلوص النية ، ونقاء الضمير والتمسك بقيم الخير ، والحق ، والتزام الأداب الفردية والاجتماعية التى تسير بالإنسانية إلى الكمال والتقدم . .

وفي النظام الاجتماعى . . دعا إلى الأسرة المتماسكة القائمة على ركائز المودة والرحمة ، والإخلاص ، والاحترام ، والتعاون ، والتعارف ، وقيام كل راع بمسئوليته . .

وفي النظام الاقتصادى . . دعا إلى تبادل المنافع ، واتخاذ المال وسيلة لا غاية ، واحترام الملكية الفردية . .

وفي النظام التشريعى . . قام على أصول رئيسية واسعة . وقد تمثلت هذه الناحية في ثروة من الفقه الإسلامى . .

وفي النظام الثقافي . . دعا إلى طلب المعرفة أيـاً كانت ، واستخدام العقل في كسب المعارف . .

وفي النظام الفكرى . . دعا إلى استقلال الإرادة ، وحرية الفكر . . ولم يقف عند هذا الحد . بل وضع القواعد الأساسية لوزن المعلومات ، وتمييز صحيحها من زائفها . . فقرر أن المسائل لا تأخذ طابعاً علميا ، ولا ترتقى إلى درجة حقائق إلا إذا قامت عليها بينة .

قال تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً » (١) . .

---

١ – سورة الاسراء . الاية رقم ٣٦ ..

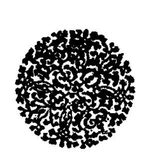
ولعل كل هذا يجعلنا ندرك . . أننا في أشد الحاجة إلى القرآن الكريم . لا لنقرأه في المناسبات والاحتفالات وعندما يموت كبير قوم . . ولا لنردده بين حين وآخر لكسب رضى عواطف بعض الناس . . وإنما نحن في حاجة إلى القرآن لنطبق ما جاء به ، ونعمل بتعاليمه وتوجيهاته . . كليا وجزئيا . في جميع الشئون . .

والنظام السياسى في القرآن الكريم ، نظام مستقل متميز . لا تنطبق عليه ، المصطلحات التى تتردد في قواميس السياسة المعاصرة ، . فهو ليس ديمقراطيا ولا دكتاتوريا ، ولا امبراطوريا ، ولا اشتراكيا ، ولا رأسماليا . .

« وليس مما يرفع شأن الاسلام أن نطلق عليه مثل هذه الأسماء والمصطلحات لأن الاسلام نظام متميز مستقل له من مبادئه ونظمه في السياسة والحكم ما يستطيع أن يفاخر به سائر الأنظمة التى عرفها الإنسان » (١) .

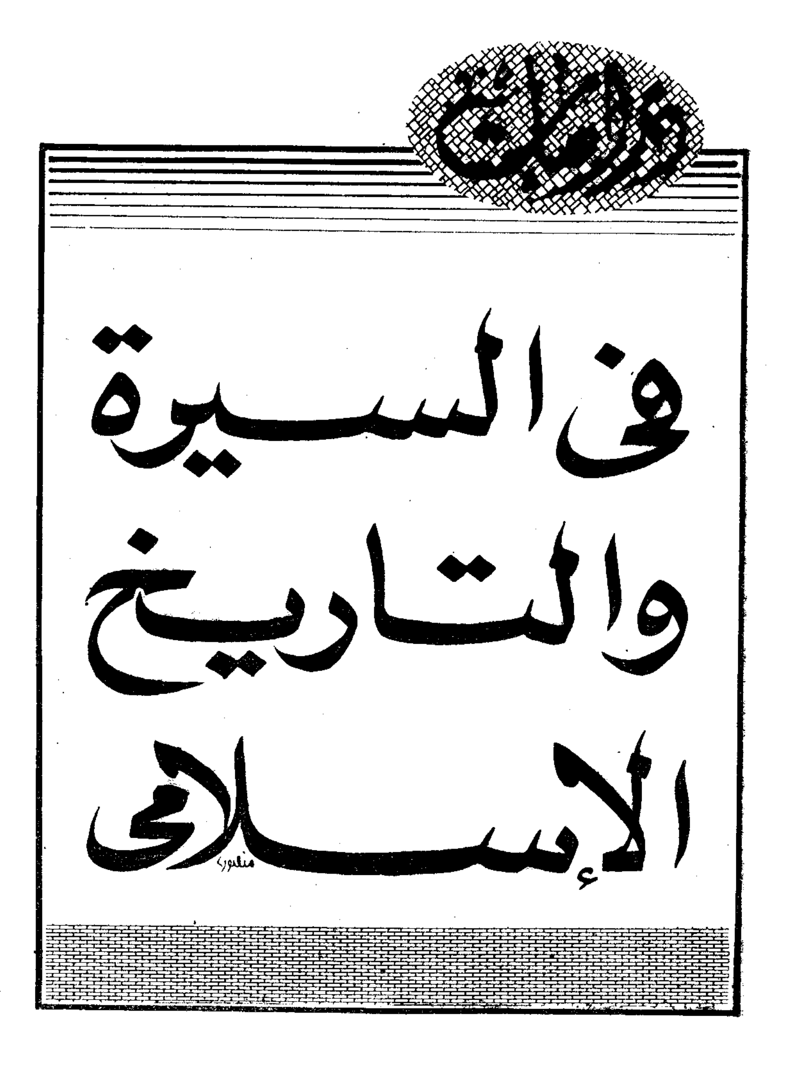
والواقع أننا لسنا في حاجة إلى الدخول في تجارب أنظمة البشر لأن هذه المذاهب، عجزت عن حل مشاكل الناس . . وعلينا أن نجرب الحكم بالقرأن ، ونمشى بنظام سياسة الإسلام . . وفي ذلك النجاح . كل النجاح ، والفلاح كل الفلاح . . ولعلنا نبدأ في التجربة بدلا من التخبط في المنطق الجدلى « الديالكتيك » والتحليل المادى للتاريخ . وحتمية الصراع الطبقى . .

إن النظام الإسلامى يقوم على أساس الإيمان بالله ، ويستمد نظرته إلى الكون والأنسان والحياة كلها من هذا الإيمان .



---

١ ـ معالم الثقافة الاسلامية . للدكتور عبدالكريم عثمان . الطبعة الثالثة ص ١٧٣ ..


في السيرة
والتاريخ
الإسلامي

ثمار من غرس النبوة

(منظور)

لفضيلة الشيخ محمد الشال

القـــائد الشاب

وتأهب الحجيج القضاعى للسفر إلى مكة فأعدوا الرواحل وتزودوا للرحلة . وحانت ساعات الوداع وشخصت الأبصار إلى حارثة بن شراحيل وأخيه كعب ، وفيها دمعات حبسها الإشفاق على الوالد الحزين الذى لايزال في هم موصول ينفث حزنه المكبوت في قوله :

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل
أحيٌّ فيرجى أم أتي دونه الأجل
ويا ليت شعرى هل لك الدهر أوبة
فحسبي من الدنيا رجوعك لى بجل
سأعمل نص العيس في الأرض جاهدا
ولا أسأم التطواف أو تسأم الإبل

ويطرق الركب المودع بالرءوس حتى لا تقع عين حارثة على الدموع المنهمرة فيزداد به الحزن ويبرح به الألم . ويتهامسون بالتحية تعلوها الزفرات ويأخذون طريقهم الى مكة ينصون عيسهم في الدروب والوهاد . وهم يرددون نشيد الوالد الحزين لعل الريح تحمل صداه الى مكان زيد . ولكنه يضيع في جوانب الصحراء . ويستمر الركب في إنشاده حتى يصل الى مكة ويطوف بالبيت ويلتقى بزيد ويسمعه نفثات أبيه ويجيب الغريب النائي بقوله:

أحن الى أهلى وأن كنت نائيا
بأني قعيد البيت عنــد المشاعر
فكفوا من الوجد الذى قد شجاكم
ولا تعملوا في الأرض نص الأباعر
فإني بحمد الله في خير أسرة
كرام معــد كابرا بعد كابر

ويسأله رهطه عن أمره ويقفون منه على أنه عند محمد صلى الله عليه وسلم ويحدثهم زيد عن مكانته عنده ومنزلته في نفسه . . ويؤوب الركب وهو يطوى الصحراء خفافا تستخفه البشرى وتدفعه إلى الجد في السير . ولعل الوالد الحزين كان يستشرف أخبار الركب على أبواب الدروب ومنافذ الطرق . .

ويلتقى الآيب بالمقيم ويخبرونه برؤية زيد وينشدونه حنينه . ولعل حارثه لم يطل به المقام حتى ينتهى الركب من حديثه فيمتطى راحلته ويستأنس بأخيه كعب ويسير الى غايته يستروح رائحة زيد كلما علا نجدا أو هبط واديا .

ثم يصل الى مكة ويسأل عن محمد فيدله الناس عليه فيضرع اليه في أشفاق أن يرد عليه ابنه ويأخذ ما شاء من فداء . ولكن محمدا صلى الله عليه وسلم يرى سحابة من الحزن الطويل على سمات حارثة وأخيه فيرق له رقة الوالد ويطمئنه على أنه لن يطلب منه مالا ولكنه سيخير زيدا بين المقام والظعن فإن اختاركما فذاك ، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذى أختار على من اختارني أحدا . فيزيد الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك على النَّصَف كما قال حارثة وأخوه . .

ويأتي زيد ويسمع خيار رسول الله صلى الله عليه وسلم له ، ولشد ما يقع في نفس الوالد وأخيه حينما يسمعان من زيد أنه اختار البقاء على الرحيل ويقولان له أتختار العبودية على أبيك وأمك وبلدك وقومك ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم يقطع عليهم الحديث العاتب بمكافأة زيد بالإنعام عليه بالحرية والبنوة على عادة قومه إذ ذاك .

وتهدأ نفس الوالد ويزداد الابن تعلقا بأبيه الجديد . ويشيع في الناس أن محمدا قد تبنى زيدا ويناديه القوم بالبنوة لمحمد

وكان يقيم في بيت الرسول صلى الله عليه وسلم حاضنته أم أيمن التى شهدت مولده وهى على سمرتها الحبشية قد ابيض قلبها البياض كله في أخلاص الحب للرسول صلى الله عليه وسلم فكانت له أما بعد أمه تحنو عليه حنين الغريب على الغريب فقد اجتمعت لها وله غربة الدار وغربة اليتم .

ويدرج الرسول في مدارج الطفولة وقد حرمه القدر من رحمة الأبوة وحنان الأمومة . فتعوضه أم أيمن ما استطاعت بحنانها وحبها ويخلص لها الرسول صلى الله عليه وسلم الحب ويناديها يا أمى ، ثم يزوجها من متبناه زيد فيجمع بهذا الزواج بين قلبين قد أخلصا له الحب ومحضا له الوفاء .

وتنجب أم أيمن أسامة وقد ندبه عرق لامه ففيه سمرتها وفيه شبهها ويشب الوليد بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسبغ عليه حبا غامرا يزيد على حب والديه ويحمله بين يديه ويداعبه مداعبة الأبوة الرحيمة على الطفولة المرموقه ويرضى فيه رغبة الأبوة بعد أن فقد ابناءه أطفالا ويعثر أسامة يوما

بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسيل دمه فيمسحه الرسول ويضمد جراحه ثم يكفكف دمعه ولا يزال يمازحه حتى ينسيه ألمه . . ثم لا يزال أسامة في رعاية الرسول ورعاية والديه حتى يهاجر الرسول صلى الله عليه وسلم ويهاجروا معه الى أن يؤمر أباه على جيش ذاهب الى تخوم الشام ليدفع بوادر الشر التى ظهرت من ولاة الرومان . ويستشهد زيد في مؤته ويرجع الجيش ولا يرجع زيد . وينظر الرسول صلى الله عليه وسلم الى أسامة وقد أصابه اليتم فيزداد عليه حدبا وله محبة .

ويعرف أسامة وقد أصبح أهلا للمعرفة أن أباه قد قتله الرومان في البلاد النائية . ويغدو أسامة ويروح لا يسمع لأبيه صوتا ولا يرى له شخصا وتتوق نفسه إلى أن يذهب إلى تخوم الشام لعله يلتقى بمن قتلوا أباه ولعله أن التقى بهم وأظهره الله عليهم يقتص لابيه القصاص العادل وينتصف للأسـلام انتصاف المظلوم ولعله أظهر هذه الرغبة للرسول صلى الله عليه وسلم ولكن الرسول يشفق عليه لحداثة سنه فلم يكن قد أتم العقد الثاني من عمره . . ولعل أسامة استمر ينشد بغيته . .

ويرى الرسول صلى الله عليه وسلم من أمره الجد ويعلم أنه أصبح أهلا للأمارة كما أن أباه كان أهلا لها وينادى الرسول صلى الله عليه وسلم عام وفاته بتأهب المهاجرين والأنصار للحرب . وقد استمر بغى الرومان على رسل المسلمين ولم يكف شرهم جيش زيد ولا جيش الرسول من بعده . ولو تركوا لساورتهم أنفسهم بغزو المسلمين في المدينة .

ويستجيب كبار المهاجرين والأنصار لدعوة الرسول (ص) ويعدون عدتهم ثم يتطلعون للقيادة . ويتقدم الرسول ويقلد أسامة على حداثة سنه الأمارة ويسمع همسا خافتا أن غيره أولى منه بأمارة الجيش وأحق منه بقيادته .

وينادى الرسول صلى الله عليه وسلم نداء يحبس هذه الهمسات في الصدور فيقول وأيم الله إنه لخليق بالأمارة وأن كان أبوه لخليقا بها . . ويتولى أسامة إمرة الجيش وينزل المسلمون على أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن الجيش لا يكاد يبدأ السير حتى يمرض الرسول وينتظر الجيش وأميره ليقفوا على الأنباء ولا يطول الانتظـار فيلقى الرسول ربه . . ويؤول الأمر لأبي بكر .

وتظهر الهمسات المكبوتة وتصل إلى أبي بكر في رجاء من عمر أن يعزل أسامة ويولى غيره . . ولكن أبا بكر

لا يعزل قائدا ولاه الرسول ويأمر الجيش بالمسير ويأمر أميره الشاب بالركوب ويأخذ أبو بكر بلجام فرس أسامة ويسير ماشيا ليغبر قدميه ساعة في سبيل الله حتى لا يبقى لمعترض أثارة من خوف وحتى يخرج الجيش الى غايته وهو راض عن قائده . . وتضيع الهمسات على الشفاه فلا يسمع لها صوت ولا يتردد لها صدى .

ولقد عرف الرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك أبو بكر رضى الله عنه أن لأسامة غاية وثارا ، أما غايته فهى نشر راية الأسلام على ربوع الشام ورد كيد أعدائه . . وأما ثأره ففى مؤته حيث تخضب ثراها بدماء أبيه . ولذلك أمره الرسول أن يصل اليها ويقف على الثرى الذى روى بالدماء الزكية من أبيه ورفاقه في القيادة يستروح رائحتهم وهى عابقة بالمجد معطرة بالإيمان .

ولقد وقف أسامة موقف أبيه وجاء الى البلد الذى استشهد فيها فأخذ له بثأره وردع من وقفوا في سبيل الدعوة الناشئة . . وانقلب بنصر حقق أمل الرسول فيه وأرضى أصحاب الهمسات وغيرهم ورسم لهم منهج الاعتماد على الشباب ووضعهم في مصاف القيادة اذا ما آنسنا منهم نضجـــا أو كانت لهم ثارات .

وللعرب ثارات وتارات على عرصات فلسطين وفوق ثرى سيناء والجولان وبور سعيد خلفت وراءها الكثير من اليتامى ممن اختطف البغى آباءهم . ولهؤلاء علينـــا حقوق وحقوق ألاّ نشعرهم باليتم المضيع أو المنة المذله أو المهانة التى تغرس في نفوسهم العداوة للمجتمع . بل نرعاهم رعاية الأعزاز لهم والتكريم لآبائهم وننزلهم من نفوسنا منزلة أسامة من نفس محمد صلى الله عليه وسلم ، ونناى فيهم كل يوم أن لهم ثأرا لا يزال ينتظرهم ، وأن ملاعب صباهم وملاهى طفولتهم قد اغتصبها أفاقون وأن أموالهم وديارهم قد استولى عليها خليط عجيب متنافر القلوب متحد الهوى ينفث في روعه أعداء لنا لا يألون جهداً في تدبير الكيد للوقوف في سبيل نهضتنا ليضاعف بغيه ويواصل عدوانه .

وأن دماءنا لا تزال تخضب الثرى الزكى يحمل أريجها النسيم الغادى والرائح ونسمع لها همسا دامعـــا أو داميا ألاّ ننسى الديار ولا نرضى بالضيم . . وسوف نجد بين البراعم الناشئة أسامة وأسامة يأخذون بالثأر ويحققون الرجاء .

محمد الشال

كلية الشريعة



لقد سبق للاسلام ـ في فترة من الزمن امتدت عدة قرون ابتداء من ظهوره ـ ان كون في مجموعة من الشعوب التي اتخذته دينا لها ونهجا لحياتها امة واحدة هي (الامة الإسلامية) ودولة واحدة هي (الدولة الإسلامية) وحضارة اسلامية مشتركة اسهمت فيها هذه الشعوب وثقافة اسلامية مشتركة كذلك .

ثم تطورت الحال بتأثير عوامل عديدة وانتهى الامر بعد عدة قرون الى تجزؤ الدولة الى دول مع بقاء الشعوب في بداية الامر متجمعة في امة واحدة منسجمة رغم اختلاف الالسن والقوميات ثم اخذت هذه الشعوب في القرون الاخيرة تتجزأ ايضا بعض التجزؤ وجاء عهد الاستعمار في القرون الثلاثة الاخيرة ليكون عاملا قويا في اكمال عملية التجزئة والفصل . وانتهى الامر الى ما يسمى في العصر الحاضر (العالم الاسلامى) .

و (العالم الاسلامى) هو مجموعة من الشعوب تدين بالاسلام تحكمها حكومات متعددة تختلف في نظمها التربوية والثقافية والتشريعية والاقتصادية وفي سياستها الداخلية والخارجية وارتباطاتها الاقتصادية.

ولكن ما بقى من رصيد الوحدة السابقة من رصيد الاسلام في عقيدته وتصوراته وفي شعائر عباداته المشتركة وما تبقى من نظمه التشريعية النافذة ومن احكامه المؤثرة في العادات تحليلا وتحريما ومن المشاعر المشتركة بين المسلمين ومن مناهج التعليم الاسلامى الموروث المشتركة ان ما بقى من ذلك كله يمكن ان يكون نقطة انطلاق من جديد لتغيير الواقع في اتجاه الوحدة في صيغ جديدة تتناسب مع مجموع الاحوال والملابسات المعاصرة.

وان طبيعة الاسلام نفسه وخصائصه وسابقته التاريخية في تكوين امة واحدة واتجاه الشعوب في العصر الحاضر الى تكوين كتل تتآلف كل منها من مجموعة

من الشعوب تلتقى على صعيد عقيدة مشتركة ونظم مشتركة واقتصاد موحد أو متناسق ، ان هذه الامور كلها تؤكد امكان الانتقال بالعالم الاسلامى في صورته الحاضرة الى أمة واحدة ، ودولة واحدة أو متحدة أو اتحادية وثقافة مشتركة ذات لغة مشتركة ، وحضارة مشتركة .

نحن اذن امام واقع وهدف نريد الوصول اليه ولابد من البحث عن الطريق الموصل من الواقع الى الهدف ، وبحثنا يتناول هذه العناصر الثلاثة .

الهـــدف :

يختلف الاسلام عن المسيحية والبوذية واكثر الاديان بانه يغطى بتوجيهاته وتعاليمه جميع جوانب الحياة ويستغرقها سواء اكان ذلك عن طريق التوجيه وتحديد الاهداف ام عن طريق التحديد . فهو يحدد المعالم الاساسية للتصورات الفكرية وقواعد السلوك العملى الاخلاقي وينظم العلاقات الاجتماعية في شتى المجالات (الاسرة ، المال ، الدولة ...) ولا تشغل العبادات وشعائرها والايمان بالغيبيات الا جزءا منه فحسب . وليست كذلك اكثر الديانات ويختلف عن اليهودية التى تشتمل على بعض التشريع بانه شامل لتنظيم جميع جوانب التشريع من جهة وانه قابل للتطبيق مع تغير ظروف الحياة لما يتصف به من السعة والمرونة .

وبناء على هذا فلا يمكن مقارنة الاسلام بأى دين من الاديان من جهة قدرته على تكوين امة وجمع مختلف الشعوب في اطارها وقدرته على تكييف ظروف الحياة وتطوراتها حسب مقاييسه وقواعده .

يمكن مقارنة الاسلام — من هذه الناحية — بالعقائديات المعاصرة التى تشمل التصورات العامة للوجود — وتكون فلسفتها الاساسية — ومفاهيمها في الاخلاق ومقايسها ونظمها التشريعية وبالتالى تستطيع الجمع بين شعوب مختلفة ، وذلك باشتراكها في هذه الجوانب .

ويختلف الاسلام عنها بانه يضيف الى ذلك ما يسميه اصحاب هذه العقائديات بالدين اى الايمان بحقائق غيبية واقامة شعائر العبادات .

فالاسلام اذن هو من نوع العقائد التى يمكنها ان توحد الشعوب وان توجد قاعدة صلبة للقاء بل هو من اقدرها على ذلك .

ولا شك ان الاسلام نفسه كما تدل نصوصه الاصلية من القرآن والسنة يهدف الى جعل الانسانية كلها أمة

واحدة في ظل عقيدته واحكامه تتضامن وتتكافل وتتعاون على اساسه في مجال الشعور بالاخوة وفي مجال التعاون الحضارى والتناصر والتكافل المالى .

ولا يمكن ذلك الا بالنسبة لمن يؤمن به ويذعن لأحكامه وتبقى الدائرة مفتوحة لمن يريد أن يدخل فيها طواعية .

واقع العالم الاسلامى :

اطلق لفظ العالم الاسلامى في العصر الحديث بدلا من تعبير (الامة الاسلامية) الذى كان يستعمله المسلمون والغالب على الظن ان هذا التعبير استعمله اولا غير المسلمين من أهل أوربا وامريكا بالانكليزية (Muslim World) بالفرنسية (Le Monde Muslman) .

وهو يشمل الشعوب المسلمة أو التى اكثريتها مسلمة سواء اكانت حكومتها اسلامية أم كانت غير اسلامية ، ويضاف اليها أو يلحق بها الاقليات الاسلامية في البلاد غير الاسلامية .

وسنذكر فيما يلى جوانب الاختلاف والانقسام تمهيدا للبحث عن طرق ازالة الاختلاف والانقسام والعودة الى الوحدة والانسجام الاجتماعى :

١ ــ تعدد الدول :

ان انقسام الدول الاسلامية ظاهرة قديمة ولكن حكام الدول الاسلامية كانوا يشعرون كما يشعر المسلمون جميعا يومئذ انهم يقتسمون ارضا واحدة ومجتمعا واحدا وكان الفرد المسلم لا يشعر بالانفصال عن المسلمين الذين هم تحت حكم حاكم آخر فالشعور بوحدة المسلمين أو المجتمع كان واضحا وقويا حتّى ان الانتقال من دولة الى دولة كان امرا عاديا وميسورا وكذلك تغيير محل الاقامة من دولة الى دولة وكان المسلم يتنقل الى بلد آخر والى سلطة حاكم آخر دون ان ينتقص أى حق من حقوقه ، فيمكن ان يتولى فيها أى ولاية من الولايات كالقضاء والوزارة وغيرها كما حصل لابن خلدون وابن بطوطة وعدد كبير من العلماء الذين تولوا القضاء في الشام ومصر أو في مصر والمغرب او غيرها .

اما الانقسام الذى حصل في القرن الاخير ولا سيما في عهد الاستعمار وبعد الاستقلال فهو انقسام الى دول تفصلها حدود حاجزة وتكون مجتمعات اخذ بعضها يتباعد عن بعض ، وتكونت لها عصبيات قومية أو اقليمية انعكست آثارها في نفوس الشعوب وتجسدت في كيانات وطنية وقومية متنافسة تنافس القبائل قديما بل متصارعة ومتعادية احيانا .

وبنى على هذا الاساس المناهج الدراسية وخاصة في التاريخ والجغرافيا وغذيت هذه الروح المبنية على هذه العصبيات الاقليمية أو القومية والوطنيات المحدودة الخاصة حتى في الأدب والشعر والاناشيد (الوطنية) فلتركيا نشيد ولمصر نشيد وللعراق نشيد .. الخ . واستمر الحكام الذين حكموا بعد التحرر من الاستعمار كالحكام الذين سبقوهم او الذين لم تستعمر ارضهم في هذا الاتجاه بسبب نشوئهم في هذه الأجواء من جهة وبسبب حرصهم على مناصبهم من جهة أخرى .

٢ ـ اختلاف نظم الدول القائمة في العالم الاسلامى :

أ ـ نظم التربية والتعليم :

بعد ان ادخل الاستعمار ـ وهو حكم غير المسلمين للبلاد الاسلامية ـ مناهج للتعليم غير المناهج الاسلامية المتوارثة وبنيت هذه المناهج على الفكر الغربي من حيث الاساس ، اختلت الوحدة الثقافية والفكرية في البلاد الاسلامية . فوجد اولا نوعان من الثقافة والتفكير ، نوع بنى على المناهج الاسلامية الموروثة القديمة ونوع بنى على المناهج الاجنبية الوافدة أو الغازية .

ووجد اختلاف آخر نشأ عن تعدد الدول غير المسلمة التى غزت بلاد المسلمين وهى نفسها مختلفة المناهج وان اشتركت في اصولها فثمة نظام انكليزى ونظام فرنسى وغيرهما . ثم ظهر نظام آخر كان له تأثير ايضا وهو النظام الماركسى الذى تأثرت به بعض البلاد الاسلامية بتأثير الدول الشيوعية ودعايتها ونفوذها وهكذا تكون من مجموع ذلك تفكير متعدد مختلف الاتجاهات وليس هذا الاختلاف بين بلد وبلد فحسب بل في البلد الواحد نفسه . وبذلك فقدت او انتقصت الوحدة الفكرية والثقافية التى كانت ماثلة ، في بلاد المسلمين كلها .

ب ـ التشريع :

غزا الغرب غير المسلمين البلادَ الاسلامية قبل الاستعمار البلاد الاسلامية فأخذت القانون الجنائي ثم القانون التجارى ثم فالقانون المدني واخيراً قانون الاحوال الشخصية . ولكل من هذه القوانين تأثيرها في المجتمع في توجيه حياته الاخلاقية عن طريق التشريع الجنائي ـ والاقتصادية عن طريق القانون التجارى والمدني وحياة الاسرة المسلمة عن طريق قوانين الاحوال الشخصية .

ونشأ عن ذلك :

الاختلاف بين التشريع الاسلامى الذى

كان سائدا والتشريع الغربي الغازى .
الاختلاف بين التشريعات الاجنبية نفسها لتعدد مصادرها

التعارض بين بنية المجتمع الاسلامى القديمة والتشريع الجديد الاجنبى فيها واخيرا فقدان الوحدة التشريعية في البلاد الاسلامية واختلاف تكوين البناء الاجتماعى واقصاء التشريع الاسلامى عن المجتمعات الاسلامية .

ج ـ الاقتصاد والنظم الاقتصادية :

ان الاختلاف في النظم الاقتصادية والانقسام والتوزيع على دورات أو شبكات اقتصادية من جهة الارتباط والتعامل الخارجى ـ ظاهرتان جديدتان في العالم الاسلامى لم تكونا موجودتين حتى في عصر الانحطاط اذ كان العالم الاسلامى مترابطا اقتصاديا وكان النظام السائد فيه واحدا .

نشأ هذا الاختلاف والانقسام بتأثير الاستعمار وتعدد دوله واختلاف نظمه واختلاف الدول أو البلاد الاسلامية في اقتباس النظم الاقتصادية من رأسمالية قديمة الى رأسمالية حديثة الى اشتراكية الى اشتراكية ماركسية وقد نشأ عن الاختلاف في هذا الميدان نتائج وآثار متعددة منها: اختلاف في تركيب المجتمع وفي آلية الحركة الاقتصادية او طرائق التنمية وفي كل ما يتأثر بالاقتصاد واسلوبه في الداخل .

اختلاف في الارتباطات الاقتصادية الخارجية في الصادرات والواردات والاساس النقدى ومراكز الايداع . فكل بلد اسلامى مرتبط بشبكة اقتصادية خارجية تختلف عن البلدان الاسلامية الاخرى وذلك بسبب تضارب المصالح والتنافس وقد يسبب التعارض في المصالح الاقتصادية وذلك مما يجر الى اختلاف المواقف السياسية الخارجية والى وجود البلاد الاسلامية في جبهات مختلفة ومتصارعة وكثيرا ما سبب ذلك السير في سياسة خارجية تخالف الاسلام بل التنكر لبعض القضايا الاسلامية الدولية .

د ـ السياسة الداخلية والخارجية :

من الطبيعى ان يرتبط الاختلاف في السياسة الداخلية بالاختلافات السابقة وخاصة في التربية والثقافة وفي التشريع وفي المفاهيم العقائدية والمعايير الاخلاقية وهى التى تحدد الحقوق والواجبات ومدى الحريات وانواعها ولا شك كذلك ان حرص الحكام في كل بلد على الاستمرار في الحكم وبقاء البلد الذى يحكمونه مستقلا عن غيره من البلدان الاسلامية هو دافع الى وضع قوانين ونظم واجراءات في السياسة

الداخلية تقوى روح الاقليمية والانعزالية في الشعب حتى تتغلب على شعوره بواجب الاتحاد او الوحدة مع سائر البلدان الاسلامية ، ويضاف الى ذلك اعتقاده ان في ذلك مصلحة له لئلا يقاسمه ابناء البلدان الاخرى المنافع والمكاسب في زعمه غافلا عما تجلبه الوحدة وسعة الرقعة من القوة ومن المنافع والمصالح بالاضافة الى كونها واجبا اسلاميا بصرف النظر عن مكاسبها

وبذلك يصبح المسلم في بلد اسلامى ليس بلده وفي دولة غير دولته ليس له من الحقوق المدنية كالعمل والاقامة والتملك والتوظف وغيرها من الحقوق الا ما لسائر الاجانب من غير المسلمين وهذه ظاهرة لم يسبق لها نظير في تاريخ الاسلام ولم تحدث الا في العصر الحديث .

أما السياسة الخارجية فهى كذلك مختلفة بسبب اختلاف العوامل التى ذكرناها من التربية وما تنشره من افكار وعقائد ومن النظم الاقتصاديةوالمصالحالاقتصادية فهـــذان العاملان اعنى التأثر بالتيارات الخارجية كالشيوعية والليبرالية .

الديمقراطية والقومية وغيرها ، وارتباط المصالح الاقتصادية بدول وبلدان غير اسلامية ادت ولاتزال تؤدى حتما الى اختلاف كبير في السياسة الخارجية وانقسام بين حكومات البلاد الاسلامية في هذا المجال . وان من اساليب المعارضة لوحدة الشعوب الاسلامية واتحاد الدول الاسلامية صرفها الى تكتلات اخرى تختلط فيها دول الشعوب الاسلامية وتتوحد مع دول غير اسلامية وذلك

٣ – تعدد المذاهب والاتجاهات :

ان الوحدة بين المسلمين في الماضى والحاضر لم يكن ليؤثر فيها ما بينهم من اختلاف مذهبي وفيما يلى تلخيص يعطى صورة واضحة ويؤيد ما قلناه :

أ – ان المذهب السنى هو مذهب الاكثرية العظمى للمسلمين في العالم والمذهب الذى يليه في الاهمية من حيث العدد هو المذهب الشيعى الامامى وهو مذهب اكثرية الشعب الايراني وفريق من سكان القارة الهندية (الهند وباكستان وبانغلاديش) والمهاجرين منهم الى جنوب افريقيا ونصف سكان العراق واقليات اخرى في بلدان متفرقة .

ان وجود هذين المذهبين ويضاف اليهما المذهب الاباضى في عمان والجزائر وزنجبار والمذهب الزيدى في اليمن ، لم يكن ليخلق اى

مشكلة امام الوحدة بين المسلمين . فالتنسيق بين المذهب السني والمذهب الشيعي وهما الاكثر تباعدا بين هذه المذاهب التي ذكرناها امر ميسور وممكن لعظم الجانب المشترك بينهما وضآلة جانب الاختلاف .

واما المذاهب التي اعلنت انشقاقها وانفصالها عن الاسلام قديما أو حديثا كالدرزية والبهائية ، أو التي أعلن المسلمون انفصالها عن الاسلام كالقاديانية فهي لا توجد مشكلة لقلة عدد اصحابها ولعدم معارضتها للوحدة بين المسلمين .

ب ـ المذاهب الحديثة العقائدية والاجتماعية والسياسية :

ان من ابرز العوامل المعارضة للوحدة في داخل كل بلد اسلامي وبين البلدان الاسلامية ظهور تيارات فكرية ومذاهب عقائدية حديثة مستمدة من الغرب تولدت بسبب الاستعمار والغزو الاجنبي الفكري. وهذه المذاهب إما معارضة للاسلام معارضة اساسية وكلية واما عاملة لحصر الاسلام في نطاق العبادات والعقيدة الشخصية .

بعض هذه المذاهب يتخذ لنفسه صفة عقيدة شاملة (ايديولوجية) كالماركسية أو الشيوعية والقومية لدى فريق من القومين (في مختلف الشعوب الاسلامية) وبعضها يتخذ لنفسه صفة جانبية سياسية كالوطنية والقومية عند فريق آخر من القوميين أو اقتصادية كالاشتراكية (غير الماركسية) .

ان هذه التيارات السياسية والاجتماعية والعقائدية راجت وانتشرت في المجتمعات الاسلامية وكان لها آثار ونتائج خطيرة وعميقة في حاضر العالم الاسلامي ومستقبله وفيما يلي اهم هذه النتائج :

اولا : ان هذه المذاهب والتيارات تأثر بها فريق من الجيل الماضي والحاضر من الشعب في كل بلد اسلامي وكونت على اساسها احزاب سياسية واصبحت في بعض البلدان مذهب الدولة الرسمي والفعلي ووصل المتمذهبون بها الى مراكز الحكم والقيادة .

ثانيا : اختلفت البلاد الاسلامية في الاخذ بهذه المذاهب فاتخذت بعضها الاشتراكية وبعضها الشيوعية

وبعضها القومية وبعضها العلمانية وبعضها الاسلام صراحة أو ضمنا فكان سببا في الاختلاف العقائدى للدول الاسلامية .

ثالثا: وقفت هذه المذاهب بعضها موقف المعارضـــة للاسلام كالشـــيوعية وبعضها موقف الحد من الاسلام وحصره في نطاق محدود ضيق كالقومية والديمقراطية العلمانية ، وحتى الوطنية . وتكاد تكون كلها معارضة للاسلام في جانبه السياسى وباعتباره عامل وحدة بين المسلمين تشريعا وثقافة وحكما فهى على احسن الاحوال تعتبره (تراثا) قوميا أو انسانيا وتحصره في نطاق العبادات والمواســم و (التقاليد) .

رابعا : تتعاطف كل دولة اسلامية مع الدول التى تدين بمذهبها ولو كانت غير مسلمة وتتنكر للدول التى تدين بمذهب مغاير لمذهبها ولو كان شعبها مسلما او كانت هى مسلمة ويظهر ذلك في التقاء الاحزاب الاشتراكية (غــير الشيوعية) او الاحزاب الشيوعية في مؤتمرات عمل أو في زيارات ودية . وكذلك في لقاء الحكومات التى تدين بمذهب مشترك من هذه المذاهب . ولا شك ان في ذلك طعنة للاسلام يراد بها القضاء عليه وتفتيتا للوحدة بين المسلمين سواء في ذلك وحدة الشعوب ام وحدة الدول وصدا عن السير في طريق الوصول اليها .

خامسا : ان هذه المذاهب والتيارات تتعارض تعارضا كليا او جزئيا مع الاسلام ويكون المنتمون اليها في داخل الشعوب الاسلامية تيارات معارضة للكيان الاسلامى وللجماهير المسلمين ولكل حركة اسلامية ، ويوجدون بذلك تصدعا في الوحدة والانسجام المتحققين بين الشعوب المسلمة وفي داخل كل شعب منها.

سادسا : لم يقتصر التأثر بهذه التيارات المستوردة والعقائديات المعارضة للاسلام على فئة خاصة من حكام ومثقفين وقادة احزاب بل تأثر بها فريق من الشعب في كل بلد وان تكن الجمهرة الكبرى من الشعب في كل بلد باقية على موالاة الاسلام بحسب فهمها له . وبذلك حصل شئ من التصدع الداخلى الذى اخل بوحدة الشعب في كل بلد ووحدة الشعوب الاسلامبة كذلك .

ـ الأقليات الدينية والقومية :

حينما كان الاسلام هو المهيمن على الحكم والعلاقات الاجتماعية قبل العصر الاخير كانت الاقليات الدينية غير الاسلامية والمنشقة عن جمهرة المسلمين بمذهب خاص انفصلت به عن الجماعة قد كيفت وضعها الخاص تكيفا لا يدع مجالا لمشكلة اجتماعية ولا لشكوى الا كانت عارضة فلما ظهرت التيارات المذهبية الحديثة وجدت هذه الاقليات طريقا جديدا لتغير وضعها والمشاركة مع المنتمين الى هذه التيارات من المسلمين انفسهم لتحقيق رغبة نفسية لديها وهى ازالة حكم الاسلام واقصاؤه عن مجـــال الحكم والتشريع متذرعة بالفكرة الوطنية الديمقراطية العلمانية أو القومية أو الاشتراكية ، فأوجد هذا الوضـــع مضاعفات وتعقيدات ومنازعات مؤسفة في عدد من البلاد الاسلامية .

أما الاقليات القومية فكانت منسجمة مع القومية التى تعيش معها حينما كان الاســـلام اساســـا للحكم والعلاقات الاجتماعية وانما برزت المشكلة حتى تكونت الدولة الحديثة ـــ في البلاد الاسلامية ـــ على اساس قومى فكان رد الفعل الطبيعى مطالبة هذه الاقليات بحقوقها القومية من تكوين دولة او استقلال ذاتي ولغة خاصة ومشاركة في الحكم وما الى ذلك .

بعد استعراضنا لواقع العالم الاسلامى المعاصر وما ظهر من ظاهرات انتقصت من الوحدة بين الشعوب الاسلامية وعوامل اثرت فيها واحدثت فيها انقساما وتصدعا وتشبعا ، لابد لنا من اثبات ملاحظة هامة . ذلك انه بالرغم من العوامل التى انتقصت الوحدة واضعفتها فانه لا تزال كثير من جوانب الاشتراك واسس الوحدة قائمة في كل شعب وبين الشعوب الاسلامية .

لا يزال الشعور الشعبي الاسلامى قويا عميق الجذور وهو شعور بالانتماء الى الاسلام والايمان به وشعور بالوحدة بين المسلمين ولا يزال هذا الشعور اقوى من اى شعور آخر يقابله مما تولد من التيارات المذهبية الحديثة .

ولا تزال وحدة المظاهر الدينية في العبادات وشعائرها والاعياد والمواسم والعادات ذات اثر كبير في النفوس ولا تقل عن ذلك ذكرى ماضى الاسلام وتاريخه في الوعى الشعبي .

ونضيف الى هذه الجوانب ظاهرة جديدة آخذة بالقوة والاتساع والعمق وهى ظاهرة العودة الى الاسلام دراسة واطلاعا واحياء لتراثه ومصادرة والتزاما

لاحكامه ومطالبة بتنفيذه في مجال التشريع والاقتصاد والحكم حتى ان الحكام اخذوا يشعرون بالضغط الشعبي القوى للعودة الى الاسلام مما يضطرهم للمسايرة أو المجاملة .

اتماما للصورة التى رسمناها للعالم الاسلامى والعوامل المؤثرة في وحدته وانقسامه ، وانسجامه او تنافره ، يجب يجب أن نضيف ان هذه العوامل لا تتفاعل مستقلة بمعزل عن المؤثرات الخارجية . فان القوى الخارجية والدول غير الاسلامية ذات مصلحة في هذا الموضوع ولها فيه اهتمام بالغ . ولذلك فهى تحاول التأثير في كل واحد من هذه العوامل لتقويته او اضعافه حسب مخططها

ان للدول الاجنبية مصلحة في بقـــاء الدول الاسلامية التى تتعامل معها اقتصاديا وتسير في فلكها سياسيا مستمرة ، وقد كان ذلك يجرى في العصر الماضى بقوة الجيش والسلاح ولكنه اصبح يتم في العصر الحاضر بطريقة أخرى سلمية وهى التوافق في العقيـــدة والفكرة والنظم . ولذلك فهى تحرص على الدعاية لمذهبها العقائدي وثقافتها ونظمها التربوية حرصها على ترويج بضاعتها وصناعتها وخبرتها الفنية .

ومن هنا يأتي امداد المذاهب العقائدية الحديثة والتعاون مع الحكام السائرين في الاتجاه المناسب لهذه المصالح والعقائد والعاملين على ترويجها وهذه هى الطريقة السلمية غير المباشرة التى تنتج اقصاء الاسلام وابعاد الوحدة الاسلامية والابقاء على هذا النوع من الارتباط .

ليست الدول الاجنبية غير الاسلامية وحدها صاحبة المصلحة في ذلك بل يضاف اليها قوى خارجية وعالمية اخرى كالشركات الكبرى والصهيونية العالمية وجميع مراكز السلطات العليا للأديان المنافسة للاسلام .

ولهذه الاسباب كانت الدعوة الى اى عقائدى أو اجتماعى سياسى معارض أو منافس للاسلام كالقومية والشيوعية والاشتراكية — كمذهب شامل مرتبطة ارتباطا قويا بالدول الاجنبية والقوى العالمية تشجعها وتمدها وتدعمها وتستميت في هدا السبيل لأقصاء ظهور الامة الاسلامية والدولة الاسلامية والوحـــدة الاسلامية . كما انها تعادى وتقاتل كل حركة أو دعوة هدفها بعث الاسلام واحياؤه وتوحيد الشعوب على اساسه وتبذل كل ما في وسعها لقتلها وابادتها وتدفع جميع المؤتمرين بامرها والمتعاونين معها من حكام ومثقفين وكتاب للقضاء عليها . وقد تعمل على تشجيع الطعن فيها وتكوين حركات مريضـــة باسم

الاسلام لصرف المسلمين عن الاسلام الحقيقى الذى يهدف الى وحدة المسلمين والقيام على اساس الاسلام .

طريقة الوحدة وازالة العقبات :

ان عوامل تغيير واقع العالم الاسلامى التى يمكن ان تنقله من الاختلاف والانقسام الى الوحدة والانسجام بعضها بيد الحكومات وبعضها مشاع ومتاع للشعوب نفسها وبالتالى يمكن ان يسعى في تحريكه الافراد والهيئات والجماعات فتغير نظم التربية والتعليم ونظم التشريع والاقتصاد وخطط السياسة الداخلية والخارجية هى بيد الحكومات . فما السبيل لجعل هذه الحكومات تتحرك وتعمل في هذا الاتجاه ؟

لا شك ان البداية والانطلاق اذا حصل منها أو من بعضها فهو المطلوب وان لم يحصل فلابد من الرجوع الى وسيلة لتحريكها ودفعها .

ان الوسيلة لتحريكها ودفعها هى مطالبة الافراد والجماعات والهيئات الاسلامية لها وتوليد الرأى العام الاسلامى الشعبى في جميع البلدان الاسلامية للضغط على الحكومات وانما يقوم بتوليد الرأى العام الشعبى وتغذية الوعى العام المؤمن بالفكرة المتصفة بالوعى والعاملة المجاهدة في سبيلها عن فقه وبصيرة .

ولهذا نكتفى ببيان العوامل المؤثرة تاركين تحديد الجهة التى ستباشرها :

١ ــ توليد رأى اسلامى عام قوامه :

١ ــ الانتماء المبدئي الاعلى والاهم هو الانتماء الى الاسلام : دينا ومبدأ ونظاما .

٢ ــ الانتماء الاجتماعى الاعلى والأهم هو الانتماء الى الامة الاسلامية أوجماعةالمسلمين والوطن الاسلامى

وان من المهم جدا وضوح هاتين الفكرتين وقوتهما وقوة عرضهما وحسن التعبير عنهما بالطرق الناجحة وبشتى الاساليب التى تؤكدهما وترسخ جذورهما وتكوين وعى شعبى قوى وتغذيته باستمرار حتى يكون قوة اجتماعية ذات تأثير وضغط تجاه الحكومات والهيئات والافراد ولتوليد هذا الرأى العام الشعبى القوى الواعى وسائل كثيرة نقترح منها ما يلى :

أ ــ نشر البحوث الموضحة والعارضة للاسلام بوصفه مبدأ كليا ونظاما عقائديا شاملا « ودينا كاملا » .

والتذكير بهذه الفكرة الاساسية حتى في الابحاث الجزئية والخاصة وكذلك الالحاح في عرض فكرة (الامة الاسلامية ومايتفرع عنها

من دار الاسلام أو الوطن الاسلامى ومنطقة الثقافة الاسلامية والحضارة لاسلامية والمجتمع الاسلامى وما الى ذلك .

ويكون هذا النشر في كتب ومقـالات ومحاضرات وندوات ومؤتمرات مع العناية بتحـديد مواصفات الكتاب الاسلامى الجيد والعناية بابراز الكتب الجيـدة والتنويه بها حتى لاتضيع في خضم الكتب العادية والقليلة الجدوى .

ب — تدريس الثقافة الاسلامية المكونة من المحورين الاساسيين الاسلام والامة الاسلامية أو المجتمع الاسلامى في التعليم الثانوى والجامعى في جميع فروعه والعناية بابراز فكرة (العالم الاسلامى) بوصفه عالما متميزا مشتركا بين الشعوب المسلمة وتدريس جغرافيته في الجغرافية واقتصادياته في الاقتصاد والعمل على تعميم ذلك في البلدان الاسلامية في جميع الجامعات والمدارس ولا سيما ان عدداً من الجامعات في السعودية والسودان قد اقرت ذلك .

جـ — توجيه طلاب الدراسات العليا الى الموضوعات التى تخدم مبدأ الوحدة وتوضحه والتى تفصل جوانبه وتعمق افكاره .

٢ — الدعوة الى مؤتمـرات للدول الاسلامية واقتراح ذلك والمطالبة به والسعى لتحقيقه ولا سيما في المجالات التالية :

آ — التربية والتعليم (في جميع المراحل) التنسيق بين المناهج ، توحيد مناهج بعض المواد ، توحيد انظمة التعليم توحيد مادة الثقافة الاسلامية ، واقرار تدريسها ، وسائل تعميم اللغة العربية بوصفها اللغة المشتركة للثقافة الاسلامية ولغة القرآن .

ب — التشريع : التنسيق بين القوانين وتوحيد ما يمكن توحيده (للقانون المدني والتجارى والجنائي والاحوال الشخصية وغيرها)

جـ — الاقتصاد :
تنسيق نظم وقوانين الاقتصاد والتجارة والجمارك وتوحـيد ما يمكن توحيده منها ، التنسيق بين اقتصاديات البلدان الاسلاميـة لإيجاد سوق مشتركة واقتصـاد متكامل .

د — السياسة الداخلية :
لتسهيل الانتقال بين البلدان

الاســلامية واعطاء الاولوية في العمل والتعاقد والاقامة .

هـ – السياسة الخارجية : التنسيق الكامل

و – الدفاع : توحيـد المصطلحات والشعارات وانـواع السـلاح والتخطيط للتكامل في صنع السلاح

ز – تكوين منظمة للدول الاسلامية تمهيدا لاقامة اتحاد (Confederation) ثم دولة متحدة (Federation)

٣ – التخطيط للتحرر من التيارات المذهبية والاجتماعية السياسـية المعارضة أو المخالفة للاسلام ويمكن اقتراح ما يأتي :

أ – احتواء ما يمكن احتـواؤه من المذاهب العقائدية الأخرى . مثال ذلك بالنسبة للدعوة القومية : اظهار دور كل شعب من الشعوب الاسلامية في التاريخ والحضـارة الاسلاميين ليكون في ذلك اشباع للعواطف القومية وتحويلها نحو الاسلام – وابراز مبدأ العدالة في الاسلام في مختلف المجالات ولا سيما التشريع لتحويل الميول الاشتراكية ذات البواعث السليمة الى الوجهة الاسلامية ثم صياغتها صياغة اسلامية متميزة عن المذاهب الاشتراكية المختلفة .

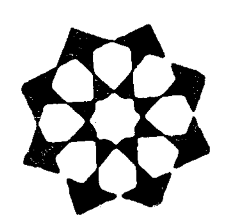
ب – وأما الجوانب التى تعارض الاسلام من هذه المذاهب فيجب معارضتها بابراز المبادئ والافكار الاسلامية المقابلة لها بطريقة ايجابية قوية كبيان مبدأ الاسلام في التعاون بين القوميات على اسس انسانية وفي اتجاه اهداف انسانية في مقابل الاستعلاء القومى المؤدى الى التنافر والصراع والحرب والاستعمار ويمكن للهيئات الفكرية المخصصة وللمفكرين المسلمين القيام بهذه العمليات والتعـاون على ذلك والتخطيط وتبادل الرأى فيه .

جـ – التخفيف من حـدة الخلافات بين الطوائف أو الفرق المسلمة وتطويقها تمهيدا لازالتها أولا لاعتبارها غير ذات شأن في الوحدة وذلك عن طريق ابحاث هادفة ومثال ذلك قضية الخلافة والامامة بين الشيعة والسنة وما يتفرع عنها . والعمل كذلك لايجاد صعيد مشترك سليم الاسس لالتقاء الاتجاهات المختلفة بين المسلمين بوجه عام وفي مقابل ذلك ابراز الافكار المخالفة لاسس الاسلام والتى تقوم بها فرق تنتمى في أصلها التاريخى الى الاسلام . ولكنها انفصلت عنه بسببها لئلا تكون المجاملة على حساب الاسلام مع تذكير

المنتمين الى هذه الفرق بالاصل الذى ابتعدوا عنه وخرجوا عليه . كما هى الحال في الدروز والبهائية والقاديانية وامثالهم .

ان مهمة الجمعيات والهيئات الاسلامية والمفكرين المسلمين والمجلات التى تصدر عنهم كبيرة جدا . اذ عليهم الدعوة إلى الوحدة وتوضيحها وبسط افكارها وتغذية الشعوب بها . والتذكير بها ومطالبة الحكومات بتحقيقها وعقد المؤتمرات لكل ما يخدمها ويقويها ويؤدى اليها ، واشاعة الافكار التى توضحها وتصحيح الاخطاء السابقة في شأنها ونشر التعابير والشعارات التى تدل عليها والتى ترد ما يعارضها ممن التعابير والشعارات التى روجتها واشاعتها المبادئ والمذاهب المعارضة للاسلام تزينا لها .

اعتقد ان عوامل التغيير سائرة في اتجاه الوحدة بين المسلمين افرادا وشعوبا وحكومات على ما في الطريق من معوقات فعلى من تقع عليهم التبعة من اولى القوة العلمية والسياسية أو المالية أو الخبرة ان يكونوا عناصر ايجابية للاسراع وتسديد الخطى نحو الهدف وازالة المعوقات والبناء بتقديم ما لديهم من امكانات وقدرة ، والله سبحانه هو الموفق والمعين والهادى الى سبيل الرشاد .



حضارة الإسلام

دعامة أساسية في الحضارة الأوربية

لفضيلة الشيخ محمد أحمد أبو النصر

إن الحضارة الإنسانية ليست إلا محصلة الجهد البشرى في كل معارف الحياة من الفلسفة . . والقانون . . والتشريع . . ونظام المجتمع . . وأخلاقه وسلوكه . . وقيمه .

وبهذا يعتبر الإسلام دين حضارة . . ومصدر اً أساسياً في حضارة العالم فقد أدى رسالته العالمية وما زال يؤدى وسيظل مصدر إشعاع نوراني على كوكبنا الأرضى لتوجيه البشرية في مجالات الانتاج المختلفة . . إنتاجا مشعاً صافياً . . بل إن كل ما ينعم به إنسان اليوم في سلم الحضارة مادية وآلية تعود إلى فكر الإنسان المسلم منذ العصور الوسيطة وإلى تجاربه وعلومه وتوجيهها نحو خدمة الانسان وحضارته في معراج الكمال الإنساني المنشود .

وإذن فهناك رابط أصيل بين الحضارة المادية والحضارة الصناعية من جهة والحضارة الإنسانية والبشرية في الفكر والوجدان والإرادة من جانب آخر : : وإذا كان الدين منبعاً للحضارة البشرية والعلم أساس الحضارة المادية ، فالدين والعلم متلازمان ، ولا غنى عنهما للإنسان في بناء حضارته والاستفادة من هذا النبع . وهناك نظرة غير عادلة تفصل العلم عن الدين ، وتعطى العلم

قيمة أرفع من الدين وهذا خطأ واضح في فهم طبيعة الانسان وتصوره . .

فهي تنظر الى جانب مضيء بالعين المجردة دون بقية الجوانب الأخرى الخفية من حيث فكره ووجدانه . . وإرادته الحرة ، وإذ قيل في شأن الأسلام بعد ذلك انه دين غير حضارى أو انه لا يتفق مع الحضارة الانسانية — فذلك قول يصور الحضارة بأنها ظواهر السلوك التى تسيطر على المجتمعات الأوربية الآن — أو يصور الأسلام على أنه حاضر المسلمين وسلوكهم في فترات زمنية . . وهذا التصور أو ذاك يحمل معنى الأجحاف والتعسف بمعنى الحضارة ، وينطوى على ظلم شديد في الحكم على الأسلام . لأن ظواهر السلوك في المجتمعات الأوربية ليست دائما ترجمة للحضارة الأنسانية بمعناها الصحيح . . وهو النضوج في الفكر البشرى والعواطف والوجدان . . وسلوك المنتسبين إلى الأسلام كثيراً ما يبتعد عن تطبيق التعاليم الأسلامية ، وجوهر الدين الحنيف .

واصحاب الهـوى والغرض الذين يحكمون على الأسلام أنه كان لفترة مضت ولم يعد صالحا للأسهام في بنائها أو تنميتها : لا ينصفون الأسلام . وأني لهم النَّصفه ؟ ! . . لا ينصفون الأسلام لأنه كما رأينا مصدر رئيسى في بناء الحضارة الأنسانية وغرضهم واضح كل الوضوح في العمل على إبعاد العرب عن أمجادهم وتاريخهم الأصيل ، وقطع صلتهم بالقيم الروحية وبالرسالة التى حملوها ونشروا نورها بين البشرية وأسسوا بها حضارة عربية إسلامية أسهمت ، ومازالت تسهم حتى عصرنا هذا في بناء الأمم والحضارات المعاصرة . حتى إذا ما تأثر العرب المعاصرون بهذا الرأى سهلت قيادتهم لغيرهم ، وتحولوا إلى تابعين ومقلدين في الفكر والتوجيه ومظاهر الأنسانية .

إن الحضارة الأســلامية والسلوك الأسلامى لم يكونا من صنع أحد من البشر ، وإنما هما وحى الله الذى تنزل على سيد البشر محمد — صلى الله عليه وسلم — وأصبح يملأ أرجاء الدنيا نورا وعلما وسلوكا ، وسوف يظل يشع نوره باقيا ما بقى الأنسان .

إننا نؤمن إيمانا لا يتطرق إليه الشك أن الشعوب الحية إنما تفكر بماضيها ، وترتكز في حاضرها على كثير من مقومات أمجاده تستوحى منه مواقفها ، وتستلهم منه مستقبلها فإن هى فقدت

الثقة في ماضيها وتزعزع إيمانها بقدرة آبائها الأوائل ومؤسسى مجدها فقدت ولا شك أول مقوم من مقومات وجودها الحي الا وهو شخصيتها . .

وإن أى أمة تفقد شخصيتها أمة ضائعة منهزمة لا محالة .

وإن الهدف الأسمى لكل داع أن يوقظ في نفوس أبناء الجيل الجديد تلك الروح الجبارة التى دفعت الآباء والأجداد إلى الأخذ بكل أسباب القوة والعزة . .

إن الشعوب لا تموت ، وإنما تكمن قدراتها وتستكين تحت الظروف التى تمر بها . فإن هي عادت إلى مثل الظروف الأولى التى انطلقت منها قدراتها الحقيقية هبّت من رقادها وسلكت . ولاشك — سبيل الحق والعزة والقوة مرة اخرى .

إن الهدف الأول من بحوث الباحثين وآراء المصلحين في كل موقع إسلامى . . هو العمل من أجل تغيير واقع الفكر المضلل الذى أوجده الاستشراق في حنايا هوة الفراغ الفكرى وداخل أدمغة شبابنا ومفكرينا ومن بيدهم مقاليد أمورنا . وساعدهم على ذلك هذا العدو المتدثر بدثار الإعلام الساحر بكلمته المؤثرة وصورته الداعرة ونبض شعوره السام .

ولا أعتقد أننا بمستطيعين تغيير هذا الواقع الذى نعيشه اليوم إلى واقع أنضر وأشرق . . إلا إذا غيرنا تغييراً جذريا تلك المفاهيم المدمرة التى أرساها في نفوسنا ذلك النفر من الضالين والمضللين من أبناء الأستشراق أو الأستغراب أو الذين نقلوا مفاهيمهم وأفكارهم بحسن نية أو سوء نية .

ولا سبيل أمامنا — نحن أبناء هذا الدين السماوى — إزاء كل هذه القوى الجبارة العاتية التى تحاربنا من الخارج ومن الداخل إلا أن نعمل جاهدين على إحياء تلك القوة الكامنة في نفوسنا . . قوة الماضى بكل عناصرها .

فإن بين أيدينا المنهج الكامل ، والدستور القائم أبد الدهر ، وإن أى خروج عليه أو انحراف عنه ، يفسد علينا حياتنا « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » الأنعام : ١٥٣ .

ولا يخطرن في البال ، أن المنهج الرباني الذى رسمه الله لنا ، قد ألزمنا أن نكون آلات صماء ، أو دمى تحركها الخيوط بحيث تلغى العقول والأفهام ، فإن أمراً كهذا لا يكون من تدبير رب العالمين ، الذى منح الأنسان عقلا ودعاه الى النظر به في ملكوت السموات والأرض ، وجعل لهذا العقل مكانه

وسلطانه في كيان الأنسان . يتعرف به الهدى من الضلال ، ويميز به الطيب من الخبيث ، والخير من الشر ، والنور من الظلام .

ولقد رفع الاسلام من شأن العقل ، ولفت ذوى العقول إلى عقولهم ، ودعاهم إلى الانفتاح على موارد العلم والمعرفة .

وما حرم الاسلام « الخمر » إلا لأنها عدو راصد للعقل يغتاله ، ويفسده ، فلا يتمكن من التمييز بين خير وشر . . وهذا ما يشير إليه ربنا « إنما الخمر ، والميسر ، والأنصاب ، والأزلام ، رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ، لعلكم تفلحون » . . أنه لا فلاح أبداً لمن ضل عنه عقله ، وغاب عنه وعيه .

العقل إذن هو عين الانسان المفتوحة على هذا الوجود يتعرف بها إلى حقائق الكون ، وسر الوجود ، وعظمة الخالق ، ويتهدّى بها إلى الله ، ويتعامل بها مع شرعة الوجود . .

فهل بعد هذا يقال ان الاسلام الذى جعله الله تعالى جامعة رسالاته ، والمصاحب للانسانية على مدى الأزمان — هل يعقل أن يخلى مكان العقل من هذا الدين ؟ وكيف يكون حجة الله على الناس ، إن لم تكن بين أيديهم الشواهد الشاهدة على أن هذا الدين هو دين الله ، وأن هذا الكتاب هو كتاب الله ، وأن الرسول الذى جاءهم به هو رسول الله ؟ أنه لا سبيل إلى شئ من هذا إلا بالعقل السليم . القائم على النظر والأستدلال .

فمن زايله عقله ، أو فارقه وعيه ، فلا سبيل له إلى الاسلام والله يقول : « كتاب أنزلناه إليك مبارك ، ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب » وبأى وسيلة يكون تدبر آيات الله إن لم يكن العقل حاضر ا قائما في كيان الانسان ؟ !

يقول الامام الغزالى : « اعلم ان العقل لا يهتدى إلا بالشرع ، والشرع لم يتبين إلا بالعقل . . فالعقل كالأس والشرع كالبناء ، ولن يغنى أس مالم يكن بناء ، ولن يثبت بناء ما لم يكن أس ؟ وأيضا ، فالعقل كالبصر والشرع كالشعاع ، ولن يغنى البصر ما لم يكن شعاع من خارج ، ولن يغنى الشعاع ، ما لم يكن بصر ، ولهذا قال الله تعالى : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه » .

وليس من سبب جعلنا نتخلف عن هذا الركب الحضارى ، ونتقاعس عن دفع تلك العجلة غير عوامل خارجية ألمت بعالمنا العربي ، فأخمدت فينا شعلة المدنية ، وأول هذه العوامل والأسباب ظلم أصابنا وبطش ألم بنا ، وعنف

أذل رقابنا في عهود خلت ، ثم دعايات عبقرية مغرضة ، وأدب وصحافة انحرفا في كثير من الأحيان عن سواء السبيل ، وعجزا عن تكوين رأي عام موحد قوي يستطيع مواجهة القوى المعادية في قالب من الوحدة الفكرية الصامدة .

ومن هنا تقاعسنا وانهزمنا خلقيا ونفسيا ، وأظلمت في نفوسنا منابع الحب والعدل والحق والحرية ، وطغى على وجه هذا المجتمع الباسل العظيم روح الانهزامية والضعف والاستكانة وإذن ينبغي لنا أولاً : أن نتخلص نهائيا من جميع الأوهام والأضاليل والأكاذيب التى اشاعتها أوربا عنا وعن حضارتنا كذبا وبهتانا ، ورددها للأسف جماعة من مفكرينا ، سواء المأجور منهم أو الشعوبي أو الذين شرقوا وغربوا ؟! فبلبلت الأفكار ، ومزقت الأقطار .

وإنى إذ أمسك القلم ، وأسجل خواطرى .. لأشعر من أعماقي بهوة الكارثة التى ألمت بعالمنا الاسلامى نتيجة الحملة المسعورة التى قامت بها الصليبية من قلب أوربا على العالم الاسلامى .

لقد اهتزت شخصية المسلم بسبب ذلك اهتزازا من الأعماق .. وإن أي أمة تهتز شخصيتها وتفقد الثقة في نفسها ، أمة ضائعة منهزمة لا محالة .. أن أملنا في الجيل الجديد أمل بلا حدود . .

وإن تفاؤلنا بما يمكن أن تحققه الأجيال العربية الأسلامية القادمة تفاؤل نبنيه على مقدمات تاريخية ثابتة الأصول . . سوف تنتصر الأجيال القادمة بعون الله إذا آمن أبناؤها بقدرتهم على التفوق والأستعلاء وعملوا على إحياء ما يمكن في نفوسهم من حب للخير والعدل والحكمة ، وجهدوا لتحقيق ما تنطوى عليه عقولهم من قدرة على الأبداع والتجديد .

إن المسلمين قاموا في الماضى بدور من أمجد أدوار التاريخ الأنساني . . وإنهم لأهل لأن يقوموا بمثله مرة أخرى . والخلاصة أن العلماء العرب في عصور الأسلام الزاهية ، قاموا بدورهم الطليعى خير قيام في بناء النهضة العلمية العالمية ، فقد نقلوا التراث الأغريقى وغيره من ألوان التراث العلمى الذى تقدم عليهم في التاريخ .. نقلوه الى اللغة العربية التى كانت لغة العلم في العصور الوسيطة فعلى امتداد الدولة العربية الاسلامية من مشارف الصين شرقا إلى حدود فرنسا وجنوب ايطاليا غربا . . كان كل من أراد أن يكتب علما يقرؤه الناس لجأ الى لغة القرآن الكريم ، فكتب وألف بها ، وظلت كتبهم في العلوم الطبيعية المراجع المعتمدة في جامعات أوربا حتى أواخر القرن السابع عشر حيث ترجمت إلى اللغات اللاتينية

وما إن عرفت الطباعة في منتصف القرن الخامس عشر ، حتى طبعت هذه الكتب عدة مرات ، وشهد كثيرون من مؤرخى العلم من أمثال سارتون ، وهولمبارد ، وسميث ، وكاجورى . وغيرهم بأنه لولا تراث العلماء العرب ، لاضطر علماء النهضة الأوربية إلى أن يبدءوا من حيث بدأ هؤلاء . ولتأخر سير المدنية عدة قرون . وقال بعضهم إنه كان لابد من وجود ابن الهيثم والخازن والكندى وابن سيناء والفارابي والبيروني والخوارزمى ، لكى يظهر جاليليو وكيلر ونيوتن وكوبر نيق .

ويدلنا تتبع الفكر العلمى على مر العصور . . كيف أثر العلماء العرب في النهضة الأوربية . وكيف تأثر علماء أوربا بأعمال العلماء العرب فقد ثبت مثلا أثر العرب في ابتكار نظام الترقيم والصفر والنظام العشرى . وكيف عرف ابن النفيس الدورة الدموية الصغرى قبل هارفي بثلاثة قرون .

وكيف قال الأدريس وابن حزم والخازن بالجاذبية قبل نيوتن بقرون متطاولة . . بل كيف ربط الخازن بين الثقل والسرعة والمسافة مما جعل كثيراً من المحققين يقولون إن صاحب كتاب « ميزان الحكمة » أى الخازن كان يعرف هذه العلاقة التى وضعها نيوتن على هيئة قوانين ومعادلات . وكيف اجرى ابن الهيثم من التجارب لقياس سرعة الضوء ، وتقدير زوايا الأنعكاس والأنكسار وبحوثه في البصريات .

وكيف قاس فلكيو العرب أبعاد الأجرام السماوية وكيف ابتكروا الالآت الفلكية .

وعرفنا أن ابن ماجد الملاح العربي . كان ربان سفينة . . فاسكودى جاما . في رحلاته الاستكشافية في أعالى البحار . وإن جابر ابن حيان هو أول من أسس علم الكيمياء على دعائم قوية وخلصه من التشويه والاضطراب فنقله من صورته المشوبه بالشعوذة والسحر ، إلى علم له قواعده وتجاربه وأصوله . حتى قال عنه « سارتون » بحق . . إن علماء العصر الحالى لم يقدروا أن هذه أعمال رجل عاش في القرن الثاني للهجرة . . لوفرة ما بها من مادة علمية صحيحة ، وشهد له بذلك « هولمبارد » العالم الكيميائي المعاصر .

ويدلنا هذا العرض لتطور الفكر العلمى على آن العرب كانوا بحق واسطة العقد . تأثروا بعلماء العصر الأغريقى ، وعلماء العصر الاسكندرى ولكنهم أثروا بدورهم في علماء النهضة الأوربية .

وإلى حلقة قادمة إن شاء الله

محمد احمد ابو النصر


رسائل
البريد



تلميذى العزيز :

وعدتك في رسالة سلفت أن أحدثك كيف تكون باحثا ، وهأنذا اليوم منجز ما كنت قد وعدتك ، لقد عرفتك من هذه الفئة التى تجد في دراسة العلم لذة لا تنقضى ، وتحس في قراءة الأدب متعة ما لها من نفـــاد ، ولهذا أراني حريصا أن أكتب إليك هذه الرسالة ، حفيا أن أسوق اليك هذا الحديث .

١ – اختيـــار موضـــوع البحث

أول خطوة على دروب البحث – ياتلميذى العزيز – أن تختار موضوعك وعنوان بحثك . واختيار الموضوع من أصعب الأمور في كتابة البحوث وفي تأليف الرسائل : لأن لهذا الاختيار حقوقا كثيرة يجب أن ترعاها حق الرعاية ، وأن تقوم لها خير القيام :

فمن حقه عليك أن يكون موضوع بحثك متصلا تمام الاتصال بميدان دراستك ومادة تخصصك ، وأن يكون مما تتوق إليه نفسك ويهواه الفؤاد .

وينبغى أن يكون موضوع بحثك من اختيارك أنت لامن اختيار غيرك ، وأن يكون ناشئا عن قراءاتك الكثيرة واطلاعك الواسع : على أنه لا ضير في أن تتقبل موضوعا يعرضه عليك أستاذك إذا لاقي هوى نفسك ، وكان واضح الرؤية أمام عينيك ، تستطيع أنت أن ترى أبعاده بوضوح ، وأن تضع خطوطه العريضة بدقة ،

وأن توفيه حقه من الدراسة والبحث .

ومن الخطأ أن تكتب في موضوع يفرض عليك فرضا ، لا تحس رغبة فيه ، ولا ترى له صورة واضحة في ذهنك ، حتى ولو كثرت مصادره ومراجعه ، ورسم لك غيرك خطة العمل فيه .

ومن حق موضوعك أن يكون ذا سعة ، ولكنها سعة ذات حدود يمكن الوقوف عندها وقدأخذ الموضوع حقه من البحث ، وانتهى الباحث فيه إلى رأى .

أما إذا كان الموضوع ذا سعة لا يمكنك أن تلم بأطرافها ، ولا تستطيع لها حصرا ، ولا أن تصل فيه إلى غاية ، فلا ينبغى لك ان تختاره ، ولاينبعي لك أن تكتب فيه .

وكذلك من حقه ألا يكون ضيقا محدود الآفاق ، ليس فيه من المسائل العلمية الرئيسية ولا من الفروع القيمة ما يكفى لأن يصل بالبحث. إلى حده الأدني وقدره المقبول .

وكذلك ينبغى ألا يكون الموضوع صعبا لا تستطيع له فهما ولا هضما ، ولا تستطيع أن تكتب فيه للناس شيئا يؤثر ويذكر .

ومن أعظم حقوق موضوعك عليك أن تخرج فيه على الناس بجديد كأن يرى الناس فيه مشكلة أو مشكلات كانت تنتظر حلاً فتأتي لهم بذلك الحل ، أو شيئا خفي على الناس أمره فتقوم أنت فتجلوه على حقيقته وتظهره نقيا مصفىً . أو يرى الناس فيه مادة علمية كانت مبعثرة هنا وهناك على غير نظام وفي غير ترتيب ، فجئت أنت فلملمت أطرافها المبعثرة ، وضممت شعثها المتفرق ، وأخرجتها للناس متكاملة الصورة متصلة الأطراف ، منسقة الأبواب والفصول .

وعلى وجه الإجمال لابد أن يكون في موضوعك شيءٌ جديدٌ يجذب القارئ وينفع الناس ويمتع ، لا أن يكون مجرد موضوع تنال به الدرجة العلمية ثم لا يهُمك بعد ذلك أن يعلوه الغبار ، ويطويه النسيان ويعيش في ظلمات القبور .

٢ ــ إعداد الأوراق التى تجمع فيها المعلومات

تلميذى العزيز :

الخطوة الثانية على طريق البحث أن تُعِدَّ أوراقك التى تجمع فيها معلومات بحثك .

من الخطأ وضياع الجهد والوقت أن تكتب معلوماتك التى تعثر عليها في المراجع على أوراق مبعثرة لا تستطيع جمعها ولا الرجوع إليها كلما دعت الحاجة . وكذلك من الخطأ وضياع الجهد والوقت أن تكتب معلوماتك على صفحات متوالية في دفتر كبير مجلد ، لأن ذلك سيأتي بمشاق كثيرة في المستقبل حين يأتي دور تنظيم المادة وتنسيقها وضم الحقائق ذات الموضوعات المتماثلة بعض إلى بعض .

ولذلك كان لابد من اتباع إحدى طرائق ثلاث :

الطريقة الأولى طريقة الكراسات ، وهي أن يحضر الباحث كراسات بعدد الفصول التى يقترحها لبحثه ، ويخص كل كراسة بفصل من فصول ذلك البحث ينسخ فيها المعلومات والنصوص التى يعثر عليها في المراجع مما له علاقة بذلك الفصل ، وينبغى أن تكون أوراق كل كراسة كافية لاستيعاب المعلومات المخصوصة بها .

وعيب هذه الطريقة أنها لا تستجيب لأى تغيير في تخطيط البحث ، كنقل معلومات من فصل إلى فصل ، أو إنشاء فصل جديد تكون معلوماته موزعة في الفصول الأخرى .

ولهذا كان الآخذون بهذه الطريقة قلة قليلة .

أما الطريقة الثانية فطريقة البطاقات :

والبطاقات أوراق صلبة سميكة لا يسرع إليها تمزق ولا تشقق ، ثم هى ذات أحجام ثلاثة : حجم صغير مقاسه ٨ × ١٣ سم (ثمانية في ثلاثة عشر سنتيمترا) وحجم متوسط مقاسه ١١ × ١٥ سم (أحد عشر في خمسة عشر سنتيمترا) وحجم كبير مقاسه ١٥ × ٢٣ سم (خمسة عشر في ثلاثة وعشرين سنتيمترا) ومن الباحثين من يفضل الحجم الصغير لأنه من السهل أن يحمل في الجيب ويكون صالحا للاستعمال

خارج البيت ، غير أنه يعاب على هذا الحجم انه لا يتسع لكتابة نصوص طويلة ، فيضطر الباحث أحيانا إلى استعمال أكثر من بطاقة لنص واحد ، وفي ذلك تكثير للبطاقات ، والبطاقات الكثيرة تكلف الباحث عناء ومشقة في تنظيمها وترتيبها وفي مراجعة ما فيها من نصوص ومعلومات .

ولذلك يفضل كثير من الباحثين استعمال الحجم المتوسط ، لأن بطاقته تتسع لكتابة نص كامل في كثير من الأحوال ، وهى بهذا تقلل عدد البطاقات المستعملة ، وفي هذه القلة يسر في التنظيم والترتيب والمراجعة .

وعلى الباحث الذى يتبع طريقة البطاقات أن يحضر العدد الكافي منها ، يشتريها من المكتبات ، أو يصنعُها بيده إذا آنس من نفسه القدرة على ذلك ، ثم يأتي بظروف قوية واسعة ويجعل لكل فصل أو فكرة رئيسية ظرفا خاصا ، يضع فيه البطاقات التى تتعلق به ، ويكتب على ظاهر كل ظرف موضوع البطاقات التى في داخله ، فيكون من السهل دائما أن يضع كل بطاقة في مكانها ، وأن يرجع إلى أي بطاقة في أى موضوع يريد .

وينبغى للباحث أن يرتب البطاقات التى في داخل كل ظرف على النحو الذى يراه مناسبا لدراسة ما فيها من المستقبل ، ولعقد الموازنات والمقارنات بين ما تشتمل عليه من معلومات ونصوص .

أما الطريقة الثالثة فطريقة الإضبارة ، والإضبارة معروفة ، ولكنها ذات أشكال كثيرة وأحجامٍ مختلفة ، والتى أريدها هنا هى ذات الحجم الكبير التى مقاسُها ٢٨ × ٣٥ (ثمانية وعشرون في خمسة وثلاثين سنتيمترا) وعرض كعبها ثمانية سنتيمترات وفي داخلها حلقتان تفتحان وتغلقان بسهولة ولا يستعمل لها إلا الأوراق المثقوبة .

وبعد أن يضع الباحث في هذه الإضبارة قدرا كافيا من الأوراق يقسم هذه الأوراق أقساما بعدد الفصول التى بَنَىَ عليها بحثه ، ثم يلصق لسانا بارزاً من الورق المقوى في الطرف الأعلى وفي الجانب الأيســر للورقة الأولى من كل قسم ، ويكتب على

على الجزء البارز من هذا اللسان عِنوانَ الفصل المخصوص بهذا القسم من هذه الإضبارة .

ومما تمتاز به هذه الطريقة الثالثة أن الباحث يستطيع أن يضيف أوراقا جديدة في أى مكان من الإضبارة ، وأنه يستطيع كذلك أن يَنقلَ الأوراق المشتملة على المعلومات والنصوص من فصل إلى فصل إذا بدا له ذلك .

ومما تمتاز به هذه الطريقة أيضا أن الفصولَ وأوراقها المشتملة على المعلومات تظل في داخل الإضبارة مرتبة منسقة على الصورة التى رسمها الباحث يمسكها من الداخل حلْقتان محكمتان ، ويصونها من الخارج جداران قويان . على حين أن البطاقات في الطريقة الثانية عرضة للسقوط والضياع والاختلاط والفوضى .

وما تمتاز به أيضا أنك تستطيع الرجوع إلى أي نص أو معلومات مكتوبة فيها دون عناء ودون إبطاء . وليس الأمر كذلك في طريقة البطاقات .

وتعطيك هذه الإضبارة — زيادة على ما تقدم — صورة كتاب تام تستطيع أن تنظر إليه نظرة شاملة فترى ما بين فصوله وأجزائه من تماسك وتناسق وتسلسل ، أو تفكك وتنافر واضطراب ، وفي ضوء هذه النظرة الشاملة نستطيع أن تقف الموقف الحق ، فإما أن تبقى ما كان على ما كان ، وأما أن تغير وتصلح .

وفي طريقة البطاقات لا تستطيع أن ترى هذه الصورة .

إضـــبارة المراجع

ومن الخير لك أن تعد إضبارة أخرى تسمى إضبارة المراجع ، وهي غير الإضبارة السابقة التى تسمى إضبارة جمع المعلومات .

وإضبارة المراجع هذه كتلك في الحجم والتكوين واستعمال الأوراق المثقوبة ، غير أن هذه لا تقسمها فصولا وأبوابا ، ولكنك ترتب صفحاتها بالرقم العددي المسلسل ، وتجعل في آخرها فهرسا يبين مكان كل مرجع في الإضبارة .

ولعلك تسأل وتقول : ماذا أكتب في إضبارة المراجع ؟

تكتب فيها عن كل مرجع تقرؤه ما يــلى :

١ — اسم الكتاب واسم المؤلف كاملين .

٢ — اسم الناشر ومكان النشر ورقم الطبعة إذا أمكن ذلك .

٣ — عدد صفحات الكتاب وعدد اجزائه .

وإذا كان المرجع مجلة أو جريدة ذكرت اسم المجلة أو الجريدة ورقم الصفحة واسم الكاتب وتاريخ العدد ورقمه .

وينبغى أن تضيف إلى البيانات السابقة عن كل مرجع تقرؤه كلمة موجزة تصف فيها قدر ما تستطيع موضوع المرجع وخصائصه ، وأبرز نواحى القوة ونواحى الضعف فيــه وتذكر أرقــام صفحات الموضوعات التى تثير اهتمام الباحث والمراجع التى اعتمد عليها ذلك المرجعُ إن وجدت .

وبعد أن تكتب ذلك كله في إضبارة المراجع تسأل الأساتذة المختصين عن ذلك المرجع وترى رأيهم فيه وتضيفه إلى ما سبق .

وفي مساءلة الاساتذة المختصين عن كل مرجع تقرؤه فوائد كثيرة :

منها أنها تزيدك معلومات جديدة عن المرجع .

ومنها أن ما يقوله الأساتذة يعدُّ نقدا وتقويما لما كتبته أنت عن ذلك المرجع .

والفائدة الثالثة أنك بما يقوله الأساتذة تزداد قدرة على النقد وقدرة على التعمق فيما تقرؤه من مراجع .

وأحب أن أقول لك قبل أن أودع إضبارة المراجع إنها ليست مقصورة على مراجع بحث معين ، وإنما هى عامة تفتح صدرها مدى الحياة لكل مرجع تقرؤه ، فهي صديقة عمرك كله .

والآن إلى الخطوة الثالثة

٣ – العثور على المراجع

والخطوة الثالثة على طريق البحث هى العثور على المراجع ، وقبل العثور على المراجع أقول :

من الباحثين من يجعل الفرق قائما بين كلمة مصدر و كلمة مرجع ، فإذا قلت في بحثك ورأى سيبويه في هذه المسألة كذا و كذا ، و كنت قد نقلت ذلك من كتاب سيبويه فأنت حينئذ قد نقلت من مصدر ، وإذا كنت قد نقلت رأي سيبويه من كتاب آخر قد نقلت حينئذ من مرجع .

ومن الباحثين من لا يرى فرقا بين كلمة مصدر وكلمة مرجع ، وإنما يفرق بين المصادر والمراجع بالوصف ، فنقل رأي لسيبويه من كتاب سيبويه نقل من مرجع أصلى ومصدر أصلى ، ونقل رأى سيبويه من كتاب آخر نقل من مرجع فرعى ومصدر فرعى .

وإذا قلت في بحثك: ورأى الشافعية في هذه المسألة كذا وكذا ، فإذا كنت قد نقلت رأيهم من كتبهم المعتمدة فقد نقلت من مرجع أصلى ومصدر أصلى ، وإذا كنت نقلت رأيهم من كتب المذاهب الأخرى فقد نقلت من مرجع فرعى ومصدر فرعى ، وهكذا .

وينبغى للباحث أن يعتمد في معلوماته التى ينقلها ، وفي آراء العلماء التى يسوقها ، وفي غير ذلك مما ينقل ، أن يعتمد على مراجعها الأصلية ما أمكنه ذلك ، لأن المراجع الفرعية تنقل من غيرها ، وهذا النقل عرضة للزيادة والنقص ، وعرضة لأن يكون الناقل قد أساء الفهم أو أساء القصد .

وينبغى للباحث كذلك أن يقرأ الكلمات المطبوعة بشيء من الدقة والحذر ، لأنه كثيرا ما تقع في الطباعة أخطاء تفسد المعنى وتوقعُ في اللبس .

بعد هذا قد تسأل وتقول : ولكن كيف أعثر على المراجع ؟

للعثور على المراجع طرق كثيرة :

منها القراءات الخارجية للباحث واطلاعه الواسع من قبل أيام كان طالبا في الكلية

وفي الدراسات العليا وبعد التخرج ، وهذا الطريق أفضل الطرق وأعلاها شأنا ، وينبغي أن يكون طريق كل باحث .

ومنها أن يزور الباحث المكتبات العامة والخاصة ، وأن يقرأ فهارسها التي تتصل بمادة بحثه ، وأن يسائل المشرفين على هذه المكتبات ومن لهم اطلاع على ما فيها من مراجع وكتب .

ومنها أن يسأل رؤساء الأقسام في الجامعات وأساتذة المادة التي ينتمي إليها بحثه عما يعرفونه من مراجع أصلية .

ومنها الاطلاع على البحوث والرسائل السابقة التي تناولت موضوعات ذات صلة وثيقة ببحثه ، وهذا الاطلاع سيفيدك إفادتين :

الأولى : أنك ترى طرق التصدى لمسائل العلم ، وكيف تكون الخطط في بناء الرسائل وترتيب فصولها ، وفي هذا ما يزيدك خبرة ويوسع آفاق تصورك لأعمال البحوث .

والثانية : أنك تطلع على قوائم المراجع التي اعتمدت عليها تلك البحوث وأغلب الظن أنه سيكون بين تلك المراجع كتب قيمة تصلح أن تكون أيضا مراجع لبحثك .

٤ ـ كيف تقرأ المراجع

الخطوة الرابعة على طريق البحث كيف تقرأ المراجع :

ينبغي لك ـ ولكل قارئ ـ أن تجيد القراءة بعينيك دون أن تحرك لسانك وشفتيك ، لأن القراءة بتحريك اللسان والشفة قراءة بطيئة جدا لا تجاوز مئة كلمة في الدقيقة إلا قليلا ، على حين يستطيع القارئ الجيد المدرب أن يقرأ بعينيه دون لسانه وشفتيه ما يزيد على أربع مئة كلمة في الدقيقة الواحدة . وشتان ما بين القراءتين في الوقت والجهد .

وينبغي لك ـ ولكل باحث ـ أن تكون قارئا ناقدا تستطيع أن تتبين الفكرة الرئيسة في كل فقرة وفي كل فصل ، وأن تتبين كذلك ما ينطوى تحت الفكرة الرئيسة من فروع ذات قيمة .

وينبغى لك إذا أردت أن تكون باحثا مجيدا أن تتقن قراءة المراجع ، فلا تقرأ ما بين الدفتين كلمة كلمة وسطرا سطرا ، وإنما تتبع الخطوات الأربع التالية :

الخطوة الأولى في قراءة المرجع أن تقرأ مقدمته ، ففى هذه المقدمة يذكر المؤلف في أكثر الأحيان الغرض من تأليفه ، ويعطى صورة مجملة عما جاء فيه ، ويبين الطريقة التى اتبعها في تأليف الكتاب .

والخطوة الثانية في قراءة المرجع أن تنتقل من المقدمة إلى الفهرس ، وفهارس كثير من الكتب الموسعة تذكر الموضوع الرئيسى وتذكر ما ينطوى تحته من مسائل فرعية . اقرأ الفهرس أكثر من مرة قراءة دقيقة واعية، وكلما مررت بمسألة تتصل ببحثك كتبتها حالا في مكان مخصوص بها في إضبارة المعلومات ، وكتبت البيانات الدالة عليها من رقم الصفحة والجزء واسم الكتاب والمؤلف — لتعود إليها فيما بعد فتقرأها بأناة ودقة ، وإذا انتهيت من قراءة الفهرس وكتابة البيانات الدالة على ما فيه من مسائل تتصل ببحثك خطوت الخطوة الثالثة وهى قراءة التصفح .

وقراءة التصفح تعنى أن تقلب أوراق الكتاب كلها ورقة ورقة ، وأن تنظر إلى كل صفحة من صفحاته نظرة دقيقة حادة كنظرة الصقر الذى يطير سابحا في السماء ومع ذلك لا يخطئ فريسته التى تدب على وجه الأرض .

وعليك في أثناء هذا التصفح أن تقرأ بعض الجمل والسطور هنا وهناك ، وأن تقرأ بعض الفقر والفصول من حين إلى حين لتعرف أسلوب الكتاب ونهجه ، وإذا رأيت في أثناء التصفح شيئا ذا بال يتصل ببحثك فأشر إلى ذلك في إضبارة جمع المعلومات كما فعلت في المسائل التى عثرت عليها في الفهرس ، لتعود إليه فيما بعد فتقرأه على هينة وعناية .

وعلى كل حال فسوف تعود عليك قراءة التصفح بفائدتين :

الأولى : أنها تحدد لك المسائل والمعلومات التى تتصل ببحثك .

الثانية : أنها توفر جهدا ووقتا كانا سيضيعان في قراءات كثيرة ليس وراءها طائل ولا نائل .

وبعد قراءة التصفح تخطو خطوتك الرابعة في قراءة المراجع ، فتعود إلى المسائل والنصوص والمعلومات التى عثرت عليها في فهرس المرجع وفي أثناء قراءة التصفح فتقرؤها بعناية وأناة كلمة كلمة وسطرا سطرا ، وكلما انتهيت من قراءة شيء ورأيته جديرا بالنسخ نقلته إلى إضبارة جمع المعلومات في الفصل الذى تندرج تحته .

ولكن كيف تنقل المعلومات والنصوص التى عثرت عليها في المراجع ؟

أتنقلها حرفا حرفا وكلمة كلمة ، أم تنقلها بعد أن تلخصها بأساوبك وتحذف ما لا غناء فيه لبحثك ولا خير يرجى من نقله ؟

هذا شيء قد اختلف فيه الباحثون على ما ستراه في الخطوة التالية :

٥ — كيف تنقل المعلومات من المراجع

الخطوة الخامسة على طريق البحث يا تلميذى العزيز — كيف تنقل المعلومات والمسائل التى تعثر عليها في المراجع ؟

يرى فريق من الباحثين أن تنسخ المعلومات والمسائل كما وردت في مراجعها الأصلية حرفا حرفا وكلمة كلمة دون أن تبدل أو تحذف أو تزيد أو تلخص ، وعليك بعد أن تنتهى من جمع كل ما قدرت عليه مما يتصل ببحثك أن تعود إليه فتقرأه مرة ثانية بأناة وإمعان نظر تحلل وتوازن وتستنبط وتلخص وتأخذ ما كان وثيق الصلة ببحثك ، وتدع ما كان بعيدَ الصلة ليس بذى قيمة .

ويقول هؤلاء الباحثون ردا على مخالفيهم إن نقل المواد العلمية من المراجع ملخصة بأسلوب الباحث عرضة لإهمال المعلومات الصغيرة والتفصيلات الفرعية التي قد يراها الباحث حين التلخيص بعيدة عن موضوع بحثه، أو يراها أشياء ليس لها قيمة، ثم يتبين له بعد ذلك حين يقوم بعملية نقد المادة التى جمعها أن بحثه في حاجة إلى تلك التى أهملها فيضطر إلى أن يعود الى المراجع مرة ثانية يقرأ وينسخ ، وقد يكلفه الوصول

إلى تلك المراجع وقتا طويلا ، وقد يكون الوصول إليها صعبا بعيد المنال .

ويرى فريق آخر من الباحثين أن النص الذى ينسخ نسخا حرفيا دون تغيير هو ما كان لألفـــاظه قيمة ذاتية يجب المحافظة عليها ، أو ما كان لألفاظه غرض خاص يتصل بنقطة معينة في البحث ، أو ما كانت كلماته معدودة لا تجاوز السطرين والثلاثة .
أما المواد العلمية التى تجئ في المراجع ملء الصفحة والصفحتين وما يقرب من ذلك ، وكذلك المواد التى تكون ضعيفة الصلة بالبحث ، والمواد الضحلة التفكير — فإن نسخها نسخا حرفيا مضيعة لجهد الباحث ووقته .

ويقول هذا الفريق يجب على الباحث أن يكون باحثا ناقدا منذ البداية يحلّل ما يقرؤه في المراجع ويقوّمه فيأخذ الصالح منه وما كان له قيمة ، معبرا عنه بأسلوبه ، ويترك ما لا خير فيه وما كان بعيد الصلة .

وإذا جدّت حاجة إلى شيء كان الباحث قد تركه وأغفله ، وهذا شيء لا يحدث إلا في النّدرى ، فمن السهل أن يعودَ إليه بمساعدة البيانات التى يكتبها في إضبارته وتشيرُ إلى كل شيء يعثر عليه في المراجع مما له علاقة ببحثه .

ويقول هذا الفريق أيضا إن الباحث الذى لا يلتزم بالنسخ الحرفي من المراجع يجد نفسه دائما مضطرا إلى أن يفهم كلّ ما يقرؤه وأن ينقده ويقومه ليصل إلى ما هو صالح وجدير بالأخذ والنقل .

وأنه يجد نفسه كذلك مكلّفا أن يعبر عن تلك المعلومات التى يختارها من المراجع بأسلوب جديد من عنده قوي الدلالة دقيق التعبير .

وأنه بسبب هذه القراءات الكثيرة وهذا النقد والتقويم لما يقرأ ، وبسبب ممارسة التعبير عن تلك المعلومات المختارة ، بسبب هذا كله تنمو عند هذا الباحث القدرة على فهم المواد العلمية ونقدها وتمييز الصالح الجيد مما ليس بذى صلاح وجودة .

وتنمو عنده كذلك القدرة على نقد المراجع وتقويمها ، وتنمو عنده كذلك القدرةُ على الكتابة العلمية .

ثم إنه بهذه التلخيصات التى كتبها يكون قد أعدّ لبناتٍ كثيرةً صالحة لبناء المسوّدة الأولى لبحثه .

ولا شك أن هذه القدرات والتلخيصات تعد غنما عظيما يغنمه الباحث الذى لا يلتزم النسخ الحرفي للمعلومات ، على حين يفقدها الباحث الذى يلتزم .

وقد تسألني وتقول : أى الرأيين ترى ومع أي الفريقين تذهب ؟

أرى أن طريقة التزام النسخ الحرفي من المراجع أصلح للباحث المبتدئ ، وأما طريقة الذين لا يلتزمون فأغلب الظن أنها لا تصلح إلا للباحثين الذين سبقت لهم تجارب في إعداد البحوث .

وأنا أميل إلى الطريقة الأولى طريقة الالتزام وإن كانت محاسن الثانية كثيرة جدا .

ومهما يكون من أمر فهناك أمور شكلية لابد من اتباعها لدى كل باحث ،

أولها : لايجوز أن تكتب أو تنسخ إلا على وجه واحد من الورقة أو البطاقة ، ولا يجوز أن تكتب على ذلك الوجه إلا نصا واحدا .

وثانيها : يجب أن تكتب في الجانب الأيمن من أعلى الصفحة أو البطاقة قبل أن تنسخ أية كلمة البيانات التالية :

أ – رقم الصفحة التى تنقل منها النص أو المعلومات ورقم الجزء .

ب – اسم الكتاب والمؤلف والناشر ومحل النشر ورقم الطبعة .

وثالثها : يجب أن تكتب في الجانب الأيسر من أعلى الصفحة عنوانا موجزا واضح الدلالة على مضمون ما تنسخ في تلك الصفحة ، ليسهل عليك الرجوع إلى أي نص أو معلومات حين تدعو الحاية إلى ذلك .

ورابعها : يجب أن تكتب دائما بالحبر لأن كتابة قلم الرصاص سهلة الزوال بكثرة لمس الأوراق وتقليبها .

وخامس هذه الأمور : يجب أن تنسخ دائما بدقة ووضوح ، وإياك وأن تسرع في النسخ فإن هذه السرعة قد تجعلك في حاجة إلى الرجوع إلى الأصل مرة ثانية

لتعرف قراءة كلمة أو لتعثر على كلمة أو جملة سقطت من النسخ ، فإن الرجوع إلى الأصل يأخذ وقتا غير قليل وربما كان غير سهل ولا ميسر .

وقبل أن نخطو الخطوة الأخيرة أحب أن أنبهك إلى أمور حقيقة ألا تغفل عنها وجديرة أن تلاقي عناية منك ورعاية .

قد تلمع الفكرة أو الرأي في ذهنك وأنت تقرأ الكتب أو تدرس المسائل أو تنسخ النصوص .

وقد تترك القراءة الأولى لما تقرؤه انطباعات عميقة أو تهيج إثارات عاصفة . وقد تمر بخلدك خواطر تلمع كالبرق الخاطف لا تطول ولا تنتظر ، ولاتدرى كيف أقبلت ولا من أين جاءت .

كل اولئك يجب أن يكتب لحظة مجيئه في مكان خاص في إضبارتكدون ما تأجيل أو تريث ، اكتبه قبل أن يفلت من ذاكرتك بأى أسلوب يجرى به القلم وبأية عبارات تسبق إلى الذهن ، وحين تعيد النظر فيه وتدرسه مع ما تدرس من معلومات جمعتها ونصوص نقلتها سيكون لديك متسع من الوقت لتعبرّ عنه بقوة وحسن بيان .

إياك وأن تستهين بمثل هذه الأشياء فقد تكون من أفضل ما اشتمل عليه بحثك وإياك وأن تظنها سهلة الصيد سهلة التذكر ، فالخواطر العابرة والانطباعات الأولى والآراء اللماحة لاتزورك إلا مرة واحدة كردّ الطرف ثمهيهات هيهات أن تعود .

٦ – كيف تكتب مسوّدة بحثك

الكتابة – سواء أكانت علمية أم كانت أدبية – موهبة وهبها الله بعض عباده واستعداد فطرى فطر الله عليه بعض الناس . والمرانة الطويلة ، والممارسة المستمرة ، والقراءات الكثيرة الراشدة التى لا تنقطع ، تصقل تلك الموهبة صقلا فتضىء ، وتنمى ذلك الاستعداد الفطرى فيزهر ويثمر .

من أجل ذلك لم تكن هذه الخطوة لتجعلك كاتباً مجيدا أو باحثا فصيح القول

رائع البيان ، وإنما كانت لتهديك سبيل الرشاد في البناء الخارجي للبحث وفي تخطيطه العام .

وعلى هذا أكتب إليك وأقول :

بعد الانتهاء من جمع معلوماتك من المراجع تعود إلى قراءتها مرة ثانية قراءة تفهم وتحليل وتقويم ، ولا شك أن هذه القراءة الثانية ستعطيك صورة جديدة عن موضوعك ، وتمدك بمعلومات جديدة لم تكن تعرفها من قبل .

وسوف يحملك هذا في أغلب الظن على أن تحدث تغييرا في خطة بحثك كأن تزيد عنوانا جديدا ، أو تحذف عنوانا قديما ، أو تضم عنوانا إلى عنوان .

فلا تلتزم بالخطة التي وضعتها أولا إن بدا لك بعد القراءة الثانية أن هناك ما يقتضى التغيير ، ومن الخير أن تغير وتبدل كلما رأيت ذلك أفضل وما دام البحث بين يديك لم يخرج إلى أيد أخر .

وحذار حذار أن يكون موقفك أمام ما جمعته من معلومات ونصوص موقف الباحث العاجز الذى يبقى عليها جميعها بنصها الحرفي ويكون عملُه أن يضم ما تجانس منها وتماثل بعضه إلى بعض مع حذف كلمة من هنا وتغيير جملة من هناك ، ثم يقول للناس هاؤم اقرءوا كتابي ، وما هو بكتاب له ، وأني له ذلك، ولو قلنا لما فيه من ألفاظ وجمل وفقر وآراء عودى إلى مراجعك الأولى لطارت جميعا ولما بقي له منها شيء .

عليك أن تقف أمام ما جمعته من معلومات موقف الناقد المبصر ، الذي ينخل معلوماته نخلا ، فيأخذ اللباب ويدع القشور .

ولا تأسف على ترك معلومات قد بذلت في نسخها الجهد والوقت ، إذا تبين لك أن البحث لم يعد في حاجة إليها .

وعليك أن تحسن التعبير عما تختاره من معلومات وآراء فتصوغها صياغة جديدة دقيقة مشرقة البيان واضحة الدلالة .

حذار أن تقع فيما يقع فيه بعض الباحثين فتجعل همك ووكدك أن ينتفخ بحثك ويتضخم ، فتحشدَ له معلومات كثيرة على غير حاجة ، لتقول للناس انظروا كم

جمعت من معلومات وكم قرأت من مراجع .

إن الذين يقرءون بحثك يا تلميذى العزيز ليسوا أناسا عاديين تستطيع أن تخدعهم بمثل هذه المظاهر ، إنهم يقولون لك : كلما كثرت المعلومات المنقولة من المراجع في متن البحث قلّ النقد والتحليل والاستنباط وظهر عجز الباحث . فإذا أردت أن تنال رضا الناس وإعجابهم ، فليكن ذلك بما يشتمل عليه بحثك من فهم عميق للنصوص ، وتحليل دقيق للمعلومات واستنباط آراء جديدة سديدة تدل على بعد نظر وذكاء .

لا تستشهد في بحثك بالنصوص المنقولة الطويلة التى تبلغ الصفحة وتزيد ، فإن النصوص الطويلة صدوع عميقة في بناء بحثك تفقده التماسك والتسلسل ، وتضعف رغبة القارئ في مواصلة القراءة . فإذا زاد النص على ثلاثة أسطر فلا تورده في بحثك بنصه الحرفي ، لخصه بأسلوبك وأشر إلى مصدره في الهامش .

على أن ايراد النصوص الطويلة يكون حسنا مقبولا إذا كان الغرض منها عرض نماذج لأدب شاعر وكاتب أو إعطاء صور من كتاب مؤلف .

لا تكثرنّ من الإشارة إلى المراجع في هامش كل صفحة ، وقد يكون الباعث على كثرة الإشارات أنك تريد أن تظهر سعة اطلاعك وكثرة مراجعك وقد يكون الباعث ضعف الثقة بنفسك ، فأنت بهذه الإشارات تريد أن تلقي في روع القارئ هذه الثقة .

وأيّاً كان الباعث فالإشارات الكثيرة عبء ثقيل جدا على نفس القارئ ، حين يرى عينيه تصعدان وتهبطان كلما قرأ بضعة أسطر .

أشر إلى المراجع إذا دعت حاجة ملحة إلى ذلك كأن تنسبَ إلى عالم مشهور رأيا لا يتوقع أن يصدر عنه ، أو تسوق معلومات قد تثير شك القارئ في صحتها أو تردده في قبولها .

لا تكرر الآراء والمعلومات في فصول بحثك المختلفة ، فالتكرار ضعف في

البحث وعجز في مقدرة الباحث أن يضع المسائل والآراء في مواضعها الصحيحة الثابتة .

والتكرار إلى جانب ذلك مدعاة إلى سأم القارئ وإملاله .

يجب أن ترتب معلومات بحثك وفصوله على أساس سليم محكم ، بحيث لو نقلنا فصلا من مكانه إلى مكان آخر لظهر الخلل وبان الاضطراب .

وأنت قد اطلعت على مراجع كثيرة مختلفة ، ورأيت كيف تكتب المقدمات ، وما الذى تشتمل عليه المقدمات ، ورأيت تتابع فصول الكتب تتابعا مشوقا منطقيا بحيث يكون كل منها مبنيا على ما قبله وأساسا لما بعده ، ولا شك أن اكتسبت من وراء ذلك قدوة حسنة وتجارب واسعة .

يجب أن يكون أسلوب كتابتك بعيدا عن التكلف ، خاليا من الزخارف اللفظية والجمل المحفوظة المكرورة .

ويجب ألا يكون مبتذلا مرذولا لا تكاد تفرق بينه وبين العامية الا في إعراب أواخر الكلم .

ويجب أن تكون الكتابةُ خالية من الأخطاء النحوية والأخطاء اللغوية ، فأنت ما درست النحو من أجل الامتحان ، وإنما درسته ليكون صديق العمر كله .

وإن كبار الأدباء والعلماء يظلون طوال حياتهم يرجعون إلى معاجم اللغة في معاني الكلمات الصعبة وتعدية الأفعال بالحروف وصحة بعض التراكيب ، فأنت حقيق أن تسير سيرتهم وأن تتبع خطاهم .

وإذا كانت الأخطاء النحوية والأخطاء اللغوية تعد عيبا منكرا ، في كتابة الطلاب ، فأي شئ نعدها في بحوث العلماء وفي رسائل الباحثين ؟ ! !

إياك وأن تجعل مسوّدة بحثك التى تكتبها أول مرة هى النصّ النهائي الذى تعلنه للناس .

فكثيرا ما يحدث أن يكتب الباحث صفحات من بحثه أو بعض فصوله ، وهو يعيش حياة غير عادية ، وفي أحوال نفسية وعاطفية غير هادئة ولا معتدلة .

وقد يكتب الباحث وهو كالٌّ تعِب ، فيأتي بالغث الذى لا خير فيه ، وقد يكتب مسوقا بالهوى والتعصب ، فيكون بعيدا عن الحق والعدل ، وقد يكتب عن رجل عظيم معجب به فلا يرى له إلا الحسنات .

ولهذا ولغيره يجب أن تترك مسوّدة بحثك الأولى فترة من الزمن كافية لتغيير الجو الذى كتبت فيه ، ثم تعودَ إليها ، ولكنك حين تعود يجب أن تقرأها قراءة مدرس إنشاء حاذق يسيءُ الظن بدفتر طالب ضعيف ، اقرأها كأنما كتبها باحث غيرك ، وقد طلب منك أن تقومها وتبينَ ما فيها من قوة وضعف ومن عمق وسطحية ومن صواب وخطأ .

اقرأها قراءة جهر بأناة وتؤدة ، لترى كيف يجرى بها لسانك ، وكيف تستقبلها أذنك ، وكيف يكون جرس الألفاظ ووقع الجمل على سمعك . فاللسان يتذوق الكلام كما يتذوق الطعام ، وللآذان أحكام قلما تخطئُ وتظلم .

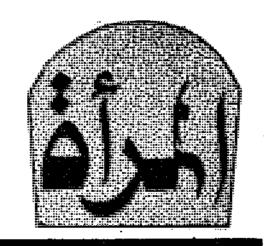
فإن رأيت بعد هذه القراءة أن مسوّدة بحثك لا تزال تحظى برضاك وإعجابك وأنها لا تزال تحتفظ بقوتّها وجدتّها فلتكن هى النص النهائي لبحثك . وإن بدا لك فيها رأي آخر فغير ، احذف وأضف على النحو الذى تراه صوابا ، ولا تحزن على شيءٍ يحذف ، ولا على وقت أو جهد يضيع ، فهذه أشياء قد اعتادت الباحثين من قبلك .

وليس هناك من باحث يستطيع / فيما أظن / أن يزعم أن مسوّدة بحثه الأولى كانت هى النص النهائي لبحثه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

• • •


الإسلام
و
المجتمع



المرأة في ظلال الإسلام

للدكتور خالد علي كماخي

جلست برفقة بعض الكتب العلمية ، وقد انقضى من الليل نصفه أو أقل قليلاً ، أعد محاضرة لطلبتي في إحدى السنوات المتقدمة في كلية علوم جامعة الرياض لأواصل معهم ما بدءوا دراسته مع مطلع عامهم الدراسي . وعندما فرغت من هذا الالتزام الواجب ، شرعت في إعادة ترتيب ما استعنت به من مراجع ، فلفت انتباهي كتاب كنت قد استقبلته هدية كريمة من معالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ وزير التعليم العالي ، ويتضمن نص المحاضرة القيمة التي سبق ان القاها في النادي الأدبي بجده منتصف شهر ذي القعدة من عام خمسة وتسعين وثلاثمائة وألف تحت عنوان « المرأة . . . كيف عاملها الإسلام . ؟ » .

كتاب يفرض نفسه :

أخذت الكتاب وشرعت في قراءة ما احتوته صفحاته من حقائق فشعرت بأنه يفرض نفسه على قارئه ، فلا يملك إلا أن يتابع القراءة الى نهاية الكتاب ، وذلك للطريقة الفنية والموضوعية الواعية في الأسلوب الذى شاء معاليه أن يصوغ به هذه الرسالة الى الأمة الإسلامية في وضوح تام ، مبيناً وضع المرأة في الحياة بوجه عام — وتقويم المرأة المسلمة في إطار الشريعة الإسلامية السمحة ، ووضعها في الحياة من وجهة نظر العقيدة الخالدة بوجه خاص . وما أن فرغت من قراءة الكتاب للمرة الاولى حتى حدثتني نفسي بضرورة العودة إليه مرة أخرى ، على أن أختار لنفسي ظروفاً اكثر ملاءمة للاستيعاب تسر الناظرين والطاعمين . وهكذا

قرأت الكتاب للمرة الثانية ، فاذا هو عظيم الفائدة وإنَّ فيه لعظة وعبرة لكل من شاء أن يتعظ أو يعتبر ، ولكل من يتطلع الى نجاح موفق في فهم العلاقات الإنسانية ، ويستهدف الرفعة وينشد الكرامة لنفسه وذويه ، رجلاً كان أو امرأة ، وذلك من خلال الايمان بالله وكتبه ورسله ، عليهم أجمعين افضل الصلاة وأجل التسليم . فيعرف كل من الرجل والمرأة ما لهما وما عليهما من حقوق وواجبات .

شخصية المرأة في ظل الشريعة الإسلامية :

ثم عدت أناظر بين الأمس (ما قبل الاسلام وبعده) واليوم بوحي مما وعت ذاكرتي بشأن ما كُتب عن المرأة (قضية العصر الحديث) فتيقنت أن كتاب اليوم يلقى كثيرا من الضوء على شخصية المرأة ، ويتلخص في الأمور الثلاثة التالية :

١ – المرأة في العصور القديمة وإن شئت فقل العصور المظلمة ، وكيف اوقف الاسلام منذ إشراق فجره سلسلة المظالم التى واجهتها المرأة ، والتى قد يمكن ان تواجهها في المستقبل .

٢ – مفهوم العناية الصادقة والرعاية المخلصة للمرأة .

٣ – المساواة كما رآها دين الحق فأقرها وأوصى بها .

وكل هذه العناصر الثلاثة مؤيد بقبس من آيات الله الحكيم ، وبما حفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما هنالك من شواهد وأحكام الواقع والمصالح الانسانية . وفي الجملة فان الكتاب ثمرة بحث مفصل قصد به إبراز شخصية المرأة في الإسلام ، فترك في نفسي ما لابد أن يستثيرها

الاسلام والمذاهب الوضعية :

ويقف دين الحق قوياً في الدعوة الى الانصاف وخلق اسباب الحياة الكريمة القائمة على المودة والرحمة « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » وهكذا يحفظ للجنس البشرى كرامته على مدى الأجيال المتعاقبة حتى يرث الله الأرض ومَنْ عليها ، ويضمن له استمرار التعاون البنَّاء بين جنسَيْه على المنهج الاسلامي ، الذي ارتضاه خالق الكون سبحانه وتعالى للبشر عامة منذ نزل قوله الحكيم : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا) وذلك على النقيض من كثير

من النظريات الاجتماعية الوضعية التي يدعو إليها الشيطان وأتباعه ، لإبداع مذاهب تناوئ الإسلام سراً وعلانية ، تلك المذاهب التى (لا تجنى البشرية من ورائها إلا الضياع في الحياة الدنيا الزائلة ، والعذاب في الحياة الآخرة الباقية ، هذا بالإضافة الى الضياع المشاهد في الخلق والسلوك وحتمية المصير الى الضلال المبين ، الذى أعلن خطته عدو الإنسانية حين قال لربه عز وجل : (أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن الى يوم القيامة لأحتنكنّ ذريته إلا قليلاً . قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاءً موفوراً) فالشيطان يعد اتباعه ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً» ووعد الله هو الحق « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم . »

ومنذ فترة من الزمن ، بدأت عوارض أمراض ما يلقب بالمذهب الشيوعي في عدد من الأمم التى انقادت وراءه وأخذت به حتى إذا تغلغل في نفوسهم الضعيفة أحسوا أن مرضاً خبيثاً لا يستطيعون الخلاص منه سوف يؤدى بهم الى هوة الانحدار الخلقي ، ويصل بهم الى غاية العذاب النفسي الأليم .

وعندها يندمون حيث لا ينفع الندم (وإذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال : لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم ، فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريءٌ منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب) فلا رحمهم الله ولا رحمهم الراحمون ، وباءوا بغضب على غضب من الله وملائكته ورسله والناس أجمعين .

بؤرة التشريع الأرضي :

وعلي مرّ الزمان اختلط الحابل بالنابل حتى أعلنت الأمم المتحدة عن رغبتها في أن تطلق على ذلك العام ما سمي ، بالعام العالمي للمرأة ، تحديداً لموقف العصور الحديثة منها ومن بقية الأمم غير المسلمة بطبيعة الحال من أن الأمم المتحدة هي بؤرة التشريع الاجتماعي والسياسي إلى آخر ما يوحيه لهم الشيطان من تشريعات هذه الأرض في جاهلية القرن العشرين . وصاحَبَ ذلك نشاط لمطالبة المرأة الغربية على الأخص بحقوقها تمشياً مع لغة العصر ودعاوى بعض الهيئات في جميع الدول الغربية والشرقية قاطبة وبعض البلاد الإسلامية ، كما هى عادتهم في التقليد الأعمى لكل ما يصدر من تشريعات صاغها غير المسلمين بوحى من عمل الشيطان ، ومن هؤلاء من هم متخصصون في

الدراسات الاجتماعية والدراسات التاريخية والدراسات الفلسفية .. إلى آخر ما يزعمون . ولكننا نحمد الله كثيراً نحن ابناء هذه الأمة في المملكة العربية السعودية أنّ بين أيدينا تشريعاً سماوياً أنزله الله على نبيه صلى الله عليه وسلم ليبلغه الناس كافة ، بل الثقلين كليهما من انْسٍ وجن عامة. وكان يجدر بهذه الهيئات وبالعالم حاضره ومستقبله ، أن يأخذ من هذا التشريع السماوى السمح قبساً يضىء له طريق المعرفة الحقة في تحديد وضع المرأة وغيرها من العلاقات الاجتماعية لكل عصر ، وفي كل زمان ومكان ، لتواجه كل تطور على هذه الأرض بما يضبطه في نطاق المصلحة الانسانية .

ليس هنا حقوق مُهْدَرة :

ومهما يكن من رأى في موقف العصور الحديثة من المرأة ، فالذى لا ريب فيه وهو مؤكد عند الاعداء قبل الاصدقاء ان الإسلام برئٌ مما نسب اليه من تقصير في أى من حقوق المرأة ، وهذه الحقيقة يعرفها من يعتنق الإسلام ومن يعاديه ، إلا أن ما ورثته شعوب أمتنا من الأمم الضالة المضلة ، وما صاحب ذلك من ضعف الإسلام في نفوسنا ، وما أهملنا من تراثه ، وما أخذنا به من تقليد القردة ، وما تعلمناه تعلُّم الببغاء .

جميع هذه الملابسات وغيرها ، دفعت ببعض الشعوب المسلمة الى معاناة بعض النقص في أسس الخلق القويم ، والحياة الكريمة ، أعقبته آثار سيئة جعلت بعض أشباه المسلمين ، أو بعض الذين يدعون الإسلام ، يظنون أنّ للمرأة حقوقاً مهدرة غفلت عنها الشريعة الإسلامية هذه الشريعة التي هى خاتمة الرسالات السماوية الى الارض ، والعياذ بالله من الشياطين وأتباعهم الذين يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية . وهكذا مع بالغ الاسف ، نلاحظ أن تلك الشعوب المسلمة بدأت ولو بقدر يسير تعيد سيرتها الاولى من الجاهلية الاولى والعياذ بالله . وأن أسوأ ما تُنْكبُ به الأمة المسلمة اليوم هو تجردها من الشريعة الإسلامية الكاملة ، ولو بقدر مهما كان محدودا بالإضافة الى عزوفها عن مبادئها وإعراضها عن أخلاقها ، يستوى في ذلك الرجل والمرأة .

لابد من اليقظة :

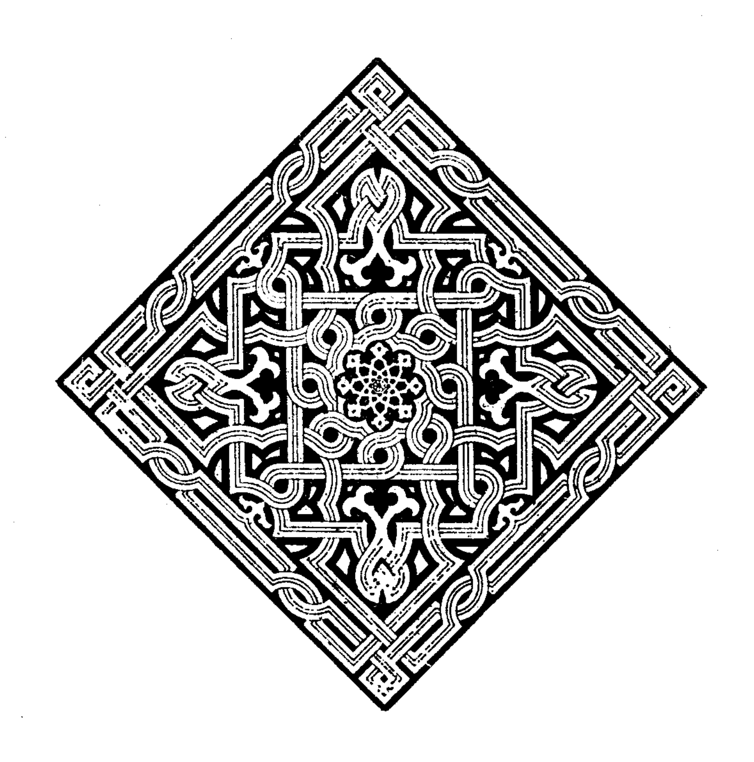
وأياً كانت المناسبة التي دعت إليها المنظمة العالمية فحسبها ريبة أن معظم اعضائها من حزب الشيطان ، فلا عقيدة تردعهم، ولاضمير يؤنبهم على ماينشرون من نظريات هدفها أولاً واخيراً محاربة عقيدة السماء . والأدلة على هذا اكثر من أن تحصى ، وحربها الإسلام ومحاولة

النيل منه أبرز من أن يشار إليها . ومهما كانت الأتعاب التي خلقتها المنظمة على ذلك العام فهى لن تخرج عن كونها ستاراً في ظاهره الرحمة وداخله العذاب الأليم ، فالمسألة تقتضى اليقظة . إذ لابد لكل عامل أن يحسب للزمان حسابه ويقدر للأحداث قدرها ، ويتخذ لكل أمر الحيطة الواجبة ، حتى لا يغافلنا الحاقدون المضللون ، الذين يتقنون الدعاية ويتحينون الفرص للمساس بالدين الخالد (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبي الله إلا أن يتم نوره ولوكره الكافرون) . فلابد أن يهيئ الله لهذه الأمة من يوقظها من سباتها لينصروا دين الله ، وذلك في كل مناسبة تستوجب يقظة وجهاداً في سبيل الله مدركين بايمان مطلق قول الله تعالى (ولينصرن الله من ينصره)

(المرأة ما لها وما عليها)

وفي العصر الحديث منح الله سبحانه وتعالى الأمة المسلمة مفكرين يدافعون عن الحق ويعيدونه الى نصابه ، ويذودون عن العقيدة بالنفس والنفيس استجابة لقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب ألم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) . ومن فضل الله علينا أن نعيش في بلد شرّفها الله بأسمى الرسالات السماوية ، وجعل فيها بيته ومثوى نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام . كما نحمد الله بأن منّ على هذا البلد وعلينا بولاة يخشون الله ويرجون لقاءه ، فينهضون بأمانة للذود عن العقيدة ومحاربة التيارات الخبيثة والأفكار الهدامة . ولا سعادة لأمة حتى يقوم رجال مخلصون فيها بأداء النصيحة « ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون » . وأحمده سبحانه وتعالى أن وهب لنا من أمته ومن أبناء هذا البلد الأمين من تحملوا هذه المسئولية وجاهدوا في سبيل الله مخلصين ، لتكون كلمة الله هي العليا ، يدعون الى الحق ولا يخشون في الحق لومة لائم . ومن هؤلاء معالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ الذي وفقه الله لدراسة هذه القضية ، قضية المرأة التي تعاني منها الشعوب عامة ، فيقدم للأمة الإسلامية بل للعالم أجمع بحثاً موجزاً في أبلغ صورة وأقوى حجة عن المرأة في الإسلام .

لذلك ألتمس من معالي الوزير اذاعة هذا الكتاب بجميع وسائل الإعلام المتوافرة والممكنة وترجمته إلى أكبر عدد ممكن من اللغات الأخرى ، وبخاصة تلك اللغات التي تتداولها بعض البلاد الإسلامية والبـلاد القريبة منها التي أقبلت على الإسلام ، والتي سوف تُقبل عليه آجلا أو عاجلا ، لتمكينها من فهم الاسلام ومبادئه واشعارها بالدور الذي تقوم به المملكة العربية السعودية في هذا المضمار . وهذا الملتمس يرجع أولاً الى الايمان الكامل بأن حياة المرأة في رحاب الاسلام ميزان صادق لحقوقها منذ ظهوره وحتى تقوم الساعة . وثانياً لأن الإسلام رفع مكانة المرأة من ملكة جمال وعارضة أزياء ونجمة الموسم ، بأن بوّأها منزلة ما كان يمكن أن يتصورها الحاقدون على شريعة الله .





لفضيلة الشيخ محمود عبد الوهاب فايد

تعدد الزوجات ما شأنه ؟ ولم كثر حوله اللغط ؟ وما بال خصوم الاسلام اتخذوه مطية للقدح فيه والتشنيع عليه . إن الإسلام لم يبتدعه في عالم لم يعرفه ، فقد كان التعدد شائعاً في كثير من الأمم القديمة كان معروفاً لدى الفرس والروم والآشوريين والبابليين وغيرهم من الأمم عدا إسبرطه فقد كانت وحدها تقرر تعدد الأزواج دون تعدد الزوجات .

وشريعة بنى اسرائيل تبيح للرجل أن يتزوج بما شاء دون تقيد بعدد ولهذا ورد في الملوك الأول الاصحاح الحادى عشر « وكان له — اى لسليمان — سبعمائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السرارى » — وفي التثنية ٢١ : ١٥ — ١٦ « اذا كان لرجل امرأتان إحداهما محبوبة والأخرى مكروهة فولدتا له بنين المحبوبة والمكروهة فإن كان الابن البكر للمكروهة فيوم يقسم لبنيه ما كان له ، لا يحل له أن يقدم ابن المحبوبة البكر على ابن المكروهة البكر »

هذا النص فيه تسليم بتعدد الزوجات ، وبيان ما يتفرع عنه من احكام :

ولا يوجد نص في الإنجيل يصرح بمنع التعدد :

وقد تزوج قسطنطين بكثير من النساء وهو أول ملك آمن بالمسيحية ودعا إليها وسن فالنتين الثاني تشريعا يبيح تعدد الزوجات وبقى ذلك مباحا حتى منعه

جوستنيـــان بقانون ٣٥٠ م واستقر الأمر أخيرا على هذا وظلت الكنيسة تناوئه وتقول بحرمته :

نعم : أباحة بعض البابوات لشارلمان ملك فرنسا وهو الذى عاصر الخليفتين: المهدى وهارون الرشيد :

والعرب في جاهليتهم كانوا يعرفون تعدد الزوجات ويذهبون فيه كل مذهب ولا يقفون به عند حد فلما بعث الرسول إليهم نظم شرعة الزواج تنظيما دقيقا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فجعل له أركانا وشروطا واعتبره ميثاقا غليظا ، وقرر بمقتضاه حقوقا على الرجل نحو المرأة ، وحقوقا على المرأة نحو الرجل ، ورتب عليه آثارا في الحياة وفي الموت ، في الاتصال وفي الانفصال :

وموقف الاسلام من مشكلة التعدد موقف يشهد ببراعته ، ويدل على دقته وحكمته ، فهو يمنع تعدد الأزواج لأنه ينافي الفطرة السليمة ، ويعادى الطبيعة المستقيمة ، ويؤدى إلى فساد النسل ، ويجر إلى اختلاط الانساب : لكنه بجانب هذا يبيح تعدد الزوجات دون ان يرغب فيه أو ينهى عنه ، ويشترط لإباحته ضمان العدل وأمن الجور .

وفي هذا يقول المولى : « وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة » .

روى البخارى عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة رضى الله عنها قال لها : يا أمتاه« وإن خفتم ألا تقسطوا في في اليتامى » إلي « ما ملكت أيمانكم » قالت عائشة : يا ابن أختى ، هذه اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها ومالها ، ويريد أن ينتقص من صداقها فنهوا عن نكاحهن إلا أن يقسطوا لهن في اكمال الصداق ، وأمروا بنكاح من سواهن من النساء » :

قالت عائشه : استفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فأنزل الله « ويستفتونك في النســاء » إلى « وترغبون أن تنكحوهن » . فأنزل الله لهم في هذه الآية أن اليتيمة إذا كانت ذات مال وجمال رغبوا في نكاحها ونسبها والصداق واذا كان مرغوبا عنها في قلة المال والجمال تركوها واخذوا غيرها من النساء . قالت : فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها إلا ان يقسطوا لها ويعطوها حقها الأوفي من الصداق » :

في ضوء هذا الأثر نستطيع أن نفهم الآية وندرك وجه الربط بين الشرط

والجزاء فالمولى يقول لهؤلاء الأوصياء الذين يطمعون في أموال اليتامى ويرغبون في إحرازها عن طريق الزواج ولا يتحرون العدل معهن في الصداق ولا يأمنون على أنفسهم من أن يجوروا عليهن يقول لهم : ما يضطركم إلى هذا الطريق الوعر الذى يجر عليكم المآثم فقد أفسحت لكم المجال وأبحت لكم أن تتزوجوا باثنتين أو ثلاث أو أربع ممن تستطيعوهن وتميل نفوسكم إليهن .

وواضح أن الآية بهذا المعنى نص في التعدد ودليل على ان الله أباح لنا أن نتزوج من النساء إلى اربع بشرط أن نتيقن العدل معهن ولا نظلم واحدة منهن فإن خفنا عدم العدل وتوقعنا الشطط فلا يباح سوى واحدة ويكون الاقتران بأخرى عند ذلك ممنوعا والعدل الذى يشترطه الإسلام هو الداخل في نطاق الوسع من النفقة والمبيت ولا يمكن أن يراد به ما يشمل ميل القلب فهذا أمر خارج عن الطاقة وقد رفعه الله عن العباد « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » «وماجعل عليكم في الدين من حرج» « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم تقرر هذا وتؤكده ، فقد كان عليه الصلاة والسلام يتحرى العدل بين أزواجه في القسم ، ولا يميز واحدة على أخرى ثم يعتذر عما لا يقدر على التصرف فيه وهو ميل الفؤاد ، ورغبة النفس واتجاه اللب .

روى الأربعة عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فيعدل ويقول : « اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك يعنى القلب » .

فهذا الحديث يلقى الضوء على العدل المشروط لإباحة التعدد ، ويبين انه العدل في القسم دون غيره .

هذا ما قرره الرسول صلى الله عليه وسلم وفهمه الصحابة ، وجرى عليه العمل إلى عصرنا ولا يعقل أن يتوسع المولى فيفتح لنا باب التزوج برابعة مع أن الثانية في نظر من يحرمون التعدد ممنوعة لامتناع شرط الإباحة وهو إقامة العدل بين الزوجات .

ومما يؤكد ما فهمناه من جواز التعدد بشرطه أن الاسلام عمل على تنظيمه فبعد ان قال المولى : « حرمت عليكم أمهاتكم » نظم في سلك المحرمات « وأن تجمعوا بين الأختين » فالآية الكريمة تدل على منع الجمع بين الأختين ويحمل عليه ما شابهه مما اشارت إليه

السنة . روى البخارى ومسلم عن ابي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها » فتحريم هذا الجمع وإباحة ما سواه تنظيم للتعدد ودليل على جوازه ، ولا فائدة من النص على تحريم الجمع بين الأختين ما دام بين المسلمات ممنوعا كما يزعم نفر من أبناء عصرنا ترديدا وتقليدا للغربيين .

قال البخارى في صحيحه ٩ : ١٢٦ ، ١٢٧ « جمع عبد الله بن جعفر بين ابنة على وامرأة على . . وجمع الحسن بن الحسن بن على بين ابني عم في ليلة » .

هذا هو ما فهمه المسلمون منذ الصدر الأول إلى يومنا ، وليس فهما جديدا مبتكرا . والقول بتحريم التعدد على إطلاقه قول في دين الله بغير علم ، وفهم حديث لا سند له من كتاب ولا سنة ، وترديد لأقوال المتفرنجين الذين يبغون لىّ عنق الإسلام ليتمشى مع مذاهبهم ومسالكهم .

ولن يكون الناس في آخر الزمان أصح إدراكا ، وأنفذ بصيرة ، وأصدق فهما لنصوص الشريعة ومراميها من أولئك الذين حملوها إلينا ، وفضلهم المولى علينا . . نعم . إنه لا يتصور أن يكون الذين فهموا إباحة التعدد وجروا عليه من أيام الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ايامنا هذه قد أخطئوا الفهم ، وحادوا عن الصواب ، وظل خطؤهم عالقاً بأذهان المسلمين إلى أن جاء في عصرنا الذى اتسم بالتحلل نفر من المتفقهين أصلحوا لهم خطأهم ، وأوضحوا لهم وجه الصواب في دينهم ، وكيف يستساغ هذا وفيه اساءة بالغة إلى اسلافنا الأوائل الذين تلقوا الاسلام وفهموه من المعلم الأول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

قد يقول بعض المغرمين بإثارة الشبهات : إن المولى يقول « فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة » وفي آية أخرى يقرر أن العدل غير مستطاع فيقول سبحانه « ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » فمجموع الآيتين يفيد حظر التعدد ويمنع إباحته .

ونقول لهؤلاء : انكم تغافلتم عن قول الله عقب ذلك « فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة » فأشبهتم من يقرأ « لا تقربوا الصلاة » ويدع قوله بعدها « وأنتم سكارى » .

إن المولى نفى استطاعه العدل بمعناه الشامل لميل القلب ، ومالا يستطاع لا

يكلف به إنسان قال تعالى : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » لذلك بين القدر الكافي في براءة الذمة فقال ـ « فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة » أى لا نطلب منكم توخى العدل تماما في سائر النواحى فهذا ليس في طاقتكم وإن حرصتم ولكن عليكم بالقصد في كل أعمالكم ، فلا تميلوا لواحدة ميلا كليا وتهملوا الأخرى كل الاهمال فتذروها كالمعلقة .

ومثل هذا ما رواه أصحاب السنن عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كانت له امرأتان ولم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط » فهذا الحديث يصرح بوقوع التعدد ولا يمانع فيه ، إنما يمانع في الجور ويعاقب عليه .

قد يسأل بعض الناس ولم صدر المولى الآية بنفى الاستطاعة ؟ فقال : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » ؟

وأقول : إنما صنع ذلك لكى يثير المخاوف في قلب الإنسان حتى يفكر طويلا في شرط التعدد ، ويتثبت من مقدرته على العدل بين الزوجات فلا يتسرع في الزواج بأخرى لشهوة طائشة أو رغبة جامحة أو وهم كاذب ينخدع به لفترة قصيرة ثم يستيقظ بعد فوات الأوان وسوء الحال ، وليس معنى هذا ان الشارع يحرم التعدد . فما كان الله ليبيحه نصا ، ويأتي به ابتداء في مستهل الآية ثم يأتي عقب ذلك في مقطعها بما يتناقض مع مطلعها .

إن أمر التعدد ورد في القرآن قبل أمر التفرد ، وقد روى عن قيس بن الحارث قال : « أسلمت وعندى ثمان نسوة فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال : اختر منهن أربعا » رواه ابو داود وابن ماجه .

وعن عبد الله بن عمر قال : « أسلم غيلان الثقفى وتحته عشر نسوة في الجاهلية فأسلمن معه فأمره النبى صلى الله عليه وسلم أن يختار منهن أربعا » رواه احمد والترمذى وابن ماجه وعن نوفل بن معاوية قال : « أسلمت وتحتى خمس نسوة فسألت النبى صلى الله عليه وسلم فقال : فارق واحدة وأمسك أربعا » رواه الشافعى والبيهقى .

هذا كله دليل على جواز التعدد ولو كان حراما لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم هؤلاء بأن يمسكوا بواحدة ويفارقوا البواقي كما أمر بمفارقة ما زاد على الأربع .

ولا أدرى كيف ينظم الرسول صلى الله عليه وسلم طريقة القسم بين الزوجات

ما دام التعدد ممنوعا ؟ كيف يتأتي على مذهب المانعين ما رواه البخارى ومسلم عن أبي قلابة عن أنس قال : من السنة إذا تزوج البكر على الثيب أقام عندها سبعا ثم قسم وإذا تزوج الثيب أقام عندها ثلاثا ثم قسم » قال أبو قلابة : « ولو شئت لقلت : إن أنسا رفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم » كيف يتأتي هذا وكيف يتأتي قول أنس : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « للبكر سبعة أيام وللثيب ثلاث ثم يعود إلى نسائه » رواه الدارقطنى .

إن هذين الحديثين يؤكدان أيضا ما قررناه من إباحة التعدد لمن قدر على العدل بمعناه الذى شرحناه .

ولا يحول دون ذلك ما رواه البخارى ومسلم عن المسور بن مخرمة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر « إن بنى هشام بن المغيرة استأذنوا في أن ينكحوا ابنتهم علىّ بن أبي طالب فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن إلا أن يريد ابن ابي طالب أن يطلق ابنتى وينكح ابنتهم فإنما هى مضغة منى يريبنى مارابها ويؤذينى ما آذاها ء»

فهذا الحديث الذى يردده المانعون لا وجه للتمسك به فهو كما ترى يبيح التعدد ويزيد عليه اباحة الطلاق ،وما أظن الذين يتملقون المرأة خداعاويزعمون أنهم أنصارها يرضون بهذا — نعم فيه ما يدل على استهجان الجمع بين بنت رسول الله وبين بنت عدو الله كما صح في رواية مسلم . وهذا أبشع ما يكون من الجمع وهو على الرغم من بشاعته جار على مقتضى عاطفة الأبوة التى أرادت فاطمة أن تثيرها فقالت له كما في صحيح مسلم : « ان قومك يتحدثون انك لا تغضب لبناتك » .

فأى شئ أن يشارك الرسول وهو بشر ابنته فيما يثيرها؟ أىشئ في أن يطيب خاطرها — بعد أن أثارت عاطفته بكلمة طيبة تهدئ ثائرتها ؟ لقد أنصت الرسول صلى الله عليه وسلم لفاطمة ، وأفسح صدره لشكاتها وأعانها بالحيلة والقول الحسن وما كان ينتظر منه كمثل أعلى للوالد البار الحنون أن ينهرها ويغلظ لها القول ويتنكر لها في هذه الساعة .

وماذا عليه لو استرضى فاطمة بقول له فيه سعة ، وفاطمة هذه ابنته الوحيدة ، وهى أولا واخيرا بنت خديجة التى أعانته في دينه ودنياه ، وقد ماتت أمها وأصبح الرسول ملاذها الوحيد عليه وعليه وحده أن يبرها لأنها ابنته ، ولا ملجأ لها سواه ، وعليه كذلك

أن يبرها وفاء بحق خديجة تلك التى ظلت تحسن إليه طول حياتها .

فماذا لو استؤذن في ان يتزوج على عليها فلم يأذن وهو بعد لم يحرم حلالا ولم يحل حراما ؟

ليس هناك نص من الشارع يفرض على الوالد أن يأذن بالزواج على ابنته ونصوص الإسلام التى وردت توصى ببر الأهل ، والإحسان إليهم بالقول والفعل وهذا كل ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم برا بفاطمة وإحسانا إليها ، ومن حق كل بنت على أبيها أن يسرى عنها في مثل هذه الظروف العارضة ، ويحاول بفطنته أن يجد لها مخرجا وموقف الرسول صلى الله عليه وسلم لا يحتمل سوى هذا فقال : « إني لا أحرم ما أحله الله » أى لا أحرم التعدد الذى اباحه الله ، ولكن اذا استؤذنت كوالد لفاطمة لا آذن بالتزوج عليهـا ، وأرى — ومن حق كل والد أن يعالج مشكلات ابنته على الوجه الذى يظن فيه الخير — أرى أن يطلق ابن ابي طالب ابنتى ويتزوج ابنتهم ما دامت نفسه تطيب بذلك ، وهذا الذى عرضه الرسول كان بعد أن قلب وجوه الرأى ، وقد ارتآه عليه الصلاة والسلام خشية على بنته من أن تفتن في دينها وتقصر في حقوق زوجها ، ورغبة أيضا في أن يفسح الطريق أمام على إن قوى ميله إلى اخرى وأصر على الاقتران بها ، ولا يعدو أن يكون هذا مجرد عرض أراد الرسول به أن يجد خلاصا لفاطمة ، ويصرف — بكياسة — نظر على عن أمر له في تركه سعة ، ويثنيه على الجمع بين بنت رسول الله وبنت عدو الله ولم يرد ان يحرم ما أحله الله أو يحل ما حرمه ، ولكيلا يتوهم الناس ذلك حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على أن يقول صراحة ، وبلهجة صارمة مؤكدة ، كما في صحيح مسلم « إني أتخوف أن تفتن في دينها وإني لست أحرم حلالا ولا أحل حراما »

بعد هذا البيان أرى أن الحديث يصدم أولئك الذين يزعمون أنهم أنصار المرأة بدعوتهم الى منع التعدد ، وحظر الطلاق. وذلك لأنه يبيح تعدد الزوجات ويسمح في ظاهره للرجل بأن يتزوج ما شاء إذا سمحت نفسه أن يتخلص من الأولى بالطلاق ، وهذا — كما هو واضح — على عكس ما ينادى به هؤلاء .

فليفهم هذا أولئك الذين يرددون هذا الحديث وليعلموا أنهم بين أمرين لا مفر منهما فإما أن يرتضوا التعدد مع الجمع من غير طلاق وهو ما نذهب

إليه وتؤيده النصوص ، وإما أن يرتضوا التعدد إذا أصر الزوج عليه ويرتضوا بجانب ذلك تطليق الأولى أخذا بظاهر هذا الحديث .

★ ● ★

إن الاسلام حين أباح التعدد أراد أن يتمشى مع ظروف كل إنسان ، ويلائم الناس جميعا في كل زمان ومكان ، ويعالج أدواء المجتمع علاجا سليما ويقضى على ألوان الفساد قضاء مبرما .

نظر إلى الناس فرأى منهم من يصلح حاله بواحدة ، ومنهم من يحتاج لأكثر ودون ذلك يتعرض ويتعرض المجتمع معه لخطر المخادنة ، فتعيش المرأة معه عيشة الحيوانات لا تربطه بها سوى اللذة البهيمية حتى إذا قضى وطره منها تركها وشأنها فريسة الأوهام والأحزان لا يعترف لها بحق ولا يقر لولدها ببنوة ولا يتكلف لها ما يتكلفه الازواج لزوجاتهم ، ولا يهتم بأولادها كما يهتم الآباء بأولادهم .

هنا سمح الاسلام للرجل — مع تيقنه بالعدل — بأن يتزوج إلى أربع ولم يكن له أن يقف في طريق ذلك أو يأباه وهو الدين الذى يحارب الزنا ، ويقاوم الرذيلة ، ويحافظ على النسل ويقضى على التشرد ، وتلك كلها نتيجة حتمية لداء المخادنة فالمرأة التى لا تجد لنفسها ولا لولدها حقا معترفا به يسهل عليها أن تقدم على الانتحار ، وترمى بثمرة جرمها في قارعة الطريق دفعا لعاره وتخلصا من أوزاره .

كذلك نظر الاسلام نظرة رحمة وإشفاق إلى من ابتلى بزوجة عقيم أو مريضة فأباح له أن يأتي بأخرى تحقيقا لهدفه من النكاح ورغبة في حصوله على النسل ، ورحم الاولى فلم يفجعها بالطلاق وحرص على راحتها وهناءتها فاشترط لها العدل .

كذلك وضع في حسابه وفرة النساء وقلة الرجال أعقاب الحروب ففتح الطريق ليكون اكل جماعة منهن عائل يدخل السرور عليهن ويقوم على راحتهن ويتولى شئونهن ، ويحقق بالعدل هناءتهن .

وليس من الانصاف أن نرعى واحدة ونتجاهل بقية النساء بل الواجب أن نشملهن جميعا بالعطف ، ونحكم فيهن شرعة المساواة وأولى أن يشتركن جميعا في الخير من أن تنفرد واحدة به .

وهنا نحب أن نبين لماذا اهتم الشارع بإقامة العدل بين الأزواج ؟ وسر ذلك أن الرجل إذا التزم به وسار على نهجه ضمن سلامة بيته ورضا أزواجه ،

وعطف أولاده ، وأصبح من الممكن أن يعيشوا في سلام ووئام يتعاونون جميعا على جلب ما ينفعهم ، ودفع ما يضرهم ، فإذا اضطرب ميزان العدالة في يد الرجل تبع ذلك اضطراب البيت ، وانقلب جحيما على من فيه وتحللت الأسرة ، وتقوضت دعائم المجتمع ، واصبح ضرر التعدد أكثر من نفعه ، وهذا لا يمكن أن يقره الاسلام أو يرضى عنه .

لكن من ذا الذى يستطيع أن يزن العدل المشروط لإباحة التعدد ؟ إنه الرجل نفسه لا القاضى ولا شهادة الشهود ولا قلة المال أو وفرته . فقد تختل نظرة القاضى ويتعذر على الشهود أن يعرفوا حقيقته ، ويفهموا طبيعته ، ويدركوا خبيثته ، فكثيرا ما حسنت أخلاق بعض الناس خارج المنزل ، وساءت في داخله .

والمال عرض زائل ، وعاريّة مستردة ، يعلو ويهبط ، وينمو ويثقل ، ويكثر وينمحى فلا يصح أن يكون مقياسا وهو في غاية الاضطراب خصوصا والمولى يقول : « وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عيادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله والله واسع عليم » .

قد يقول قائل : إن بعض الدول الاسلامية تعاني من مشكلة زيادة السكان وكثرة التناسل ، ووفرة التعداد .

ونقول في دفع ذلك إن هنالك آفاقا واسعة في أرض الله لكثير من الأيدى العاملة . . واقتحام هـذه الميادين واستصلاح الأراضى البور واستغلال القوى الطبيعية التى يسرها الله تعالى لنا ، وإنشاء المصانع والمعامل . . . كل هذا يعين على حل تلك المشكلة ويساعد على معالجتها مع العلم بأن تعدد الزوجات في مثل هذه الدول ضئيل جدا بالنسبة لعدد المتزوجين .

★ ● ★

نعم . إننا في حاجة ماسة الى تربية الأمة تربية دينية خلقية ، وإلى وضع حد لمآسى السفور والاختلاط فلا سبيل إلى سعادة الأمة إلا بالدين والخلق ، ويوم يفهم الناس ما عليهم من واجبات وينهضون بما في عنقهم من تبعات . ويعملون في ضوء الوصايا الدينية والمبادئ الخلقية يومئذ يسمو الفرد ، وتهنأ الاسرة ، ويسعد المجتمع ، وترقي الأمة ، ويعيش الناس جميعا عيشة راضية مرضية .

وبعد . : فإن تحريم تعدد الزوجات يؤدي بنا — على الرغم منا إلى إباحة المخادنة كما هو مشاع في أوربا .

وماذا نصنع مع من مال قلبه الى فتاة ومالت إليه وتمكن الحب بينهما ؟ وما أكثر ما يقع هذا في مجتمعنا اليوم ! إما أن نقر التعدد بنظامه المشروع وتبعاته المقررة . .

وإما أن نرتضي المخادنة بأساليبها المنكرة ، وحقوقها المهدرة .

ولن يوجد عاقل يؤثر الرذيلة على الفضيلة ، أو يقدم الشر على الخير .

وحسبنا دليلا على بعد نظر الإسلام ما بلغته أوربا من سوء الحال نتيجة تحريم التعدد حتى ضــج عقلاؤهم بالشكوى وطالبوا بإباحته حفظا لكرامة المرأة ، وصونا للنسل من الضياع ، وقد قرأنا في الصحف أن أهل مدينة (بون) عاصمة (المانيا الغربية) قد طالبوا حكومتهم باباحة تعدد الزوجات

وأصروا على ادخال هذا النص في الدستور ومن قبل قال غستاف لوبون في كتاب روح السياسة :

« إن تعدد الزوجات الشرعى عند الشرقيين (المسلمين) خير من تعدد الزوجات الخبيث المؤدى إلى زيادة اللقطاء عند الغربيين »

ونشرت جريدة لاغوص ويكلى ركورد يوم ١٩٠١/٤/٢٠ مقالاً جاء فيه :

« البلاء كل البلاء في إجبار الرجل الاوربي على الاكتفاء بامرأة واحدة فهذا التَّحْدِيد هو الذى جعل بناتنا شوارد ، وقذف بهن إلى التماس اعمال الرجل ولابد من تفاقم الشر إذا لم يبح للرجل التزوج بأكثر من واحدة .

أى ظن واى خرص يحيط بعدد الرجال المتزوجين الذين لهم اولاد غير شرعيين أصبحوا كلا وعالة على المجتمع الإنساني فلو كان تعدد الزوجات مباحا لما حاق بأولئك الأولاد وبأمهاتهم ما هم فيه من العذاب الهون » .

* ● *

هذا كله يؤكد تماما أن الخير كل الخير فيما جاءت به رسالة خاتم الانبياء من لدن الحكيم الخبير .

محمود عبد الوهاب فايد



كيف نكون شاكرين ؟ ولكي نعرف كيف نكون شاكرين بما أمر الله سبحانه في قوله : (بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) ، يجب أن نعرف أولا ما هو الشكر الذى لا يصح أن نشكر الله إلا به ، فلقد فهم الكثير الشكر على أنه كلمة جهرية أو سرية ، يشترك في صوغها الاسان والشفتان ، على نحو : نشكر الله ، والشكر لله ،شكرا لله على نعمه ، وفي الغالب لا يرددون مثل هذه الكلمات إلا فيما يسرهم من المناسبات ، وحتى الذين زادوا على هذا المستوى في معرفة الشكر ، ظنوه ينتهي عندما يمدون به أكفهم النـــدية من خير ، ليشركوا غيرهم معهم فيما أعطوا من فضل الله .

وهم وإن كانوا بالتأكيد أفضل – حالا من سابقيهم لما وقوا شح أنفسهم . وغيرهم اكتفى بكلمات ميتة حبيسة الفم ، تحمل الشر أكثر مما تحمل الشكر ، لما قالوها في سرائهم وتركوها في ضرائهم ، والآن أدعو النوعين لنفهم معا أمر الشكر من أصفى ينابيعه ، من كلام المشكور نفسه سبحانه ، فلقد أكرمنى بحب كتابه منذ طلبت العلم ، وأعطيت منه قدرا والحمد له ، كان المداد لما أقول وأكتب فقد قدم لنا سبحانه الشكر على أنه الإيمان به ، وأن غير الشاكر هو الكافر به ، كفر بلفظه ومعناه ، المتصل بإنكار الله ، فلم يجعل سبحانه في القرآن شيئا ضد الشكر إلا صريح الكفر ، وإليكم من روضة القرآن هذه القطوف من الأدلة (وإذ

قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ، فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ، ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) أى تؤمنون ، حيث لم يسبق لهم إيمان ليكون الشكر فرعا له ، بل إن كفرهم من نوع هو أجرأ ما يكون من مخلوق على خالقه ، لما اشترطوا لإيمانهم رؤية ربهم جهرة ، وهم يعلمون استحالة ذلك في الدنيا من كتبهم ، حيث ادخر رؤيته في الآخرة لتكون قمة العز لمن آمن به بالغيب ، فرد على مطلبهم بأن أراهم نفسه في بأسه ، لما صعق جموعهم في لحظة ، وأراهم نفسه في قدرته ، لما أعادهم إلى الدنيا من جديد ، ثم قال لهم : (لعلكم تشكرون) أى لعلكم بما فعلت بكم تؤمنون بي ، وقوله تعالى مخاطبا عباده (فاذكروني أذكركم ، واشكروا لى ولا تكفرون) فهذه الآية القصيرة لم تضم إلا أربع كلمات ما أعجبها ، اذكروني بالإيمان والطاعة ، أذكركم بالأجر والمثوبة ، واذكروني بهذا الوصف ، فإن لم تفعلوه فأنتم تكفرون ، وقوله تعالى : (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم) فالكلمتان ، شكرتم وآمنتم ، معناهما ينتهى عند الثانية وهو الإيمان ، إن أدركتم الشكر بالفكر ، وأعلنتم الإيمان بالذكر ، فلا يُفْعَل بكم عذاب ، وغير ذلك كافر يقع به العذاب ، ومعلوم أننا ما قصدنا التفسير بالتفصيل ، وإنما نأخذ من الآيات الكريمة ما نثبت به حقيقة الشكر ، وهو أنه الإيمان كله الذى لا يتجزأ ، وأن عكسه الكفر الذى لا يتجزأ أيضا ، وحكاية القرآن عن يوسف عليه السلام ، عندما لم يمنعه شعور السجين المظلوم عن تعريف من في السجن حقيقة الشكر ، حيث يقول بوحى ربه مخاطبا صاحبي السجن الكافرين (إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ، واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب ، ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ ، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون) ، فكلمة يشكرون ، جاءت في نهاية حديث وجه إلى كافرين ، أو مشركين بإشارة واضحة في الآية الثانية ، وأنه قال لهما : إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ، وهم بالآخرة هم كافرون ، ويشير إلى نفسه عليه السلام بقوله : (ذلك من فضل الله علينا) .

أى نحن الأنبياء — لما أوحى الله إلينا بالإيمان ، (وعلى الناس) لما أمرنا بتبليغ هذا الإيمان إليهم ، (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) لا يؤمنون بما أبلغناهم به ، وقوله تعالى على لسان نبيه سليمان عليه السلام ، لما رأى عرش بلقيس مستقرا عنده في أقل من رمشة الجفن (قال هذا من فضل ربي ، ليبلوني أأشكر أم أكفر ؟) فهو هنا عليه السلام وهو الربّيّ المعلم بالوحى ، وضع صريح الكفر إن لم يقع الشكر ، فلم تذهله صنعة سرير بلقيس عن ذكر القدرة التى حملته إليه بهذه السرعة ، ليس محمولا على طائرة أسرع من الصوت ولا على صاروخ ، وإنما في الزمن الذى تستغرقه كلمة (كن) ، وقدرت الآية هذا الزمنَ بأنه لا يوازى طرفة العين وإنما أقل (قبل أن يرتد إليك طرفك) ، ثم تنتهى الآية بتأكيد حقيقة الشكر على نفس الألفاظ والمعاني السابقة بقوله (ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإن ربي غنيٌّ كريم). فسليمان عليه السلام بعد أن كرر هنا مفهوم الشكر ، غلبت عليه صفته الأصلية ، وهى أنه رسول مبلغ لحكم لله ، ومن ذلك ، ما هو مقرر عند الله لكل من الشاكر والكافر كما ذكرت الآية ، وهذا الحكم في أمر الشكر الذى أجراه الله على لسان سليمان ، وهو أن الشكر أصل وليس فرعا ، بل هو أصل الأصول كما أثبت وما سأثبت ، لأن المشكور سبحانه إما أن يُعرف بنعمه فيعبد ويوحد ، وإما أن تكفر نعمه فيجحد ، أقول إن هذا التفهيم الذى أنطق الله به نبيه سليمان ، هو بعينه مع حكيم الله لقمان (ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ، ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإن الله غنى حميد) .

فانظروا إلى تعريف معنى الحكمة ، وهى الموصوفة من ربها سبحانه بأنها خير كثير (ومن يؤتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) حيث شملت خيرية الحكمة بكل كثرتها كلمة (أن اشكر لله) فيصبح المعنى ، ولقد منحنا لقمان الحكمة ، ولكى يعرفها قلنا له : هى شكر الله ، ثم يكمل ليؤكد ، بأن الشكر بعد أن فهم ليس ضده إلا الكفر ، وليس مجرد معصية (ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإن الله غنى حميد) ونزيد من تعليم ربنا لنا عن حقيقة شكره ، يقول سبحانه :

(إن تكفروا فإن الله غني عنكم ، ولا يرضى لعباده الكفر ، وإن تشكروا يرضه لكم) فالآية هنا هذه المرة ، بدأت بالكفر ليعرف أنه مقصود بحرفيته ومعنويته ليضاد الشكر ، ولا يقبل هنا تأويل بغير ذلك ، فكلمة الكفر هنا يستمسك اللفظ فيها بالمعنى لا انفصام لهما ، والدليل قوله في نفس الآية : (ولا يرضى لعباده الكفر) ثم تأتي كلمة الشكر بعد ذلك تحمل كل الإيمان بجذره وفرعه ، لتكون كفئا لمحق كلمة الكفر بكل دنسها ، فهو لا يرضى لعباده الكفر لأن ما أعد للكافرين لا يرضيهم ويرضى لعباده الشكر لأن ما أعد للشاكرين سيرضيهم ، وفي نهاية هذا الجزء من المحاضرة أتصور تساؤلين ، أحدهما : ألا يجوز أن ندخل فيما أوضحنا جواز اعتبار الكفر المقصود فيها أيضا ، هو كفر بالنعمة وليس كفراً بالمنعم ؟ ومع أنني سأفردجزءا كاملا من المحاضرة سيأتي بعد إن شاء الله ، أفصل فيه الجواب عن ذلك ، إلا أنني خشيت أن يعيش معي البعض الآن بشتات فكر ، حيث سمع وربما لأول مرة ومن كتاب الله ، أن الشكر هو مجموع الإيمان كله ، وأن عدمه هو مجموع الكفر كله ، ولا وسط بينهما ، أقدم الآن مُسَكِّناً حتى يتم العلاج بكامله بإذن الله ، فأقرر بأنه لا يجوز أبدا أن ندخل فيما ذكرنا إمكان الكفر بالنعمة وليس بالمنعم ، لأن التفريق بين المنعم ونعمته محال ، بل هو زيادة في الكفر ، فالله لا يبعض ، فهو بذاته وصفاته وأفعاله واحد له المثل الأعلى (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) وما قاله سبحانه في سورة الإنسان ، هو تتمة مشبعة لما سبق من أدلة ، (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا ، إنا هديناه السبيل ، إما شاكرا وإما كفورا) ، هديناه السبيل بيناه له ، والإنسان إزاء هذا التبيان إن قَدَرَ حق ربه كان شاكرا ، وإن أنكر كان كافرا ، وليس في الآية معنى ثالث ، لا بالعبارة ولا بالإشارة ، ولقد جاءت الآية هنا بشئ يؤكد ما قلت ، وهو أنها بالغت في الكفر ولم تبالغ في الشكر ، فذكرت الشكر بصيغة اسم الفاعل وذكرت الكفر بصيغة المبالغة ، فلمجرد أنه أبي أن يكون شاكرا ، أصبح كفورا مبالغا (إما شاكرا ، وإما كفورا) .

ومن هذا الذى ذكرناه يفترض التساؤل الثاني ، هل إذا شكرتُ بمعنى آمنت بالمشكور سبحانه ، وأقمت له أركان الشكر بما أمر ونهى ، وجاء يوم رزقت فيه مالا أو عيالا أو شيئا قرت به عيني ، ولكن حدث أني ما شكرت في هذه المناسبة أفأكون قد كفرت ؟ أقول لك مستحيل أن يقول أحد بهذا التفكير ، فقط لك حكم سيأتي في خلال المحاضرة أيضا إن شاء الله تعالى .

هل لنا أن نعرف ، إن كان الحمد والشكر لفظين مترادفين لمعنى واحد ؟ أم أن لكل منهما مدلولا خاصا به ؟ ظاهر الأمر أن مفهومها واحد ، وأن البعض ظن ذلك ، أو قال به ، وأنا لا أظن ذلك ولا أقول به ، وإنما بينهما أكثر من فرق ، وهذه حجتى إليكم ، فالحمد لفظ ينتهى مدلوله عند مرحلتين ، الاعتقاد بالقلب والإقرار بالقول ، والشكر يشترك معه فيهما ويزيد الإلزام بالعمل ، فمن الحمد قال الله سبحانه : (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا) (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) ، وعن الشكر قال : (اعملوا آل داود شكرا) ، ولهذا فهمها خير آل داود وهو سليمان عليه السلام لما قال : (رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدىّ ، وأن أعمل صالحا ترضاه) ، فقد سأل الله تعالى أن يعينه على شكره بالعمل الصالح الذى يرضاه ، بل فهمها من هو أفضل من سليمان . وهو محمد صلى الله عليه وسلم ، وما ذكرت آية آل داود إلا أن فيها أمر تنفيذ الشكر مذكورٌ بلفظ العمل الصريح ، وليس معاذ الله عَدم تقدير منى لدرجات الأنبياء ، فرسولنا صلوات الله عليه قال لربه : (بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) ، أى كن من الشاكرين بأن تعبد ، وليس فقط بأن تقول ، وراح الرسول يفسرها بالعمل حتى تورمت قدماه ، ولما طلبوا منه التهوين على نفسه ، أجاب بنفس الاشتقاق الصادر إليه : (أفلا أكون عبدا شكورا ؟) ، ولكن كان عندما يتكلم يبدأ قوله بكلمة الحمد ، وما علم عنه صلى الله عليه وسلم أنه بدأ قوله بكلمة الشكر ، فهو قد جعل الاعتراف بالحمد قولا ، وجعل الاعتراف بالشكر يتعدى إلى العمل حتى تورمت قدماه « يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا

صالحا » ، فالعمل الصالح في الآية هو الشكر على الأكل من الطيبات ، ولأن الحمد قول فقط أيضا ، نقول في الصلاة سمع الله لمن حمده، ولا يجوز (رأى الله لمن حمده) ، لأن القول يسمع ، والعمل يرى ، ولهذا قال سبحانه لموسى وأخيه : « إنني معكما أسمع وأرى » ، أسمع ما يقال ، وأرى ما يعمل ، ويقول لنا المفسرون عن كل كلمات الحمد التي بدئت بها سور أو آيات ، ولم يذكر قبلها القول صريحا ، أن يذكر قبلها تقديرا (الحمد لله رب العالمين) قل أو قولوا : الحمد لله رب العالمين (الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور) قولوا : الحمد لله الذى خلق السموات والارض إلى آخر الآية (الحمدلله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة) أى قولوا : الحمد لله ، وهكذا بقية الآيات التي من هذا النوع ، فآيات ذكر فيها لفظ القول ، وآيات للقياس عليها ، وفرق آخر بين الشكر والحمد ، وهو أن الشكر بالنسبة للإنسان ألزم من الحمد ، لأن الشكر عمل كما أوضحنا ، والحمد قول كما أوضحنا أيضا ، والعمل للإنسان أجلّ (آمنوا وعملوا) (وقل اعملوا) (اعملوا على مكانتكم إني عامل) (فليعمل العاملون) ولم يبلغ القول في القرآن إلى مستوى العمل أبدا ، فالكثيرون يدعون صحة الاعتقاد ، وإن يقولوا تسمع لقولهم تجده يخالف نهائيا ما ادعوه ، والكثيرون يقولون ، ولو حقا ، ومن القول الحق ترديد كلمتى الحمد والشكر ، ولكن الصعوبة في تحويل صحة الاعتقاد وحسن القـــول إلى عمل ، وتحريك الجوارح لتكون آلة بشرية تنتفع وتنفع ، أذكر وأنا في تجوالى في بعض البلاد الإسلامية ، ركبت سيارة أجرة ، وفيها أربعة بالسائق من أهل البلد الذى كنت فيه ، وبعد أن تحركت السيارة صاح أحدهم بكلمة : الحمد لله ، وردد الباقون جميعا وراءه ، وكنا في نهار رمضان ، فقلت لعلها صحبة طيبة جمعها الله على حمده ، لعونه لهم على صيام شهره ، وما لبث أحدهم أن أخرج من جيبه علبة الدخان وأشعل سيجارة ، وربما هو الذى صاح فيهم بكلمة الحمد ، وكما رددوها جميعا وراءه ، تبعوا جميعا في إشعال سجائرهم ، وبالتأكيد ما كانوا جميعا يهودا ولا نصارى ، لأن البلد إسلامى والدين الرسمى فيها هو الإسلام ،

بل انبرى أحدهم وهو أضخمهم طولا وعرضا ، يعيب على رمضان لأن أيامه طالت أكثر من اللازم ، قال ذلك وهو يجر نارا من سيجارته جرعات يملأ بها بطنه ، ورمضان لم يتعبه صومه ولم يمنعه من أن يتكيف ، وكان لابد أن يحدث بيني وبينهم ما شاء الله أن يحدث ، فهؤلاء سهل عليهم قول الحمد في رمضان ، وثقل عليهم تحويله إلى صوم رمضان ، وهو العمل ليحصل به الشكر (اعملوا آل داود شكرا) ولهذا كان المتلفِّظون بالحمد كثيرين ، من نوع من كانوا معى في السيارة ، وكان العاملون بالشكر قليلين ، بقوله تعالى : « وقليل من عبادى الشكور » وقوله « قليلا ما تشكرون » ، وقيل إن عمر رضى الله عنه سمع رجلا يكثر من قوله : اللهم احشرني مع القليل ، فسأله عن هذا القليل ، فقال الرجل : أما سمعت قوله تعالى « وقليل من عبادى الشكور » ، فسر عمر بها واستعملها لنفسه ، ونقدم ما يزيد علمنا بأن عمل الشكر زاد عن قول الحمد ، أن الله تعالى لما جعل الشكر من عباده أساسَ عبادته المباشرة ، من صلاة وصوم ونحوهما ، جعل أيضا شكرهم لبعضهم عبادة له تزيد من أجرهم ، فقد أمر سبحانه العبد أن يشكر لوالديه « ووصينا الإنسان بوالديه ، حملته أمه وهناً على وهن ، وفصاله في عامين ، أن أشكر لى ولوالديك » فشكر الله عبادته ، وشكْرُ الوالدين برُّهُما ، وكلاهما عمل بل فاض أمر الشكر حتى زاد عن الوالدين الى التعامل مع كل الناس ، فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم قوله : « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » ، وشكر الناس أن تقابل إحسانهم بمثله ، إن كان قولة أو فعلة ، لأن مبدأ الشكر الاعتراف بالفضل لأهله ، فإن وجد ذلك كان لله ثم لعباده ، وإن عُدِم فليس لله ولا لعباده ومعلوم من غير توضيح أن شكر الوالدين وشكر الناس جزء من شكره سبحانه وحده ، فمستحيل الفهم على الظاهر هنا بأن يكون له شكر ولغيره شكر آخر ، لأن أحدهم سألني عن هذا يوما . وفرق ثالث بين الشكر والحمد يصبح الحمد فيه هو المستمر بلا انتهاء ، ويكون الشكر فيه هو المنتهى ، ذلك أن الشكر وقد فهمناه على أنه عمل ، سينتهى مع الناس بنهاية الدنيا ، حيث لاعمل للناس في الآخرة ، ولكن ثواب وعقاب ، أما الحمد فهو قول قدسي قيل في

الدنيا ، ثم عبر حاجز فنائها ليبقى في الآخرة ، وليقال من جديد بلا حدود ، من أفواه لم تكلح وجوهها بلفحة نار ، ولم تشوه بماء كالمهل ، وإنما هى وجوه ، نضرة النعيم ، فلم يكن يومها أعظم من كلمة الحمد يثنون بها على المحمود وحده ، بما ذكر القرآن عنهم (دعواهم فيها سبحانك اللهم ، وتحيتهم فيها سلام ، وآخر دعواهم ، أن الحمد لله رب العالمين) وآخر ثنائهم قولهم : الحمد لله رب العالمين ، وفي آية أخرى « وقالوا الحمد لله ، الذى أذهب عنا الحزن ، إن ربنا لغفور شكور ، الذى أحلنا دار المقامة من فضله ، لا يمسنا فيها نَصَبٌ ، ولا يمسنا فيها لغوب » مجرد مساس من التعب لا يقع لنا فيها وفي آخر سورة الزمر ينقل القرآن حديثهم « وقالوا الحمد لله ، الذى صدقنا وعده ، وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء . إلى أن تُختم السورة بقوله سبحانه « وقضى بينهم بالحق ، وقيل : الحمد لله رب العالمين » .

أما العباد الشاكرون وقد انقطع عملهم بترك الدنيا ، فإنهم هم الذين سيشكرون من ربهم في الآخرة بالأجر الذى سيظلون أبدا يحمدونه من أجله ، لما يقول لهم سبحانه بعد أن يستقروا في نعيمهم : (إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا) ، وأظنه قد وضح لكم تماما ، أني ما قصدت المفاضلة بين الحمد والشكر ، فكلاهما لا غنى للمؤمن عنهما يصرْفهما إلى الله وحده وإنما قصدت توضيح أمر علمى على النحو التالى : أن نحمد ونشكر بالقلب والقول ، وأن نخص الشكر بالعمل لأنه الالزم للعبد ، وبانتهاء شكرنا في الدنيا يستأنف الشكر لنا من الله بسخاء عطائه ، ومن أجل هذا العطاء يستأنف الحمد منا له أبدا الآبدين ، إن شاء الله ، فلعلنا نعرف اليوم كيف نكون شاكرين ، عسى أن نكون يومها من الحامدين .

وما حال الشاكر في الدنيا قبل الآخرة ، إذا قام بالشكر على الصورة التى أوضحناها فإن أسرع ما يجمع الحسنتين في الدارين هو الشكر ، وحسبنا عن الشاكر في الآخرة ، أنه سيتحول من شاكر لربه إلى مشكور منه ، يُسمعه كلمة الشكر ويغمره بالأجر ، أما في الدنيا ونحن الآن فيها ، فلا مانع أن يرجو الشاكر أجره الدنيوى أيضا ،

وإن عينه لتقر عندما يسمع هذا العهد يأخذه على نفسه مَنْ مَلَكَ الوفاء كله عندما قال سبحانه : (وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم) قد أعلن مقسما بزيادة الشاكر ، أما بقية الآية (ولئن كفرتم إن عذابي لشديد) ، فقد جعلت لها حديثا منفصلا يلي هذا إن شاء الله ، لأن نصف الآية تحدث عن الشاكر ، ونصفها الآخر تحدث عن الناكر ، (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها) ، ولكل حال مقال كما يقولون، أما الآن فحديثنا عن الشطر الأول من الآية الذى وعد الله فيه بالزيادة لمن يشكر ، وفهمها البعض على أنها زيادة وقفت عند ظاهر التعبير على أنه شكر وقع وقوبل بزيادةٍ ما ، ولكن المعنى هنا مستمر لا يقف ، أى كلما زاد الشكر زاد القدْر ، بلا توقف ولا كم معين ، وفي ذلك يقول عالم الصحابة عليٌّ رضى الله عنه : (إن النعمة موصولة بالشكر ، والشكر معلق بالمزيد ، وهما مقرونان في قرن ، فلن ينقطع المزيد من الله ، حتى ينقطع الشكر من العبد) ، ثم إنه لا يطلب منا أن نوفي الله على كل نِعمه ، فكل نعَمِه يستحيل إحصاؤها من جهة ، ومن أخرى فإننا مهما بلغ منا الشكر فلن نوفيه حقه في واحدة منها ، ولكن نعم الله على العباد في هذه الدنيا أجملت أساسا في قسمين ، قسم روحى ، وقسم مادى ، فقسم الروح لما يمن على الإنسان بالإيمان به ، وهو منة المنن بلا شك (بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان) ، (وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله) ، ومع عظم ما هديت إليه من نعمة الإيمان ، فإنها في حاجة إلى زيادة دائمة من واهبها إذا شكرته عليها بصورة دائمة أيضا ، وهذا داخل في معنى الزيادة التى ذكرتها الآية ، فكلما شكرته على الايمان بعمل الطاعات ، كلما رفع درجة إيمانك وقربك إليه ، والعكس يقع كما سنوضح بعد في الشطر الثاني من الآية إن شاء الله ، والقسم المادى من النعم هو ما تحسن وتطيب به دنيا الإنسان ، من مال وولد وصحة بدن ومنصب وما إلى ذلك ، والشكر على هذا النوع لا يقل عن شكر النوع الاول ، فالمنعم واحد والمشكور واحد ، والصفوة الممتازة وهم رسل الله ، مع علمهم بأن الله أتم عليهم نهائيا نعمته ، كانوا من أكثر خلقه شكرا على نعمه المادية الدنيوية هذه ، ليبقيها لهم ويزيدهم منها ، فهم أعرف الناس بأنه لا يجوز أن يؤمن مكرُ الله ، ولذلك

أثنى عليهم بصريح المديح من ربهم ، فمثلا إبراهيم عليه السلام مدحه ربه بقوله : (إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين ، شاكرا لأنعمه)، فهو قد حمد بالقول لما وهب إسماعيل وإسحاق ، وشكر بالفعل لما أكرم أضيافه بالعجل السمين الحنيذ ، المشوى ، فلم يقدم تيسا ولا كبشا وكان عنده من ذلك الكثير ، وإنما شكر على أعلى مستوى مما أعطاه الله ، ونوح عليه السلام ، وهو من أمثلة المديح الإلهى للشاكرين ، لما قال عنه ربه (ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا) ، قيل إنه بالغ في الشكر ، فبالغ الله له في صفته (وكان عبداً شكورا) ، ومن أمثلة مبالغته في شكر ربه ، ما ذكروا من أنه ما مس شيئا قط ولا مسه شئ قط ، إلا شكر الله عليه ، وأنه إذا سكت عن ذلك أثناء الغائط يقول فور خروجه منه : الحمد لله الذى أذاقنى لذته ، وأبقى فيّ منفعته ، وأذهب عنى ضره ، لكن نعم الله الدنيوية على عباده أنواع شتى ، يميز كل عبد منها بنوع أو أكثر ، ومن هنا يكون شكر المنعَم عليه من نوع ما أوتي ، فالحاكم مثلا وهو أكثر الناس حظا في الدنيا ، شكره محدد بأمر لا يجوزله سواه ، وهو تحويل ما في المصحف إلى تنفيذ تام على نفسه وعلى قومه ، فهو سلطان الله في أرضه كما وصف عمر رضى الله عنه نفسه بذلك ، وصاحب عافية البدن شكره الإكثار من العبادة وعون العاجز والكليل ، وصاحب الوظيفة أو المنصب الرفيع شكره الإخلاص وخدمة الناس ، وصاحب السعة في الرزق شكره عدم قبض يده لتظل العليا وليست السفلى ، فقد روى عنه صلى الله عليه وسلم قوله (بينما رجل يمشى بفلاة من الأرض ، فسمع صوتا في سحابة : اسق حديقة فلان ، فتنحى ذلك السحابُ فأفرغ ماءه في حرة فإذا شرجة من تلك الشراج (قناة الماء) قد استوعبت ذلك الماء كله ، فتتبع الماء ، فإذا رجل قائم في حديقة يحول الماء بمسحاته ، فقال له : يا عبد الله ، ما اسْمك ؟ قال : فلان ، للاسم الذى سمع في السحابة ، فقال له يا عبد الله لم تسألنى عن اسمى ؟ فقال : إني سمعت صوتا في السحاب الذى هنا ماؤه ، يقول : اسق حديقة فلانٍ لاسمك ، فما تصنع فيها ؟ ، فقال : أما إذ قلت هذا ، فإني أنظر إلى ما يخرج منها ، فأتصدق بثلثه ، وآكل أنا وعيالى ثلثا ، وأرد فيها ثلثه) ، رواه الإمام مسلم ،

فانظروا إلى قدر الشكر عند الله ، يسخر سحابة كاملة لعبد شاكر ، ويعين لها الاسم ، فتطيع وتطير بمائها وتلقيه حيث أمِرَتْ ، على أن نوعا من الناس لم يعط من مادة الدنيا ما يمده للغير على نحو ما ضربنا من الأمثال ، فهو ليس بحاكم ، أو به علة منغصة ، أو قدر عليه رزقه ، فالأول لا يحبك انقلابا لمجرد أن يحكم هو ، فقد يمسى مقتولا أو مسجونا ، وصاحب العلة المنغصة يغدو بها ويروح ، لا يحسد الصحيح ، فهو خير ممن ألزمته علته الأرض حتى غدا لا هو حى ولاهو ميت،ومن لا يملك إلا قوت العيال ، فلا يحسد ذا المال ، فهو خير ممن اضطر ان يتكفف الناس ، فهؤلاء وأشباههم شكرهم مداومة النظر الي من تحتهم فيطمئنون إلى أنهم أحسن كثيرا من غيرهم ، والرسول صلى الله عليه وسلم يوجهنا بجميل قوله بروايتين للبخارى ومسلم ، الأول يقول : (إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه بالمال ، والخَلْق ، فلينظر الى من هو أسفل منه ، ممن فُضِّل عليه ، ورواية مسلم : (انظروا إلى من هو أسفل منكم ، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم ،فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم) فالذى شكر بهذا التوجيه ، وفهم الهدى النبوى منه ، يعيش قرير النفس هادئ الفؤاد ووُهب حب الخير للخلق ، ونزع منه الغل للغير وارتفع بعز القناعة ، ونعود إلى السؤال الذى افترضته ووعدت بالجواب عنه في موضعه ، وهو ، هل إذا شكرت بمعنى آمنت بالمشكور سبحانه ، وأقمت له أركان الشكر بما أمر ونهى ، وجاء يوم ورزقت فيه خيرا ما ، وحدث أني في هذه المناسبة ما شكرت ، أفأكون قد كفرت ؟ نقول لك:لا ، لأن عدم شكرك هنا ليس من العمل العمد المتصل بإنكار المشكور سبحانه ، فكما لم تشكر اليوم قد تشكر غدا ، لكن إذا شكرت في الكثير ، وفي غير ذلك قلّلَ الشيطان النعمة في عينك دون أن تجحد المنعِم ، فحكمك حكم من خلط عملا صالحا وآخر سيئا ، عسى الله أن يتوب عليك فلا يعاقبك في الدنيا بزوال النعمة ، وفي الآخرة بسؤالك عنها .

والآن نريد أن نعرف ما إذا كان الكفر بالنعمة غير الكفر بالمنعم ، وهو الامر

الذى قلت إني سأفصله بعد ، ودعامة الحديث فيه هو الشطر الثاني من الآية (ولئن كفرتم إن عذابي لشديد) ، فالكفر هنا الذى أعد الله له العذاب الشديد هو الكفر بالنعمة ، المضادُ لقوله تعالى : (لئن شكرتم لأزيدنكم) فهل العذابُ الموصوفُ في الآية بالشدة ، والمعلنُ بالقسم منه سبحانه ، يمكن ألا يعد إلا للكافر الذى ذكرته الآية هذه ، أو من نوعه في قوله تعالى (الذى اتخذ مع الله إلها آخر فألقياه في العذاب الشديد) فالكفر بالنعمة يقتضى الكفر بالمنعم ، فلا عقل ولا نقل يختلف في هذا أبدا ، ولنسمع هذا المثل النازل من السماء ، في أمر صاحب الجنتين اللتين آتت كلتاهما أكلها ولم تظلم منه شيئا ، فصورة كفره بهذه النعمة الكثيرة في قوله لزميله الشاكر بقليله ومافي القرآن من حكايتهما (ودخل جنته وهو ظالم لنفسه،قال ماأظن أن تبيد هذه أبدا ، وما أظن الساعة قائمة) إلى آخر الآيات ، فهو لم يشكر النعمة التى ظن أنها لن تبيد ، وجره الظن بذلك إلى الظن بعدم قيام الساعة ، التى سمع أنها ستبيد الدنيا ومنها حدائقه الواسعة ، فلا شئ يُبيدُ بساتينه أو يُغيضُ ماء نهره ، ومع أن كلمة الكفر لا وجود لها من هذا الجاحد في كلمات الآية ، إلا أن صاحبه وصمه بها على الفور ، فلم ينقله من الكفر بالنعمة إلى الكفر بخالقها ، وإنما طبعه مباشرة بالكفر بالخالق ، عندما قال له : (أكفرت بالذى خلقك ؟) ، إلى أن أعلنت الآية إبادة ما ظن أنه لن يبيد ، (وأحيط بثمره ، فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها ، وهى خاوية على عروشها ، ويقول يا ليتنى لم أشرك بربي أحدا) ، وهكذا بعد الفوات ، علم بأن عدم شكره أدى إلى شركه ، ومن أمثلة القرآن أيضا نقدم قصة السَّبَئِيِّين : (لقد كان لسبإٍ في مسكنهم آية ، جنتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم ، وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشئ من سدر قليل ، ذلك جزيناهم بما كفروا ، وهل نجازى الا الكفور) فما طُلب منهم مقابل هذا العطاء العظيم إلا أن يأكلوا ويشكروا ، فما أرهقوا بخراج ولا أثقلوا بمغرم ، فعن الأكل أكلوا ، وعن الشكر أعرضوا ، فجوزوا بالعقاب الرهيب الذى ذكرته الآية ، فهم أيضا لم يعلنوا كفرهم بربهم ، وإنما كفروا

بنعمته لما أعرضوا عن شكرها ، فغرقوا في مستنقع الكفر بالله إلى رءوسهم كإغراق سيل العرم لزرعهم ، ويقرر ذلك باستفهام التقرير مع حصر المعنى بأن جزاءه هذا لا يقع إلا للكافر والمبالغ فيه (ذلك جزيناهم بما كفروا ، وهل نجازى إلا الكفور) ، وغير هذا من وقائع كثيرة مذكورة في القرآن ، كقصة القرية التى كفرت بأنعم الله ، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف ، وكقوله : (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها) أى كفرت نعمتها ، وأصحاب الجنة التى أصبحت كالصريم ، لما انطلقوا وهم يتخافتون ألا يدخلنها أي مسكين ، والذى عاهد الله لئن آتاه من فضله ليصدقن وليكونن من الصالحين ، فلما آتاه من فضله خان عهد الله ومنع الصدقة ، فكان أن طرد من رحمة الله نهائيا ، وشبيه بذلك كل مانع للزكاة ، إجماع على أنه يقاتل ودمه هدر ، والسنة أيضا زاخرة بذلك ، فكلكم يعلم بماذا قضى على الأقرع والأبرص ، لما أنكرا نعمة الله في حديث الصحيحين المشهور عن الثلاثة ، حيث فاز الأعمى بشكره للنعمى ، وخسر الآخران بكفرهما بها ، وكذا ما روى عن النعمان بن بشير رضى الله عنه بسند صحيح ، قوله صلى الله عليه وسلم : (التحدث بالنعمة شكر ، وتركها كفر) ولفظ الحديث بتمامه جميل نسمعه (التحدث بالنعمة شكر ، وتركها كفر ، ومن لا يشكر القليل لا يشكر الكثير ، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله ، والجماعة بركة ،والفرقة عذاب) إذاً فلنشكر نعمة الله على الفهم الذى قدمناه ، وليس فقط بكلمة شكر يخادعون بها ، وما يخدعون إلا أنفسهم ، ويقدمون لزوال نعمتهم ، فكان من دعائه صلى الله عليه وسلم : (اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك ، وفجأة نقمتك ، وتحول عافيتك) وروى الموقدى والزهرى عن عروة رضى الله عنه عن عائشة رضى الله عنها ، أنها قالت : دخل عليّ النبي صلى الله عليه وسلم ، فرأى كسرة ملقاة ، فمسحها فقال : (يا عائشة ، حَسِّنى جِوار نعم الله عز وجل ، فإنها قلما نفدت عن أهل بيت ، فكادت أن ترجع إليهم) ، أو قد تستدرج ، بمعنى أن تبقى النعمة وقد تزيد ولو لم تشكر ، وذلك في تأويلين بمعنى واحد لقوله تعالى : (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) ، أحدهما ، نُسبغُ عليهم نعمنا ونمنعُهم شكرنا ، والثاني : كلما أحدثوا

ذنبا ، أحدثنا لهم نعمة ، ليظنوا صواب طريقتهم ، فإذا ما جمعوا فأوعوا ، جمعوا المال حتى امتلأت به أوعيتهم ، وليس كما استعمل البعض الآية في غير معناها — وماتوا وتركوها بخلابها وكنزهم لها ، فهؤلاء داخلون في قوله تعالى: (يوم يحمى عليها في نار جهنم ، فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم ، فذوقوا ما كنتم تكنزون) وأعلم واحدا من هذا النوع ، كان يخبئ أوعية المال في أماكن خفية لم يخبر عنها أهله ، ففاجأه الموت على غرة ، وهكذا حرم نفسه وغيره من نعمة الله ، فما استفاد منها ولا أفاد ، ولا يقولن جاهل بأن الكافر أوفي نعمة من المؤمن في هذه الدنيا ، ذلك لأنه ليست له نعمه ، وإنما هي عليه نقمه ، فمعروف بأن الدنيا جنته أمليت له ، ليزداد بها عند الله شقاء . (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم ، إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ، ولهم عذاب مهين) وعندها سيسمعونها مرعبة (أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ، فاليوم تجزون عذاب الهون) فليس في موضوعنا هذا الذى اختار التعامل مع دنياه ، أما نحن الذين نتعامل مع الله ، فقد آثرنا ما يدوم على ما يزول ، فهذا جعلنا نرضى بما نُعطى ، وعرفْنا شكره على ما أعطى بأنه إفادة الغير ، من نوع أو أنواع ما أنعم علينا به ، والاشتغالُ بطاعته وعدمُ إغضابه ، بهذا نعرف كيف نكون شاكرين ، فيبقى لنا النعمة في الدنيا ، ويتمها برحمته في الأخرى ، ولنحذر العكس فنحرم ، أو نستدرج من حيث لا نعلم وُقينا شر ذلك ، وجُعلنا من الشاكرين .

إن الذى يتناول الحديث عن الشكر ، لابد له أن يطرق جانب الصبر لأن النوائب التى أحوجت الإنسان إلى جهد الصبر ، استجلبها هو لنفسه ، حيث لم يجعلها الله أساس عمله مع عباده ، وإنما بدأهم بالخير غير الممنون ، قدم لأول خلقه جنته ، وقال له : (إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ، وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى) ، فأبي إلا أن يهبط منها إلى أرض البلايا ، فكان الاضطرار إلى الصبر ، بعد عدم الشكر ، وما قصدت حديثا شاملا عن الصبر ، فهو موضوع ممتدُّ العُياب ، يحتاج إلى كتاب ، ولم أبلغ من العلم هذا المقام ، وإنما آخذ منه ما أكمل

به موضوعي وهذا حسبي ، فالشكر في أساسه وهو الإيمان ، لابد أن يقع في امتحان ، (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) ، وهنا دور الصبر ولا شئ دونه ، ليثبت في قلبه نور ربه ، والشكر في النعم المسبغة المفرحة للنفس ، معرضة للنقص والغيرَ ، وهنا دور الصبر ولا شئ دونه ، ليهون عليه الابتئاس والأنكاد ، وليذكره بأيام هنيئة شكر فيها ، إلى أن يذهب الغيم ويزول الهم ، وقد أشارت إليهما مجتمعين أكثرُ من آية ، كقوله تعالى : (ونبلوكم بالشرُ والخير فتنة) ، فالصبر للشر ، والشكر للخير ، وقوله (وأنه هو أضحك وأبكى) فالضحك للسرور الذى له الشكر ، والبكاء للحزن الذى له الصبر ، إذْ لا حيلة لتجنب الابتلاء بالبكاء بعدما قضاه الله في هذه الدنيا ، بل إن ما يسيل الدموع فيها هو الأكثر ، فلكى تقدر على حقيقتها حلاوة العسل ، لابد من حموضة الخل ، فلا يصح أن يختل وقتئذ ميزان الإيمان عنده ، ليكسب الأجرين معا كما وعد الصادق صلى الله عليه وسلم ، حيث جـعل كل أمر الدنيا في حالين ، سراء وضراء ، والمؤمن في كليهمارابح ، وقصر ذلك على المؤمن لأنه ثابت الحال عند تبادل الحالين عليه ، فقد قال صلوات الله عليه وهو يعجب : (عجبا لأمر المؤمن ، إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته ضراء صبر ، فكان خيرا له ، وإن أصابته سراء شكر ، فكان خيرا له) متفق عليه ، ومع أنه سبحانه قدر الابتلاء ليمحص الذين آمنوا وليميز الخبيث من الطيب ، لم يفاجئنا بابتلائه ، لعلمه بوقع الأسى المفاجئ على الضعف الإنساني ، فقدم إعلامنا به قبل أن يوقعه بنا ، ليكون سهل الحدوث هين التأثير ، فمن ذلك قوله عز من قائل (ولنبلونكم بشئ من الخوف ، والجوع ، ونقص من الأموال ، والأنفس ، والثمرات ، وبشر الصابرين) وقوله (لتبلون في أموالكم وأنفسكم) وقوله : (إنما يبلوكم الله به) وقوله (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ، ونبلو أخباركم) ، ومن هذا كثير في كتابه مذكور بالمؤكدات كما سمعنا ، من هذا كان من اللازم أن يعيش المؤمن طول عمره ، مستعدا لتقبل أمر ربه ، لا يفاجأ به ولا يُنال من إيمانه ، وبذلك يكون إن شاء الله من أهل هذا الحديث الشريف (مثل المؤمن كمثل

الخامة من الزرع ، تفيئُها الريح ، تصرعها مرة وتعدلها أخرى ، حتى يأتيه أجله ، ومثل الكافر كمثل الأرزة المجذبة على أصلها ، لا يصيبها شئ حتى يكون انجعافها مرة واحدة) رواه الإمامُ مسلم ، فالصبر إذاً شئ يعده المؤمن سلفا ، حيث لابد منه يوما ، يستعمله في هدوء ورضاً ، على حد قول شاعرنا السابق . :

(عرفنا الليالى قبل ما نزلت بنا   فلما دهتنا لم تــزدنا بها علما)

• في اعتقادى أن كل ما أوتيه أيوب عليه السلام من الأجر على الصبر ،لا يساوى كلمة المدح التى سُكِبَتْ عليه من ربه ، (إنا وجدناه صابرا نعم العبد ، إنه أواب) رجاع تواب فعل هذا وهو تحت وطأة الداء ، فقد ذكروا أن زوجته قالت له كلمة ، فهم منها استبطاءها لشفائه ، لطول علته التى أضنته ، فقال لها غاضبا ، والله ما أنصفت الله ، أيُفيض علينا من نعمه أربعين سنة ، ولا نصبر على ابتلائه بضع سنين ، والله إن شفيت لأضربنك مائة ضربة ، فهو عليه السلام قد غضب لربه وهو في شدة ابتلائه من الذى غضب لأجله ، فكان نعم الجزاء هذا الثناء ، بل وشملت رحمته زوجته (ووهبنا له أهله ومثلهم معهم ، رحمة من عندنا وذكرى لأولى الألباب ، وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث ، إنا وجدناه صابرا ، نعم العبد ، إنه أواب) ، ونُقِل عن على رضى الله عنه هذه الحكاية (لما ضاق بختنصر بنبِيِّ الله دانيال عليه السلام ، أمر بوضعه في جب مع أسدين، وأغلق عليه خمسة أيام ، ثم نظر ليرى ماذا فعل الأسدان بدانيال ، فوجده بجانب الجب يصلى ، والأسدان لم يفعلا به ضرا ، فقال له بختنصر : أخبرني ماذا فعلت حتى دُفِع عنك؟ قال : قلت : الحمد لله الذى لا ينسى مَنْ ذكره، الحمد لله الذى يكشف حزننا عند كربنا ، الحمد لله الذى يجزى بالصبر نجاة ، ويقول شريح : ما أصيب عبد بمصيبة ، إلا كان لله عليه فيها ثلاثُ نعم ، ألا تكون كانت في دينه ، وألا تكون أعظم مما كانت ، وأنها لابد كائنة فكانت ، وذكر في تفسير قوله تعالى : (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ، أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) أنه صح عنه صلى الله عليه وسلم قوله في تعريف أصحاب هذه الآية (من ابتلى

فصبر ، وأعطى فشكر ، وظُلِم فغفر ، وظَلَم فاستغفر ، ثم شكر ، وهنا سكت صلى الله عليه وسلم ، قالوا : ما له يا رسول الله ؟ قال : أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) ، أما هذا الذى تخدعه بسمات الأيام ، ولا يأخذ في باله أن الفم الذى يبتسم ، يمكن أيضا أن يعض ، فإذا ما دهمته بلوته ، كان واحداً من اثنين ، إما أن ترجه الصدمة ، فيصاب بأسقام قد تلازمه طول عمره لا يبرأ منها ، وأظُننا نعرف قائمة طويلة من هذا النوع بتسمية الأطباء ، كالشلل والضغط والتصلب والسكر وقرحة المعدة والسرطان وغيرها ، عوفيتم منها جميعا ، بل قالوا قد يصاب بظلام العمى ، وكان القرآن أسبق وأصدق (وتولى عنهم وقال يا أسفا على يوسف ، وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم)

بل قد يؤدى الحزن إلى مصرع المحزون ولا دخل للتحدث هنا عن الأجل ، فقد عاتب الله رسوله في هذا قائلا له : (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) ، أما ثاني الرجلين ، فهو الرقيق الإيمـــان المهلهل البنيان ، لأنه مع الخير والشر متلون كالحرباء ، متقلب كنهار الخريف ، يريد لنفسه كل شئ ، ولا يعطى من نفسه أى شئ ، ولا يكاد يصاب بأمر لا يروقه حتى يضيق صدره ، وينطلق لسانه برذاذ التبرم وعدم الرضا بما قدر الله وقضى ، بل قد يمرق نهائيا مما كان لديه من بقايا إيمان ، فيصبح من أهل هذه الآية (ومن الناس من يعبد الله على حرف ، فإن أصابه خير اطمأن به ، وإن اصابته فتنة انقلب على وجهه ، خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين) ، إن رَضِيَّ البال هانئَ الفؤاد رغم سحائب المصائب التى لم تنقشع عن رأسه ، هو ذلك الفطن الذى علم بأن من المستحيل أن يحدث الله في كونه شيئا ما إلا لحكمة بانت أو غابت ، وأنه ما فعل هذا به أو بغيره ليلعب بعباده أو يتلهى بلا أمر يريده (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين ، لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين) ، وأدرك هذا النابه بعقله الذى أوتيه ، أنه حين يقبل أمر ربه راضيا ، خير له من أن ينزل على أم رأسه كارها ، فقد ملأ قلبه قول ربه : (وكان ذلك في الكتاب مسطورا) ، (وكان أمر الله قدرا مقدورا) ، (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في

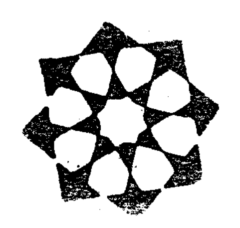
في كتاب من قبل أن نبرأها ، (ما أصاب من مصيبة إلا بأذن الله ، ومن يؤمن بالله يهد قلبه) ، أى ومن يؤمن بحكمة القدر وليس على أنه فقط تقلبات وغير نهد قلبه إلى ما يهدئه ويُسكنه ، ثم يصبره ويؤجره ، وذلك ليذيقه قطوف الحكمة التى اعتقد بالغيب مصاحبتها مع كل قضاء وقدر ، وفي هذا يقول صلوات الله عليه بما رواه الترمذى وصححه (يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب ، لو أن جلودهم كانت قرضت بالمقاريض) وفي الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم (من يرد الله به خيرا يصب منه) ففى هذا الحديث ظهرت الحكمة من إصابة المؤمن بأنها إرادة له بالخير ، لكن ما هو هذا الخير ؟ سيغبط المبتَلَى من المعافي كما في الحديث السابق ، ولهذا كان من سـمات معتقدى الحكمة في كل ما يبشر أو يكدر ، أن الله نزع من قلوبهم حب الدنيا ليهون عليهم كدرّها ورغبهم في الآخرة ليديم عليهم صفاءها ، ولهذا لما ذكر وفد بنى الأزد للنبي صلى الله عليه وسلم : أن من صفاتهم ، الشكر عند الرخاء ، والرضا بمر القضاء ، أجابهم بقوله : (علماء حكماء) ، ووعظهم إلى أن قال : (وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلدون) ذكره القسطلاني في المواهب وأبو نعيم في معرفة الصحابة ، و"نُكتة" جميلة أو لغز جميل ، حتى لا يقال : انكم معشر المصريين تدخلون النكتة حتى في أمر مهيب كالذى نحن بصدده ، واللغز هو ، اثنان لا يحاسبان يوم القيامة ، ومع هذا فأحدهما إلى الجنة ، والثاني إلى النار ، والجواب سهل لأنه من كتاب الله ، أما الأول فهو الصابر (إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب) وأما الثاني (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم ، فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) بل ان الصابر "فُضّل" على الذى أوتي كتابه بيمينه ، لأن الآية قررت دخول الصابر الجنة بغير حساب ، والآخذ باليمين قالت عنه (وأما من أوتي كتابه بيمينه ، فسوف يحاسب حسابا يسيرا) ولو كان هو العرض كما فسره صلى الله عليه وسلم ، لأنه عُرِض على الله ، وقبل دخول الجنة ، والصابر تعرض له الله بعد دخول الجنة .

ثم بعد ، فلكى نكون شاكرين ، يتحتم أن نكون صابرين ، فلابد من بسمة ودمعة (وبلوناهم بالحسنات والسيئات) وخير حسناته إلينا هو ما قدمه إلينا في

قوله : (وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) حيث الظاهرة هدانا للإسلام ، والباطنة ستره لمعاصينا ، لهذا فُرِض علينا شكرُه ،

نسأله العون على القيام به بالمفروض علينا ، عسى أن يتم علينا نعمته في الدنيا والآخرة ، فقد سئل الحسن رضى الله عنه عن معنى تمام النعمة فقال : (أن تضع رجلا على الصراط ورجلا في الجنة) ومسك الختام هذا الحديث العظيم ، روى ابن ابي الدنيا ، وابن حجر العسقلاني ، عن عمرو ابن شعيب ، عن أبيه عن جده قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (خصلتان من كانتا فيه ، كتبه الله صابرا شاكرا ، ومن لم يكونا فيه ، لم يكتبه صابرا ولا شاكرا : من نظر في دينه إلى من هو فوقه ، فاقتدى به ، ومن نظر في دنياه إلى من هو دونه ، فحمد الله على ما فضله به عليه ، كتبه الله صابرا شاكرا : ومن نظر في دينه إلى من هو دونه ، ونظر في دنياه إلى من هو فوقه فأسف على ما فاته ، لم يكتبه الله صابرا ولا شاكرا) ، سألنا الله الخصلتين ، واستعذنا به من ضدهما ، وكتبنا عنده صابرين شاكرين .

عبد الفتاح العشماوى




دراسات
في
الأدب الإسلامي
و
اللغة العربية

الصولى شاعراً

دراسة فنية تحليلية لأهم أغراضه الشعر عنده

لفضيلة الدكتور أحمد جمال العمرى

« هو محمد بن يحى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول تكين ، أبو بكر الصولى البغدادى ، العالم الفقيه ، الأديب الكاتب ، الشاعر الناقد ، الإخبارى المؤرخ ، الشطرنجى النديم ، الذى عاش قرابة ثمانين عاما — (٢٥٥ — ٣٣٦ هـ (في فترة تولى الخلافة فيها أكثر من اثنى عشر خليفة ، نادم أربعة منهم ، واتصل بمعظم الباقين ، وكانت له مكانة مرموقة ، وسمعة حسنة لديهم جميعا ، ففتحوا له أبواب قلوبهم وقصورهم ، ليعيش في بلاطهم أكثر من نصف قرن من الزمان ، وليصادف ما لم يصادفه أحد من قبله ، وليشهد ما لم يشهده غيره من معاصريه (١) » . .

كان الصولى شاعراً فحلا بين فحول عصره الافذاذ — أبي تمام والبحترى وابن الرومى وغيرهم ، واستطاع أن يقف بين هؤلاء المشهورين منافسا قويا . . .

فهو شاعر جزل الألفاظ ، متخير الكلمات ، لا يجد مشقة في الأوزان ، ولا في اختيار القوافي ، اكتملت لديه نماذج الشعر العربي في مثاله العايا ، كان ولا شك

---

١ — انظر ترجمته فى :ارشاد الاديب لياقوت والاعلام للزركلى ، انباء الرواه للقفطى والانساب للسمعانى والبداية والنهاية فى التاريخ .

٢ — يوجد فى حوزتى ديوان ابى بكر الصولى مخطوطا محققا .

يسيطر على لغته ، ويتمثل التراث العربي في كلّ صوره وجُلّ معانيه وأغراضه تراثا ، واضحا جليا ، واستطاع أن يصوغ الكثير من المعاني الجميلة ، فيجئ بالجديد أو ما يشبه الجديد .

وشعر الصولى مرآة صادقة لنفسه ، وصورة صادقة لعصره ، وصورة صادقة للفن الخالص ، والأدب العالى . . نرى فيها كل ما أحسّ به في حياته المديدة من الحنين واللوعة ، والسعادة والتعاسة ، والرضا والحسرة ، ظهر كل ذلك واضحا في شعره ، فقد دفعته الأحاسيس النفسية إلى أن يعبر عن أعماق نفسه في جميع حالاتها ، كما دفعته حياته الخاصة في رحاب الخلفاء والامراء ، وما كان يتنسمه من عبير الحياة الرغدة في قصورهم إلى وصف المناظر الطبيعية ، والوقوف على ضفاف الأنهار ، وأن ينطلق لسانه بتصويرها مبيّنا أثرها في نفسه . .

ومن المهم أن نعرف أن الصولىساير شعراء عصره . . مدح ورثي ، وتغزل ووصف وفاخر وصور مشاعره ازاء الناس والحياة ، كما كتب الرسائل الشعرية . .

ويكفي لكي نبرهن على شاعريته أن نقف أمام مجالين من مجالات الشعر عنده .

أحدهما غيريّ : وهو المديح ، والثاني ذاتيّ : وهو الفخر

المديح :

أكبر الموضوعات التي جال فيها الصولى بشعره وأهمها . . فن المديح ، ذلك الفن الذى يصل الشعراء العباسيين بالشعراء الأقدمين ، أولئك الذين ارتفعوا بهذا الفن إلى ذروته ، ثم ترسّم العباسيون خطاهم ، فتتبعوهم فيه ، ومعروف أن الشعراء القدامى اتخذوا من المديح أداة لتربية الخلق ، والحث على مكارم الاخلاق ، فكان الشاعر يمدح ممدوحيه بالكرم والشجاعة والاعتداد والإباء وغير ذلك من المثل العليا التي لم تكن ترجع إلى الفرد وحده ، بل تعود على الجماعة أو القبيلة كلها .

ولما جاء الاسلام صبغ هذه المثل الخلقية العربية بصبغة روحية ، فاخترعت المعاني الاسلامية التي تتحدث عن الايمان والعدل والتقوى ، فأضاف الشعراء الاسلاميون هذه الصفات إلى مدائحهم للخلفاء والوزراء . ولقد اتصلت المديحة العباسية بالمديحة

الاسلامية ، فالشعراء مضوا يتمسكون في مدائحهم بتصوير المثل الخلقية العربية وما أشاعه فيها الاسلام من مثالية روحية ، فأكثروا من مدح الخلفاء بالعدل والتقوى .

وقد اختلفت القصيدة العباسية عن القصيدة القديمة من حيث الموضوعات ، وإن كانت تسير على نهجها ، فهى تبدأ بمقدمة غزلية طللية ، ولكن قد يضيف إليها الشاعر العباسى بعض تحليلات لخواطره ازاء الحب ، كما يضع فيها تصويرا لمطامحه وآماله في الحياة ، وقد يضيف إلى ثناياها بعض الحكم ووصف الطبيعة ، وبعض العناصر الدينية .

فقصيدة المديح العباسية لم تكن مديحا خالصاً ، بل كانت تحمل في فاتحتها كثيرا من أحاسيس الشاعر ، وخلجات صدره ، كما كانت تحمل وصف الرياض والربيع والقصور ، ومقدمات أبي تمام يتجلى فيها هذا الجانب . وأيضا فإنه قدم لقصيدته في فتح عمورية بحديث طويل عن القوة والعقل ، وهاجم المنجمين وخرافاتهم ، وزعمهم الاطلاع على الغيب . وقد اشتهر البحترى كذلك بوضع المقدمات التى تصف الرياض والربيع ، كما تصف قصور الخلفاء .

كل ذلك كان تجديدا بلا شك من الشعراء العباسيين ، اختلفوا فيه عن الشعراء السابقين ، وعن منهجهم في التعبير ، وفي وصف الرحلة وتحمل المشاق ، وغير ذلك مما تطالعنا به قصائدهم ومدائحهم .

فإذا كانت هذه هى مقومات المديحة العباسية بوجهها الجديد — كما نراها عند أبي تمام والبحترى وغيرهما — فهل سار الصولى على نهجها وتتبع خطا شعراء عصره ؟ . أو أنه اتبع طريقا آخر ومنهجا مغايراً ، فاستحدث أشياء أضافها إلى مدائحه ؟

الواقع أن الصولى وقد عاش في العصر العباسى ، ونهل مما نهل منه العباسيون شعراء وأدباء ، جاراهم فيما جروا فيه ، إلا أنه اختلف في منهجه ، وفي مديحه بعض الشئ ، فأضاف أشياء لم تكن موجودة عند نظرائه ، واختط لنفسه — في

مدائحه – منهجا يكاد يُعرف به ، ربما حدده له وضعه الديني والاجتماعي والأدبي ، وصلته بالخلفاء والأمراء والوزراء .

فإذا نظرنا في مدائح الصولي ، وجدناه يقدم لها أحيانا بمقدمات تختلف عن مقدمات معاصريه ، فنراه في مطالع مدائحه يبدل المقدمة الغزلية أو غيرها من المقدمات التي اصطنعها الشعراء الآخرون ، بوضع مقدمة أخرى تبين استبشار الناس وفرحتهم بحلول خليفة جديد أو أمير أو وزير – يأملون فيه أن يرجع هيبة الدولة ، وأمجاد الاسلام ، على نحو قوله في فاتحة ضاديته للخليفه الراضي بالله :

أصبح الملك عاليا بأبي العبـــــاس أعلى الملوكِ بعدَ انخفاضِ
واستفاض السرور في سائر النـــاسِ ، بملك المهذّبِ الفياضِ

فهو مستبشر مسرور لعلو الملك ثانية بحلول الخليفة الراضي ، الذى سيعيد المهابة إلى الخلافة الاسلامية ، بعد الضعف الذى أصابها من قبل ، ويقول إن السرور عم جميع المسلمين بتولى الخلافة رجل همام سيعيد للدولة مجدها وهيبتها بقوة عزيمته .

ويقول في مديحته السينية . ان الدهر قد ضحك بعد أن ظل عابساً مدة طويلة ، وأن السعد سيكون حليفا له وللمسلمين بعد أن لازمهم النحس طويلا ، وستلبس الأيام ثوب النعيم ، بعد أن لبست طويلا أثواب الشقاء ، لأن الله سبحانه وتعالى قد اختار للخلافة رجلاً قويا سيعيد لها هيبتها وجلالها بعد أن كانت كالربع الواهي الضعيف البناء .

يقـــول :

ضحك الدهر بعد طول عبوس طالعاً بالسعود لا بالنحـــوسِ
وأتتنـــا الأيام معتــــذرات لابسات نعيمها بعـــد بُوسِ
رضى الراضى الالـــهُ لمُلْـــك أوضح النهج منه بعد الدروسِ
آنس الله بالخــليفة ملـــكا موحش الربع واهن التأسيسِ

ويمدح الخليفة الراضى بالله ، بأنه نسيم الحياة ، الذى أنعش الدهر وأضحكه ، ويشبه أيامه اللذيذة وسعادة الناس فيها بسعادة المحبين بالوصال ، وسعادة العروسين

في ليلة الزفاف ، وهما صورتان جديدتان برع الصولى في رسمهما ، يقول :

يا نسيم الحيـــاة أضحكت دهراً | كان لـــولاكَ دائم التعبـــيس
إن أيـــامك اللذاذ كوصل الـ | حب طيبا ونـــومة التعريس

وليس معنى ذلك أن جميع فواتح قصائده تسير على هذا المنوال ، فالصولى يجارى أيضا تيار عصره ، ويحاكى الشعراء المعاصرين التقليدين ، فيبدأ أحيانا بعض مدائحه بمقدمات غزلية مأثورة ، له فيها لفتات نادرة ، وصور رائعة ، من مثل قوله في مديحته الدالية للراضى :

متيّم متلفـــه تـــلدّده | بان بين الهوى تجلده
طال عليه مدى الصدود فما | يبصره في ضـــناه عُوّده
قد كتب الحب بالسقام له | نظمـــه بمن أتي يفنـــده

على أن مقدمات مدائح الصولى لا تسير على وتيرة واحدة ، أو تنحصر في مجال واحد ، فتراه احيانا يخالف منهجه السابق ، فيجعل افتتاحيات قصائده شكوى لهمومه وأحزانه ، وتنفيسا عن تباريحه وأسقامه ، على نحو قوله في مقدمة ميميته لابن مقلة وزير الراضى :

أنا من بين ذا الـــورى مظلومُ | وإذا ما خصـــمتهم مخصومُ
تتخطّـــاني الحظوظ فآســـى | ومكـــاني من علمهم معـــلومُ
كم ترى في الزمانِ مثلي حتىّ | لمْ يرُمْنى الوزيرُ فيمَنْ يرومُ

وقد يخالف الصولى ما تواضع عليه الشعراء ، فلا يقدم لمدائحه بمقدمات ، بل يتناول موضوعه مباشرة ، كما فعل في مديحته النونية التى هنأ بها البريدىّ وزير المتقى لله ، بتوليه زمام الحكم .

واذا كان الصولى لا يقدم أحيانا لمدائحه للوزراء – فإنه قلما يمدح الخلفاء بقصائد دون أن يقدم لها بمقدمات غزلية أو استبشارية أو غيرها ، فلم نعثر إلا على مديحة

واحدة للراضي — وهى مديحته الزائية — بدأها الصولى بالدعاء للخليفة دون أن يقدم لها . . حيث قال :

بــارك الله للأمير أبي العبــا　　س خــير المــلوك في النيروز
وأراه أولاده الغــــر أجــدا　　راً بملك نــامٍ وعزٍّ عــزيزِ

غير أن الصولى في معظم الأحيان يقدم لقصائده بمقدمات غزلية ، قد تطول أو تقصر حسب انفعاله ، وحالته النفسية ، فقد تكون بيتا واحداً — كما في داليته للخليفة المعتضد بالله (١) ، وقد تصل إلى العشرين بيتا كما في مقدمته لقصيدته البائية (٢) التى مدح بها الوزير ابن الفرات . وعموما فمقدماته الغزلية تراوح بين الأربعة والخمسة الأبيات ، أما مقدماته الاستبشارية فهى دائما متوقفة على تولى الخلافة أو الوزارة أو الامارة .

واذا تركنا مقدمات مدائح الصولى إلى مدائحه نفسها ، وجدناه يجسم المثالية الخلقية تجسيما قويا في ممدوحيه ، فهو حين يمدح الخلفاء أو الوزراء أو الأمراء ، لا ينفصل عن منهج السابقين والمعاصرين ، حيث يتمثل المعاني العربية المتوارثة ، كالشجاعة والكرم والوفاء والإباء ، وغير ذلك مما يتصل بالاخلاق الفاضلة ، والخصال الحميدة ، .

فنراه يمدح الخليفة الراضى بالشجاعة ، وأن قواده وجنوده يستمدون منه القوة والمقدرة القتالية ، وأنه سيف على الخارجين عليه ، العاصين لأوامره ، وهو المقتدر المطفئُ لنار طغيانهم . . يقول :

جيوشــه حوله كما حــدقت　　بالبــدر بــدر التمام أسعده
سيف على مَنْ عصــاك مقتــدر　　تطفى به طغيــانه وتغمــده

---

١ — انظر مروج الذهب للمسعودى ٤/٢٧٨
٢ — اخبار الراضى بالله ص ٤٧

ويمدح قائده – ابن ياقوت – بالشجاعة والبأس ، وأنه قبلة الحرب ، المؤيد بنصر الله فيقول :

يا إمام الهدى استمع لـــــولىٍّ   سائر في مديحـــكم ركـــاضِ
يفضل الناس في الشجاعة والبأس   كفضل الدّيس لابن مخـــاضِ
قبلة الحـــرب حين تجتنب الحـ   ـب وتردى خيولها في العـــراضِ

ويمدح الصولى الأمير توزون بالإقدام والفتك والجرأة يوم احتدام الوغى ، والتقاء الأقران ، فيقول . .

عرفت بإقدام وفتك وجـــرأة   فما أحـــد في كل ذلك ينكرك
إذا التقت الأقرانُ واحتدم الوغى   فسيفك بالنصر القريب يبشرك
وإن جر يوما عسكرا ذو تجمع   فسيفك فرداً في قتالك عسكرك

ويساير الصولى – في مدائحه – تيار الشعر المتوارث ، فيمدح الراضى بأكبر الصفات والمعاني التي كان يفاخر بها العرب وهى صفة الكرم حيث يقول :

أموالـــه نحونا موجهـــة   بنـــائل لا تحـــث ورّده
يعلى لنا الحال والمحـــل به   فـــلا ســؤال لــه نردّده

ويبالغ في مديحه بالكرم ، فيصفه بأنه النبع الصافي الذى منه يرتوى الناس ، وأن جوده شمل كل من حوله ، وأن بشره زائد العطاء ، ويربط بين سخائه وصورة البرق الذى يلمع في السماء دليلاً على انهمار الغيث ، ويقول إن هذا العطاء والسخاء يأتي تكرما دون سؤال إنسان أو تذكير من أحد ، فالعطاء يجرى من يديه إلى الناس خالصا ، كما تجرى المياه من منابعها صافية .

يقـــول :

يردُ الناس منه أغـــدار جـــود   طيب الورد مـــترع الأحواضِ
بشره زائد العطاء كما الـــــبر   ق دليـــل الغيوث بالإيمـــاضِ
صـــافيا من تكدر المطل يجرى   جرى ماء صافٍ على رضراض

ويضيف الصولى إلى هذين المعنيين المتوارثين — الشجاعة والكرم — معاني أخرى ، فنراه يمدح ممدوحيه بصفات أخرى تتصل بالناس وصلة الحكام بهم . فيمدح الراضى تارة بأنه المفرج للكروب ، وخير مَنْ يلوذ به الناس ويحتمون ، الوفي بالوعد ، السمح . . ويمدحه تارة أخرى بأنه المحسن الذى اكتسب حب الناس وطاعتهم له ، وتقديرهم لمكانته وفضله ، حتى لم يعد هناك إنسان يبغضه أو يسخط عليه لسماحة وجهه وعفوه . . يقول :

أحسنت حتى ما نرى متسخطا ... يشكو الزمان ولا نرى لك مبغضا
كم مبغض حطت إليك ركابه ... نال الغنى عجلا فأغنى المبغضا

ويضيف الصولى إلى مدائحه بالأخلاق الكريمة ، والخصال الحميدة وغيرها مدائح أخرى ، بعضها يتصل بالصفات الشخصية ، فيمدح الراضى بالذكاء ورقة الطبع . . فيقول :

رقيق حواشي الذهن هذب طبعه ... ومحص في قرب المدى أيما محص

وأنه لا يخونه الفهم ، ولا يسئ التقدير :

أرى ذكيا ذكت خواطره ... فلم يخن فهمه متلده

ويصفه بأنه البدر الذى أضاء دجى الظلماء ، والذى لم يأت خليفة مثله ، ولن يستطيع أن يصل إلى مرتبته إنسان فيقول :

بدر يضئ دجى الظلام ولم يزل ... لسواد ما تجنى الخطوب مبيضا
بكر الزمان فليس ينتج مثله ... أبداً ولا يلغي به متمخّضا
مَنْ شام عزك ذل دون مناله ... أو رام ما رفعت منه تخفضا

كما يمدح ممدوحيه ببعض الصفات التى تتناسب مع مكانتهم الرسمية ، تلك التى تتصل بالحكم والسياسة وأمور الدولة ، نحو مديحته للراضى بسداد الرأى ، والتمسك بالوفاء ، وحسن تدبير أمور الرعية ، وتوجيه سياسة الوزراء والحجاب بما فيه صالح الشعب ، يقول :

يسل رأيا كالسيف وقفته ويحتوى سيفه ويغمده
تمسكا فيه بالوفاء وما تقصر عما يريده يده
يسوسهم بالسداد حاجبه وهو بآرائه يسدده

ويمدحه أيضا بأنه القادر على الوصول إلى أهدافه ، الألوف ، العيّاف ، النهوض بالخطوب ، إذا ما واجهته المحن (١) . .

ويمدح الوزير ابن مقلة بالاستقلال بالرأى ، وأنه أعلم الزمان الذى لا تخفى عليه خافية ، وأنه ذو عزم ويقين ، وخير ناصح وأمين ، فيقول بين ثنايا مديحته الضادية للراضى :

أيّد الله ملكه بوزير مستقل برأيه نهّاض
عالم بالزمان قد راض منه جامحا آبيا على الرواض
لم يطف اليقين من ظنه الـ شك ولا حال دونه باعتراض
ناصح لم يخض ضحا ضح غش في الزمان الماضى مع الخواض

والصولى يجعل من مدائحه سجلا تاريخيا ، يتحدث فيها عن عائلة ممدوحيه وأنسابهم : آبائهم وأجدادهم ، فحين يمدح الخلفاء يشير دائما إلى انتسابهم للبيت النبوى الشريف ، الذى يعلو على كل البيوتات بالشرف والعز والمجد والنبوة ، ويجعل من هذا النسب وسيلة لرفعة الخلفاء ، والتفاف قلوب الناس حولهم . من مثل قوله في الراضى :

طاب أصلا وبابنه طاب فرعا غرس الملك منه خير غريس
قد أمر الزمان طوعا عليه فسخا بعد نفرة وشموس
فترى الناس خاضعين إليه من قيام بأمره وجلوس

ويشير في مديحته للخليفة المتقى لله ، إلى بنى العباس وفضلهم على الخلافة والاسلام ، وأنهم ملكوا الجبلين اللذين قام بهما الاسلام : النبوة والخلافة ، وأنه لولا وجودهم وقيامهم بأمر الدين لضعف نور الحق . . يقول :

---

١ ـ انظر اخبار الراضى ص ٧٩

ولولا بنو العباس عم محمـــد لأصبح نور الحـــق فيه خمولُ
لكم جبلا الله اللذان اصطفاهمـــا يقومـــان بالاسلام حين يميلُ
نبـــوته ثم الخـــلافة بعـــدها وما لهمـــا حتى اللمـــاء حويلُ

كما يمدح آباء ممدوحيه وأجدادهم بأهم الصفات والخصال التى برزوا فيها .
فحين مدح الراضى بالله أشار إلى عدل أبيه المقتدر ، ومدحه بأنه العادل ، الذى أحيا عدله البرية حتى أن الناس سموه بالفاروق . يقول :

إلى ابن الذى أحيا البرية عـــدله فشبه بالفـــاروق منهم أبي حفص

وحين مدح ابن مقلة وزيره ، مدح آباءه بالشرف والمجد ، ووصفهم بأنهم نجوم الورى ، الساطعة دوما ، وأن المجد الموقوف عليهم ، والناس لهم عارفون ، ولعزيمتهم مقدرون لأنهم يملكون زمام السياسة والكتابة ، وأن قلمهم يجمع بين البيان والحسن ، ومدح كتابتهم بأنها كالرقوم الموشاة ، تحتوى أكمل المعاني وأجملها . يقول :

أنتم يـــا بنى علىّ نجــــــوم للورى في الضياء ليست تغيم
خيمت فيـــكم محاسن خـــط لاح منها للنـــاس در عظـــيم
قلم جامع بيـــانا وحســـــنا ما حوى فيه مثلكم إقـــليم
تتبـــاهى به القراطـــيس حسنا مثل وشى تـــروق منه الرقـــوم
و غـــــلام كأنه زهر الـــرو ض بدت للنجـــوم منه نجوم
قد أحاطت به عيـــون المعاني وأضاءت في جانبيه الظـــلوم

والصولى – في مدائحه – يضيف إلى كل العناصر السابقة التى تناولها . . عناصر أخرى تتصل بأبرز سمات الممدوح ، ولقد كان من أبرز سمات الراضى بالله . : العلم والأدب : لذلك ركز الصولى على هذا العنصر تركيزاً شديداً ، فمدحه بأنه أجل الناس علماً ، وأن هذا العلم هو الذى أحيا سنن الدين بعد أن عفت ، كما مدحه بأنه الخطيب المفوه ، الذى يؤم المسلمين ، ويفعل ما كان يفعله النبي وخلفاؤه الراشدون . : يقول :

أجلّ الناس آراء وعلمـــا | مقال ليس يقـــرن بالأفوك
وما أحيـاه من سـنن تعفت | فـدار صلاحها دور الدموك
ركوب للمنـابر سار قصـدا | إليها وهى حـائرة السـلوك
فذكرنـا مقال منه فصـل | مقال المصطفى بجـرى تبـوك

ويمدحه بأنه نهل من جنان العلم الأنيقة ، ورياضه حتى كمل فيه الفضل والفضائل منذ كان صغيرا ، وأصبح بالعلم خير خليفة تولى إمرة المؤمنين .

على أن أهم عنصر يضيفه الصولى في مدائحه في الخلفاء — هو العنصر المتصل بالدين ، حيث يضمن مدائحه للخلفاء معاني تضفى عليهم صفات التقديس . فنراه يصف الراضى بأنه الامام الذى اختاره الله لينقذ الدين ، وأنه حاز كل المكرمات ، وحاز بها الكمال والمجد وحب الناس ، كما يمدحه بأنه حجة الله ، وأنه قبلة الدين ، التي يتجه إليها الناس في صلاتهم وحياتهم ، وأن طاعته واجبة وجوب طاعة الله ومن عصاه فله الموت والهلاك في الدنيا ، وثقل العذاب في الآخرة . يقول :

يا إماما إليه حلت عـرا الفخـ | ـر وفلّت معاقـد الأغـراض
حـاز بالمكرمات كـامل مجد | عـلق الناس فيه بالأبعـاص
حجـة الله أنت يا قبلـة الـ | ـدين فليست تـرد بالادحاض
أذن السيف من عصـاك من الـ | ـناس بهلك واشك وانقراض (١)
وبثقل من العـذاب ووزر | ينقض الظهـر أيمـا انقاض

ويقول أيضا . . إن الله أوحده في فضائله ، وأوجده من بدء الوجود ، يحميه ويكفله برعايته ، وينحس أعداءه ، ويلهمه السداد والتوفيق ، ويصل الصولى إلى قمة مديحه الديني ، فيبالغ مبالغة شديدة حين يقول في مديحته الدالية للراضى : لو جاز لبشر أن يعبدوا غير الله ، لعبدوا الخليفة ومجدوه وسبحوا بحمده . يقول :

أوحـده الله في فضـائله | فهو من بدء الكمال أوجـده
كفاية الله تستطيف بـه | تنحس أعداءه وتسـعده
لو جاز أن يعبد العباد سوى الـ | ـخالق كنـا للـبرّ نعبـده

١ — **البيت مختل الوزن دلل تصحيحه باعادة(واشك) الى (مواشك)**

ويمدحه أيضا بأن كل ما في الوجود من محاسن مرجعه إليه ، فهو مالك الدهر ، والكل له مطيع ، فطاعته من طاعة الله . يقول :

محاسن هذا الخلق منك إبتداؤها ... ويجذبها ذو كلفة منك كاللص
فلا زلت للدهـــر المملك مالكا ... يطيعك فيما تشتهيه ولا يعصى

ويمدحه بأنه المعتلى بفخره ، والذى يهتدى بنور هديه الناس ، وانه إمام المسلمين . وعصمة أمرهم ودينهم ، يقول :

بعلوّ فخرك في المفـــاخر يُعتلى ... وبنورِ هديك في الديانة يُستْضا

ويمدح الراضى أيضا — بأنه كل الورى وسيد الناس ، والجميع عبيد له يأتمرون بأمره ، وينتهون بنهيه ، كبيرهم وصغيرهم ، أعلاهم وأدناهم ، ففى حياته حياة الناس ، وفي بقائه الفوز لهم والغنى والسداد ، ومن لا يؤمن بطاعته وحبه ، فلن تنفع له صلاة . . يقول :

فأسلم الله إمـــام الهـــدى ... فما عطـــاء الدهر بالنحسِ
كل الورى أنت وكل يـــرى ... عبدك من عـــال ومن نكسِ
بقاؤك الفـــوز لنا والغـــنى ... نصـــبح فيه مثل ما نمسِ
من لا يرى حباك فرضاً فما ... أدى فروض الله في الخمسِ

والصولى يشير دائما — في مدائحه للخلفاء العباسيين — إلى فكرة الخلافة ، وأنهم أحق الناس بها لصلة الدم والعصب ، وأن الله ارتضاهم وفضلهم على العالمين ، واختارهم للخلافة واختارها لهم . من ذلك قوله : ان الله اختار الراضى خليفة له على الأرض، وهو كفء لذلك وراضٍ ، وأن الخلافة أتته طوعا ، ولم يطلبها أو يسعى إليها ، وهو الأحق بها ، المعان بقوة الله على أمورها :

بمحمدٍ رضى الإله خليفـــة ... في الأرض فهو بذاك راضٍ مرتضى
جاءته طوعا لم يسيرٌ لفظـــه ... فيها ، ولا أضـــحى لها متعرضا
فهو الحقيق بها ، المعانُ بقـــوة ... فيها بحكم فاصـــل لن يدحضا

ويقول في قصيدة أخرى – إن الخلافة خطرت نحوه طائعة بإجماع من الناس، فالكل عقد عليه العزم لارجاع مجد الاسلام ، حتى الزمان قد استلذ وفرح وترنم ، وجلى سواده القديم ببياض الأمل :

خطرت نحو الخلافة طوعا ... باتفاق من الــورى وتراضِ
واصطفاق من الأكف دراكـــا ... واجتماع موف وعزم مفاضِ
واستلذ /١/ إذ أسفر الملـــ ... ـك وجلى سواده ببياضِ

وفي مديحته اللآمية للخليفة المتقى لله ، يخاطبه قائلا . . إن الخلافة أتتك قدراً مقدراً من العلى القدير ، الحافظ الوكيل ، وأنه حباك بها ، وصانها لك ، وأنه كفيل باتمام نعمته عليك ، ولو حِدْت عنها فإنهسيقودها إليك ، فليس هناك كفء لها غيرك ، فهو الذى اصطفاك لها واصطفاها لك :

أتتك اختياراً لا احتلابا خلافــة ... لك الله فيها حافظ ووكيل
حباك بها من صانها لك انـــه ... باتمـــام نعماه عليـــك كفيل
ولو حدت عنها قادها بزمامها ... إليك اصطفاء الله وهى نـــزيل

ويسجل الصولى في مدائحه للخليفة كل الأحداث التى تحدث في عهده ، من انتصار في الحروب أو إخماد للفتن ، أو قضاء على المؤامرات ، فنراه يذكر – في مديحته للراضي – إخماد فتنة « مرداوج » الذى حاول أن يناهض الخلافة ، غير أنه « بحكم » قضى عليه وأحبط مؤامرته .

ويقول للراضي . . لا تخش أعداءك من أمثال « مرداوج » ، فهم جميعا يقتلون بقدرة الله ، لأن الله يؤيدك بنصره ، ويستعير صورتين من التاريخ ، يربط بهما بين أحداث العصر وأحداث الماضى ، فيربط بين جحافل جيوش المسلمين التى دخلت فارس فأطفأت نار المجوس ، وبين جحافل جيوش الراضى التى قضت على مرداوج . ويربط بين سرعة انهيار ملك بلقيس وبين سرعة القضاء على هذا الخارج . فيقول للخليفة الراضى . . إن رياح أيامك الغر الميامن قصفته فأخمدت

١ – وهنا خلل مرده الى سقوط كلمة بعد(استلذ)

نار الفتنة التى أشعلها ، كما أخمد الفاتحون المسلمون نار المجوس ، فانهار العرش الذى بناه لنفسه ذلك اللعين ، وسلب منه سريعا . بل أسرع مما سلب العرش من يدى الملكة بلقيس . يقول :

مردواج بسيف حظك مقتـــ ل فأهون بذاك من مرمـــوس
قصـــفته رياح أيامك الغــــــ ر فأخمـــدت منه نـــار المجوس
ثـــل عرش اللعـــين أسرع مما سلب العرش من يدى بلقيس

وخصيصة بارزة في مدائح الرجل – وهى أنه دائما ينتقل من المجال الغيرى – المديح – إلى المجال الذاتي ، فيتحدث عن نفسه وعن أحواله في جميع مراحلها . فهو في كثير من مدائحه للخلفاء يذكر أنه السباق إلى مديحهم،وأنه يتقدم كل الناس بالرغم مما عاناه من كيد الكائدين وبغضهم ، وأنه اختار لهذه المدائح أشعاراً لم يُقَلْ مثلها ، ولا امتدح بمثلها خليفة من قبل ، وتقدم بها إلى الخليفة في قصيدة عصماء تناسب جلالته ومكانته . يقول :

وتقدمت في مديحى لـــه النـــا س على الرغم من ذوى الأبغاضِ
وافترعت الأبكار من عزة الشعـ ـر فذللت صعبها بامتضـــاضِ

ويقول أيضا :

لى سبق المديح منك على النـــا س وفخر بالسبق في التأسيسِ

ويقول : إن الشعر كثير ، يطلق في أناس وممدوحين مختلفين ، ولكن شعرى وقف على مديح أمير المؤمنين مقصور عليه ، لأنه أولى به وأقدر على تقييمه . .

يطلق الشعر في أناس وشـــعرى وقف مدح على الإمام حبيس

ويتحدث عن غبطته وسعادته لأن الخليفة اختاره ليكون له جليسا ونديما ، ويبين مدى سعادته ، لأنه يستمتع بعذب حديثه المستفاض، ويقول : انه بلغ غايته ومناه ، وبشره الناس بالغنى بعد الفقر ، والعز بعد الذل ، وأصبح ينام قرير العين مرتاح البال . يقول :

وتشرفت بالجلوس لـــديـــه ... بحديث يلتذه مســـتفاض
وبلغت المـــنى وبشرني الـــ ... ـناس بثوب من الغنى فضاض
وتبدلت بالتـــذلل عـــزا ... آذن الهم عنـــده بانفضاض
واطمأن الفراش بعد أن جا ... نب جنبي تجنب النهـــاض

ويذكر دائما ولاءه وصدق نصحه للخليفة ، وأن هذا النصح ، وهذا الولاء قديم ، وسيظل قائما ولن يشوبه أبداً زور أو رياء أو تدليس مهما طال الزمن أو اشتعل الرأس شيبا . يقول :

يا حلى الزمان يا زينـــة الأر ... ض ورأس الملوك وابن الرءوس
إن نصحي وصدق ودى قـــديم ... لم أَشُبْه بالزور والتدليس
قبل أن يأكل الزمان شبابـــي ... خالساً غـــرتي بشعر خليس

ولقد كانت مدائح الصولى مجالاً كبيرا لشكواه ، ومتنفسا عما بنفسه من أسقام وأحزان وما يقاسيه من مكائد ووشايات ، أو فقر وحرمان . فهو يضمن مدائحه شكواه من العانتين الحاقدين ، الذين لا يدخرون وسعاً في ثلبه ، وانتقاصه ، حتى صار لا ينام الليل، وتكحلت عيناه بالسهاد والأرق ، لأنهم يحسدون صلته بالخليفة ، ولكنه يصرح بأن كل شئ يهون لأن الله عوّضه فقرّبه من الخليفة الذى يحس به ويقدّره . يقول :

زأرتنى أسود حقد عليـــكم ... لم تغيّب بغابـــة وغيـــاض
وفـــراني الزمان منه بنـــاب ... بعدكم مرهف الشـــبا عضاض
وانتحى آكلا للحمْـي ورض الـ ... ـعظم مـــنى بكلكـــل رضاض
من حسود منافس لى عليـــكم ... لبحار اغتيـــابكم خـــواض
مبغض لى لمـــا أســـير فيـــكم ... من مديح ، على الأذى حضاض
فأراني الاله ما كنت أرجـــو ... ه وعوضت أحسن الاعتياض

والصولى في مجال حديثه عن نفسه وشكواه ، لا يشكو حساده وعذّاله والكائدين والواشين فحسب ، بل يشكو أيضا شيخوخته ومرضه وضعف قوته ، كما يشكو كبر سنّه بعد أن ناهر السبعين ، وأصبح لا يهنأ بالحياة أو النوم . . بل هو منتظر يومه الموعود وقدره المكتوب . يقول للراضى :

صرّحت بالشكوى إليك تأنساً ... بندى يديك إذا غريب عرضـا
من بعد ما غالَ المشيب شـبيبتى ... ونضًا لباس تجملي فيما نضـا
وأحارني مرضى وأوهن قـوتي ... فغدوت منه وقد صححت ممرضا
وإذا دنت سبعون من متأمـلٍ ... داني ولم ير في اللذاذة مركضا
وجفاه نوم كان يألف جفنـه ... قدما وأضحى للحتوف معرضـا

ويتذكر حياته الرغدة السابقة ، وشبابه الفائت الذى لن يعود . . فيبكى قائلا :

أبكي كساء كان أوثق عـدتي ... إن أخصر البرد العظام ونقضا
ومخدة قد كان يألف لينـها ... خدى فأضحى الجسم منها ممرضا
ونفيس فرش كالرياض نقوشـه ... ما كان من دون الرياش مرحضا
ومجمعا قد كنت أجمع آلـة ... فيه وكان من البـلاء مفضفضا

غير أن هذه الشكوى وهذا البكاء – في شعره – يصلان أحيانا إلى حد الاستجداء والذل فيظهر في شعره جانب الضعف الانساني ، حيث يرتفع نحيبه وخوفه من المصير والمستقبل والفقر . ولا شك أن هذه الظاهرة كانت سببا في أن بعض الباحثين (١) وصموه وعابوه .

والحقيقة إن هذه سمة بارزة في شعره ، فهو دائم الاستجداء سواء من الخلفاء أو الوزراء – إن تلميحا . . وإن تصريحا – من مثل قوله للخليفة الراضى بالله ، مشيرا إلى ما بينه وبين دهره من صراع وحرب عوان ، فيشكو ذل الحاجة ومر السؤال ، استجداء للجود ، وطمعا في العطاء . .

إن بيني وبين دهـرى حـربا ... جاوزت حرب داحسٍ والبسوسِ
أنا منه لغـير هجر ووصـل ... واقف بين لوعـة ورسيسِ
فاعتبر ما شكاه عبدك منـه ... ثم داو الخنـاق بالتنفيـسِ
هو في مخلب الزمـان فريس ... فارحم الآن نفس هذا الفريسِ
واسقه من سلاف جودك بذلا ... فـاق طيبا سلافة الخـندريسِ

وقد يرتفع استجداء الصولى لكى يصل الى درجة التصريح فيقول :

لا والذى أنت منه نعمة ملأت ... عرض البلاد وحلت حبوة النوب

١ـ محمد كرد علي : كنوز الاجداد ص ١٤٤

ما في عبيدك ان فتّشت أمرهم أقل مني في رزقي وفي نشبي

هذه هي مدائح الصولى – للخلفاء والأمراء والوزراء – بكل عناصرها وخصائصها، وهي تشتمل على عناصر بعضها جديد من عنده ، وبعضها موروث ، ولكنه في العناصر المورثة استعاد صوراً جديدة ، فظهرت في أزهى حلة وأبهى زينة . .

أما العناصر التي استحدثها الصولى في مدائحه فهي :

(أ) أنه أضاف إلى المقدمات الغزلية مقدمات أخرى تحمل الأمل والاستبشار بحلول خليفة أو وزير أو أمير جديد قوى ، يستطيع أن يزيح الغمة عن كاهل الأمة ، ويعيد للدولة وللخلافة هيبتها وجلالها وقوتها ، كما أنه أضاف أيضا مقدمات بث فيها شكواه وهمّه وأحزانه ، وما يكابده من أسقام ، غير أنه لم يجعل ذلك منهجا مضطرداً في كل قصائده ، بل تجده في كثير من الأحيان يخرج عن القاعدة المتبعة عند الشعراء والمتوارثة عبر الأجيال ، فيحذف المقدمة الغزلية أو غيرها ، فيبدأ قصائده بالمديح مباشرة .

(ب) أنه أضاف إلى مديحه بالمعاني الدُنيوية – مديحا بالعلم والأدب ، وسعة الاطلاع والثقافة وكبر العقل ، واتقاد الذهن ، ورقة الطبع ، وبشاشة الوجه ، وأيضا مديحا بالاحسان وحب الناس وغير ذلك .

(ج) أن مديح الصولى بالمعاني الدينية لم يكن وقفا على المديح بالتقوى والعدل والورع وطاعة الله ، بل كان يتعدى ذلك إلى مديحه بأنه الخليفة المختار ، الذى فضله الله ، وأيده بنصره لينقذ دينه ، وأنه عماد الدين ، وعزة الاسلام ، المهتدى بنوره ، كما مدحه بأنه المحيي لسنن الدين ، الخطيب المفوّه ، الذى يؤم المسلمين ، ويفعل مثلما فعل النبي وخلفاؤه الراشدون ، وأنه ينتسب إلى أشرف البيوتات ، وأعلاها وهو البيت النبوى الشريف ، كما مدح آباءه وأجداده بتوارث الشرف ، وأن الخلافة حق فيهم ، جاءتهم بقدر الله . . الخ .

(د) أن الصولى يضمن هذه المدائح حديثا عن نفسه وعن خواطره ، وما منىّ به النفس ، ويذكر الصلة بينه وبين الخليفة ، وأنه السباق إلى مديحه بمدائح لم يقل مثلها ، كما يذكر أنه كان يتشرف بالجلوس في رحابه ، وأن الخليفة كان يفسح له أقرب مكان وأنه نعم ببره وعطاياه كما كان الصولى يضمن هذه المدائح شكواه من الحاسدين والواشين ، وشكواه من الزمن .

وقد أضاف الصولى إلى هذه العناصر ـ عناصر أخرى تدوولت من قبل ، وهى ذكر حوادث عصر الخليفة كانتصار في حرب ، أو إخماد فتنة ، أو القضاء على مؤامرة ، وغير ذلك .

وفي ثنايا مدح الصولى للخلفاء ، مدح أيضاً قوادهم وامراء أمرائهم ، ووصفهم بالجرأة والشجاعة ، والبأس والإقدام ورباطة الجأش ، وأضاف إلى ذلك كله مديحا لهم بأنهم مخمدو الفتن ، وقبلة الحرب ، وسيوف الخلافة الى غير ذلك من الصفات التى يجب أن تتوافر في رجال الحرب . . كما مدح معاونيهم وكتابهم الذين يدبرون أمورهم .

ويمكن القول ـ إن المديحة الصولية كانت مديحة رسمية أو شبه رسمية ، كانت مقيدة بظروف تختلف عما عند الشعراء الآخرين الذين يتكسبون من عرض بضاعتهم على الخليفة ، فينالون بره وعطاءه ثم يرحلون . . لكن مدائح الصولى كانت أشبه بوثائق تاريخية ، وتعاليم دينية ، يسجل فيها كل ما يتصل بالخليفة وعلاقته بالمسلمين من حيث وجوب الطاعة له ، والايمان به ، ورفعه فوق مصاف العباد ، وأيضا ما يتصل بالدولة من أحوال وسياسة وحروب وأحداث .

وقد دفع الصولى إلى نظم مثل تلك المدائح . . وبكل هذه العناصر اتصاله ببلاط الخلافة وبالوزراء والأمراء .

وتبرز عواطف الصولى الدينية بروزا واضحا في مدائحه للخليفة ، بل انه ليمكن القول . . إنه من خير من مثّل هذه العواطف الدينية تمثيلا حقيقيا صادقا ، فهذه العواطف لم توجد بنفس العمق ، والمعاني عند نظرائه ومعاصريه ، ذلك لأنه لم يكن شاعراً محترفا يبغى أجراً ، بقدر ما كان يريد إظهار ولأنه وحبه للخلفاء .

ونستطيع أن نقول ـ إن مدائح الصولى الدينية بعمقها ومضمونها ـ كانت إرهاصا بظهور هذه المدائح الدينية بصورتها الضخمة بعدئذ عند شعراء الدولة الفاطمية . .

كذلك ـ فإن شكواه من الزمن ومن الوشاة والحاقدين ، كانت ينبوعا استقى

منه كل الشعراء الذين أتوا بعده خاصة « المتنبى » — الذى أخذ من معاني الصولى الكثير . خصوصا ما يتصل بشكوى الزمن ، والحديث عن شعره . .



تعقيب لا تثريب :

لعل من الانصاف لحق الأدب أن نصرح بمخالفتنا للصديق الدكتور العمرى في ما ذهب إليه من إكبار لشعر الصولي إذ اعتبره — في مقدمة البحث — شاعراً فحلاً بين فحول عصره الأفذاذ — ووصف شعره بأنه (جزل الألفاظ متخير الكلمات ، لا يجد مشقة في الأوزان ، ولا في اختيار القوافي . .) . ثم ختم تقديره إياه بما أورده في نهاية البحث من اعتبار مدائحه إرهاصاً لظهور المدائح الدينية بصورتها الضخمة . . وأن شعره في الشكوى كان ينبوعاً استقى منه أمثال المتنبى . . الخ .

والذى نراه أن في النماذج التي عرضها الدكتور من مدائح الصولي وشكاواه ما يعكس الحكم ، إذ نرى الشاعر في معظم هذه الشواهد — منهوك الطاقة ، تخونه الألفاظ والمعاني والقوافي ، فتأتي تعابيره قلقة تشكو حيرتها وغربتها . . ومن حيث المعاني لا نكاد نجد فيها جديداً بل ربما أمكن ردها إلى الكثير من أقاويل الشعراء من معاصريه وسابقيه ، مع تفاوت كبير في عفويتهم وتكلفه البالغ حد العجز .— اللهم إلا أبياتاً قليلة لا تكاد تنجو من التهافت —

ثم كلمة أخيرة وهى أن الدكتور يقرر أن الصولي — في مدائحه — لم يكن شاعرا محترفاً يبغى أجراً . . ونسى حفظه الله ما أسلف هو من حكم عليه بأنه دائم الاستجداء إلى حد الذل » ! وماذا يبقى لشاعر من كرامة بعد قوله لممدوحيه :

ما في عبيدك إن فتشتَ أمرهمُ　　　أقلُّ مني في رزقي وفي نشبى !

ومعذرة للصديق العزيز مع خالص التقدير لجهوده المشكورة . .

المجـــذوب

صيغة فعلان



لفضيلة الدكتور مصطفى أحمد النماس

فعــلان في بـاب التصــغير

ـ ٢ ـ

ما ختم بالألف والنون الزائدتين مثلث الفاء سواء تحركت عينه أم سكنت يأخذ أحكاما عند التصغير ، وهأنذا أفصلها لك تبعا لنوعية كل صيغة كالتالى : ـ

١ ـ ما ختم بألف ونون زائدتين إذا كان علما مرتجلا لا تقلب ألفه ياء عند التصغير تقول في تصغير مروان ، عثمان ، عمران ، وغـَطـَفان وسَلْمان ، مريان وعيثمان ، وعُميران ، وغطيفان ، وسليمان فلوحظ أنك فتحت ما بعد ياء التصغير ولم تقلب الألف ياء وذلك لأن علماء الصرف شبهوا ما فيه ألف ونون زائدتان بما فيه ألف التأنيث الممدودة مثل حمراء يقول الرضى (٢) :

وليس كل ألف ونون زائدتين تشبهان بألف التأنيث الممدودة فيمتنع قلب ألفه في التصغير ياء فإذا أردت تمييز ما يقلب ألفه ياء مما لا يقلب فاعلم أنهما أى الألف والنون المزيدتان إذا كانتا في علم مرتجل نحو : عثمان ، وعمران

---

١ ـ العلم المرتجل : ما وضع من اول امره ولـم يستعمل قبل ذلك فى غير العلمية ومثاله الاعلام التى اخترعها العرب لمسميات عندهم مثل سعاد علم امراة ،وادد علم رجل ، وعمران ، وغطفان ومروان ٠٠ الخ

٢ ـ انظر شرح الشافية جـ١ ص ١٩٦ ، ص ١٩٧

وسعدان وغطفان وسلمان ومروان شابهت الألف والنون ألف التأنيث في عدم القلب ، لأن تاء التأنيث لا تلحقها لا قبل العلمية ولا معها أما قبلها فلفرض ارتجالها ، وأما معها فلأن العلمية مانعة ، وأما عثمان في فرخ الحبارى على ما قيل وسعدان في نبت فتصغيرها عثيمين ، وسعيدين بقلب الألف ياء لأنهما جنس وليسا أصلين لسعدان وعثمان علمين بل اتفق العلم المرتجل واسم الجنس .

العلم المنقول : (١) وأما العلم المنقول فحكمه حكم ما نقل عنه فإن نقل عن صفة فلا يكسر ما بعد ياء التصغير وبالتالى تبقى الألف نحو سكران مسمى به نقول في تصغيره سكيران وإن نقل عن اسم جنس فيكسر ما بعد ياء التصغير وتقلب الألف ياء تقول في تصغير سلطان مسمى به : سليطين. وكذلك إذا سميت إنسانا بِسِرْحان تقول فيه سريحين .

(٢) وأما فعلان إذا كان صفة فلا تقلب ألفه ياء عند التصغير وتبعا لذلك يفتح ما بعد ياء التصغير سواء كان مؤنثها خاليا من التاء وهو الأصل أو بالتاء حملا على الصفات التى تمنع من الصرف نقول في نحو سكران سكيران ، وجوعان جويعان وعريان عريّان ، وندمان نديمان ، وقطوان(٢) قطيان .

يقول صاحب شذا العرف (٣) : وتحقيق تصغير ما ختم بألف ونون أن يقال : لا تقلب الألف ياء فيما يأتي :

أولا : الصفات مطلقا أى سواء كان مؤنثها خاليا من التاء أو بالتاء » .

ويقول الرضيُّ (٤) : « ومثل العلم المرتجل الصفة المنتهية بالألف والنون

---

١ ـ انظر شذا العرف في فن الصرف للاستاذ الشيخ الحملاوى ص ١٢٠ والمراد بالعلم المنقول احد شيئين : اما العلم الذى لم يستعمل لفظه اول الامر علما مطلقا وانما استعمل فى شىء غير العلمية ، ثم نقل بعده الى العلمية اذا سمينا انسانا : عريان فمثل هذا كان صفة فى اول الامر يؤدى معنى اخر ثم نقل واصبح علما على علما لفرد فى نوع ثم صار علما لفرد فى نوع اخر شخص معين ، واما العلم المنقول الذى استعمل اول مرة يخالف الاول مثل سعاد علم امرأة اذا نقل واستعمل علم قرية لا علم امرأة ومثل غطفان اذا استعمل علما على حى من احياء العرب مثلا ..

٢ ـ القطوان البطىء

٣ ـ انظر شذ العرف ص ١٢٠

٤ ـ انظر الشافية ج ١ ص ١٩٦

إذا كانت ممتنعة من التاء مثل : جوعان وسكران تشابهانها (أى ما ختم بألف التأنيث الممدودة) بانتفاء التاء فلا تقلب الألف ياء عند التصغير ، وكذلك الصفة التي لا تمتنع من التاء كالعريان والندمان والصميان للشجاع والقطوان تشبه بالألف والنون في باب سكران لكونها صفات مثله ١ هـ)

فمن الملحوظ أن الصفات الأخيرة في باب التصغير اتفقت في الحكم وهذا بخلافها في مبحث الممنوع من الصرف (١) ، وإن كان الصبان لم يسو بينهما في الحكم وفرق بين ماله مؤنث بالتاء وبين غيره .

(٣) وأما فعلان إذا كان اسم جنس (٢) فلا يخلو : إما أن تكون ألفه رابعة في اسم جنس على فِعْلان مثلث الفاء ساكن العين كحومان للنبت. واحده (حومانة) وسلطان وسرحان فإنك تكسر ما بعد ياء التصغير وتقلب الألف ياء تقول في تصغير ما مر : حويمين ، وسليطين وسريحين تشبيها لها بزلزال وزليزيل ، وقرطاس وقريطيس وسربال وسريبيل .

أما إذا كانت ألفة رابعة في اسم جنس (ليس على فعلان مثلث الفاء ساكن العين) كظربان ، وسبعان فإنك لا تكسر ما بعد ياء التصغير وتبعا لذلك تبقى الألف دون قلب تقول في تصغير ما مر : ظريبان و سبيعان .

قال الرضى : وإن كانتا في الامم الصريح (أى اسم الجنس) غير العلم لا يشبه ما فيه الألف والنون الزائدتان بالألف والنون في باب سكران مطلقا بل ينظر. هل الألف رابعة أوفوقها ؟ فإن كانت رابعة في اسم له نظير مختوم بلا م قبلها ألف زائدة قلبت الألف في التصغير ياء تشبيها بالألف مثل النظير وذلك في ثلاثة أوزان فقط : فعلال كحومان (بفتح

---

١ - قال ابن مالك : كذاك ما مدة افعال سبق .. او مد سكران وما به التحق اى انفتح انحتم للحرف الذى قبل الف فعلان كسكران وما الحق به مما هو علوزن فعلان مضموم الفاء او مفتوحها او مكسورها مع سكون العين .

٢ - اسم الجنس هو كل ما يدل عل الماهية المجردةاى الحقيقة الذهنية وهو انواع :
ا - اسم جنس جمعى وهو ما يفرق بينـــه وبينواحدة بالتاء او بالياء مثل نخل ونخلة وروم ورومى.
ب - اسم جنس افرادى وهو الذى يصدق عـــلالقليل والكثير من الماهية مثل : هواء ماء . دم
ج - اسم جنس احادى وهو الذى يدل عل الماهيةممثلة فى فرد غير معين من افرادها مثل : اســـامة للاسد وسرحان للذئب وحومان لنبت وسعدان لنبتالخ

الحاء) ، وفعلان كسلطان ، وفعلان كسرحان (بكسر السين) فإن نون حومان موقعها اللام في جبار وزلزال وموقع سلطان كلام قرطاس وزنار وطومار ، وموقع نون سرحان كلام سربال ومفتاح تقول في الثلاثة حويمين ، سليطين ، سريحين كزليزيل ، وقريطيس ومفيتيح .

وإن لم يكن الاسم مساويا لآخر في زيادة الألف قبل لام تشبه الألف والنون في باب سكران فلا تقلب الألف ياء تقول في ظربان (١) ظريبان وفي السبعان (٢) السبيعان .

وكان قياس نحو ورشان (٣) وكروان (٤) أن يكون كظربان إذ لا يقع موقع نونه لام كما لم يقع نون ظربان وسبعان لكن لما جاء على هذا الوزن الصفات كالصميان والقطوان وشبهت ألفها بألف سكران فلم تقلب قصدوا الفرق بينهما فقلبت في الاسم فقيل وريشين وكريوين أو كرتِّين لأن تشبيه الصفة بالصفة أنسب وأولى من تشبيه الاسم لها (انتهى كلام الرضى) .

وإذا كانت الألف في اسم الجنس خامسة أو في حكم الخامسة وذلك بحذف بعض الأحــرف التى قبلها نحو زعفران ، وعقــربان و أفعوان وصليان (لاحية) فلا تقلب الألف ياء إذ لا تقلب تلك الألف ياء إلا رابعة عند التصغير كمفتاح ومصباح تقول فيما مر من أسماء الجنس زعيفران ، عقيربان أفيعيان ، وصليليان ، وفي قرعبلانه (دويبه) تقول : قريعبة .

ملاحظة : إذا ورد ما آخره ألف ونون مزيدتان ولم يعرف هل قلبت العرب ألفه ياء فجمع على فعالين أم لا ؟ حمل على باب سكران ولا يقلب لأنه أوسع وأكثر .

---

١ ـ الظربان : (بفتح فكسر) دابة تشبه القــردعلى قدر الهر طويلة الخرطوم سوداء الظهر بيضـــاء البطن منتنة الرائحة تفسو فى ثوب احدهم اذا صادهافلا تذهب الرائحة حتى يبلى الثوب •

٢ ـ السبعان (بفتح فضم) موضع معــروف فىديار قيس : قال الشاعر : الا يا ديار الحى بالسبعان امل عليها بالبلا الملوان قال فى اللسان : ولا يعرففى كلامهم اسم على فعلان بفتح فضم غيره)

٣ ـ الورشان : بفتحات طائر يشبه الحمامة والانثىورشانة وجمع على ورشان بالكسر ووراشين ، والورشان ايضا الجزء الذى يغطيه الجفن الاعلى من بياض المقلة

٤ ـ الكروان : طائر وجمع على كراوين ، وكــروانبالكسر جمع نادر •

تنبيـــه : إذا صغرت ما كان منتهيا بالألف والنون المزيدتين وكان على وزن من أوزان جمع الكثرة مثل عـُقبان : لم يصغر على لفظه لا بفعيلان ، ولا بفعيلين وإن كان يجمع على فعالن بل يرد إلى القلة ثم يصغر فيقال : أعيقب (١) .

فِعلان ، وفُعلان الجمع

ذكرنا قبل ان وزن فعلان بالكسر والسكون او فعلان بالضم والسكون كان دالا على المفرد وفي هذا الفصل نعرضه دالا على الجمع للكثرة .

(فِعلان بالكسر الدال على الجمع القياسى)

يكون فِعلان بكسر الفاء دالا على الجمع باطراد في كل اسم مفرد على اوزان معينة وهى كالتالى : —

(١) كل اسم على وزن فعل بضم أوله وفتح ثانيه مثل صُرَد (٢) وجمعه صِردان ، ونُغَر (٣) وجمعه نغران يقول الرَّضى (٤) : لما اختص (فُعَل) بالضم فالفتح بنوع من المسميات وهو الحيوان خصوه بجمع ، وايضا كانه منقولن من فعال (بضم أوله) كغُرَاب وغِرْبان أو مشبه به قال ابن مالك في ألفيته :

وغالبا أغناهم فِعـــــلانُ   في فُعَل كقولهم صِردان

(٢) كل اسم يكون على وزن فعال بضم أوله مثل غُرَاب وغِربان وغلام وغِلمان وحُوَار (٥) وحِيران قال ابن مالك :

وللفُعال فِعلان حصل

---

١ – انظر التسهيل لابن مالك مبحث التصغير

٢ – الصرد بضم ففتح – طائر فوق العصفور وقيل طائر ابقع ضخم الراس يكون فى الشجر بصفة ابيض ونصفه اسود ضخم المنقار قال الازهرى بصيد العصافير وفى الحديث الشريف : نهى رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم عن قتل اربع النملة والنحلة والصـــردوالهدهد .

٣ – النغران جمع نغر بضم ففتح وهـــو طـــيركالعصافير حمر المناقير ومؤنثه نغره (كهمزة) واهل المدينة يسمونه البلبل وبتصغيره جاء الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال النبى كان لابى طلحة الانصارى وكان له نغر يلعب به فمات (فما فعـــل النغير يا ابا عمير)

٤ – انظر الشافية ج ٢ ص ٩٩ – وارتشـــاف الضرب من لسان العرب لابى حيان وهو من تحقيقنـــا ج ١ ص ١٥

٥ – الحوار بضم أوله ولد الناقة ساعة يولد وقيل ان يفصل عن امه وجمعه احورة وحيران ، وحوران وفى المثل حرك لها حوارها .

(٣) كل اسم يكون على وزن فَعَل بفتح اوله وثانيه الصحيح العين نحو (١) خَرَبٍ وخِربان وشَبَثٍ (٢) وشِبثان .

أو الاجوف مثل تاج وتيجان ، وقاع وقيعان وجار وجيران قال الرضى (٣) وأما الاجوف فالقياس فيه الفعلان كالتيجان والجيران والقيعان وكذلك فعل المعتل الآخر مثل فتى وفتيان واخ واخوان .

(٤) كل اسم على وزن فُعْل (بضم فسكون) واوى العين مثل حوت وحيتان ، وكُوز وكيزان وعود وعيدان قال ابن مالك : —

وشاع في حوت وقاع مع ما ضاهاهما وقل في غيرهما

وقال الرضى (٤) : وباب عود على عيدان يعنى ان فُعْلان (بضم فسكون) اذا كان أجوف لا يجمع في الكثرة الا على فعلان (بكسر أوله) كعيدان وحيتان قال ابو حيان في كتابه ارتشاف الضَّرَب من لسان العرب فِعلان (بالكسر) لاسم على فعل نحو صرد وصردان وفعل خرب وخربان وخال وخيلان وفتى وفتيان وأخ واخوان ، وفعال غراب وغربان وغلام وغلمان ، وفعل واوى العين : حوت وحيتان .

فِعلان جمع سماعى فيما يأتي : —

يحفظ فعلان بكسر الفاء سماعيا في اسم على فِعْل مثل قنو وقنوان (٥) ، وصِنْو

---

١ ـ الخربان بكسر اوله جمع خرب بفتح اوله وثانيه وهو ذكر الحبـــارى ويطلق على الشعر يكون فى الخاصرة ووسط المرفق .

٢ ـ الشبث بفتح الشين والباء : دويبة ذات ست قوائم طوال صفراء الظهر وظهور القوائم سوداء الرأس ، زرقاء العين .

٣ ـ انظر الشافية ج ٢ ص ٩٦

وبالنسبة للصحيح العين قال فى الاشمونى وشرح الكافية ان الخرب بفتحتين لا يطرد على فعلان بالكسر ولكنه قال فى التسهيل يطرد جمعه على فعلان بالكسر .

٤ ـ انظر الشافية ج ٢ ص ٩٤

٥ ـ القنو : وهو من التمر بمنزلة العنقود من العنب

وصنوان * ، وفُعال صوار (١) وصيران وفَعّال غَزّال وغِزْلان، وفعول خروف وخرفان وفعيل ظليم وظلمان (٢) وفاعل حائط وفِعْله نِسْوه ونسوان وفَعْل عبد وعبدان وفَعَله (بفتحتين) قَضَفه وقِضْفان وفُعَله (بضم ففتح) بُرَكه وبركان ، وفعله . أمة وإمان ، وفي وصف على فَعْل شيخ وشيخان (٣) وضيف وضيفان وفُعال شجاع وشجعان .

فِعلان بالكسر جمع نادر (٤) فيما يأتي :

قالوا : كِرْوان ،وفِلْتان ، وصِمْيان ، وصِفْنان جمع كَرَوان بالفتح وفَلَتان وصَمَيان وصَفَن (٥) .

ملاحظة :

وربما جاء فعلان بالكسر دالا على المصدر فيكون مفردا مثل النسيان والحرمان (٦) ، والعرفان ووجد وجدانا وسبق أن قلنا إل الفعلان (بفتح فسكون) قليل في المصادر أيضا كقولك : ليان وشنآن ، وزيدان بمعنى الزيادة .

---

* الصنو الفرع واخر اصل واحد واصله المثـل ومنه قيل للعم صنو وجمعه فى لغة الحجاز صنـوان بكسر الصاد وبضمها فى لغة تميم وقلس كـذئب وذؤبان ويقال صنوان بفتح الصاد وهو اسم جمـع لا جمع تكسير لانه ليس من اينيته . انظر البحر المحيط ج ٥ ص ٣٥٧

١ – الصيران جمع صوار (بكسر ففتح) وهـو القطيع من بقر الوحش كما يطلق على وعاء المسـك – قال الشاعر :

اذا لاح الصوار ذكـرت ليـلى ... واذكرها اذا نفح الصـوار

فالاول معناه ظهر وبدا ، والثانى نفح وهب ومعنـاه المسك .

٢ – الظلمان جمع ظليم وهو الذكر من النعام قال الرضى فى الشافية ج ٢ ص ١٣٢ وظلماء قليل حكى احمد بن يحيى ظليم وظلمان وعريض وعرضان وهو ،وجاء صبى وصبيان وقال بعضهم فى ضرير ضـران والضم فيه اشهر . والضرير هو ذاهب البصر والمريض المهزول وكل شىء خالطه ضر فهو ضرير .

٣ – قال الرضى فى شرح الشافية ج ٢ ص ٩١ . فالمسموع فى فعل غير الاجوف فى كثرته فعـلان كجحشان ورئلان وقال فى ص ١١٧ وقد جاء فعـلان بكسر الفاء فى الاجواف وغيره كضيفان ووغدان بكسر الواو كما جاء فى الاسم رئلان ويجوز ان يكـون ضيفان وشيخان فى الاصل فعلان مضموم الفاء فكسرت لتسليم الياء .

٤ – انظر ارتشاف الضرب من لسان العرب لابـى حيان ص ص ١١٤

٥ – الصفن وعاء الخصية ويحرك .

٦ – انظر شرح المفصل ج ٦ ص ٤٤ . قال الشاعر:

يارب غابطنـا لو كان يعـرفكم ... لا فى مباعدة منكم وحرمانـا

قالوا حرمه حرمانا ، ووجد الشىء يجده وجـدانا وعرفته عرفانا ورضيته رضوانا ، رامه رئمان .

فُعلان : بالضم يكون جمعا قياسيا فيما يأتي :

(١) لاسم على وزن فعيل تقول رغيف ورغفان يقول ابن يعيش (١) في شرح المفصل : والباب في فعيل فعلان (بالضم) نحو جريب وجربان وكثيب وكثبان وقليب وقلبان .

(٢) لاسم على وزن (فعل) بفتحتين الصحيح العين نحو ذكر وذكران قال الرضى (٢) : وأما ذكر وذكران فلاستعمال ذكر استعمال الاسماء فهو كخرب وخربان وحمل وحُملان .

(٣) لاسم على وزن (فعل) بفتح فسكون نحو بطن وبطنان وظهر وظهران يقول الرضى (٣) « فالمسموع في قلة (فعل) في غير الاجوف أفعال وأنف وآناف وفي كثرته فعلان بالكسر كجحش وجحشان ورئلان جمع جحش ورأل ، وفعلان بالضم كظهر وظهران وبطن وبطنان قال سيبويه * وفعلان بالكسر اقلهما » .

(٤) لاسم على وزن فعل (بكسر فسكون) تقول ذئب وذئبان صرح به في التسهيل بانه مقيس وقال في الكافية قليل (٤) .

فعلان بالضم جمع سماعى فيما يأتي (٥) : —

(١) حاجز وحجزان .

(٢) راع ورعيان * وشاب وشبان .

(٣) أفعل فعــلاء .

---

١ ـ انظر شرح المفصل ج ٥ ص ٥٣ ، وسيبويــه ج ٢ ص ٢١٥
٢ ـ انظر الشافية ج ٢ ص ١١٩
٣ ـ انظر الشافية ج ٢ ص ٩١
* انظر سيبويه ج ٢ ص ٢٠٤ ، ص ١٧٧
٤ ـ قال ابن مالك فى الالفية
وفعل اسما وفعيــلا وفعــل ... غــير معل العين فعــلان حصل
٥ ـ انظر الاشمونى ج ٤ ص ١٠٠ ، ١٠١
والارتشاف ج ١ ص ١١٥
انظر سيبويه ج ٢ ص ١٩٨ ، ص ٢٠٦

أسود وسودان (وزعم الفراء انه في هذا ونحوه جعل لفعل جمع أفعل فعلاء وقال ابو زيد أحمد بن سهل بيض وسود وحمر في الجمع الادني فان جمع منه شئ في الجمع الاقصى كان على وزن فعلان وهو جمع وهو بيض وبيضان وسود وسودان وعمى وعميان وبرص وبرصان وكذلك القياس في كله . انتهى كلام ابن سهل ويدل كلامه على انه مقيس .

(٤) حوار وحوران (١) (٥) زقان وزقان (٦) ثَنِيّ وثنيان (٢)
(٧) قعيد وقعدان (٣) (٨) رخل ورخلان (٤) (٩) جذع وجذعان

وشذوذه أنه صفة ومسرع وسرعان .

وخرج بالاسم الصفة فلا يجمع على هذا الوزن ما كان مثل : ضخم وجميل ، وبطل ، وخرج بقوله غير معل العين في فعل (بفتحتين) ما كان معل العين نحو قود فلا يجمع على هذا الوزن .

ملاحظة : —

قد تكون صيغة فعلان (٥) (بالضم) مصدار سماعيا (٦) مفردا كما في قولك غفر الله ذنبه غفرانا قال تعالى (غفرانك ربنا واليك المصير) وقالوا شكر يشكر شكرانا ، وكفر كفرانا قال تعالى : فلا كفران لسعية . ورجح رجحانا .

فعلان : بفتح الفاء والعين

هذه الصيغة تكون مصدرا قياسيا في كل فعل لازم يدل معناه على التنقل والتقلب المخصوص والاضطراب والحركة الشديدة تقول : طاف ، طوفانا وجال جولانا ،

---

١ ـ الحوار كغراب وكتاب ولدا فناقة ساعة يولد .
٢ ـ الثنى من البعران ما دخل فى اسادسة ومن الخيل ما دخل فى الرابعة ومن الشاء ما دخل فى الثالثة ، والثنى من الاضراس : الاربع التى فى مقدم الفم ثنتان من فوق وثنتان من اسفل .
٣ ـ القعيد من الابل ما يقعد الراعى فى كل حاجة .
٤ ـ الرخل بكسر فسكون وهى الانثى من ولد الشان .
٥ ـ انظر شرح المفصل ج ٦ ص ٤٥ .
٦ ـ انظر سبيويه ج ٢ ص ٢١٧ .

وغلت القدر غليانا (١) ونزى نزوانا ونقز نقزانا (٢) ، وعسل (٣) عسلانا ، ورتك رتكانا (٤) يقول الرضى (٥) : والقياس المطرد في مصدر التنقل والتقلب الفعلان (بفتحتين) كالونزان والنقزان والعسلان والرتكان . والشنآن (٦) (بفتحتين) شاذ لانه ليس باضطراب .

وقد يكون المصدر على هذا (٧) الوزن سماعا كما في قولك : غشيته غشيانا وذلك لانه من المتعدى .

فعلان : (بفتحتين) ليس مصدرا .

وقد وردت الفاظ في اللغة على هذا الوزن وليست بمصادر قال ابن مالك الذى جاء على فعلان بفتح اوله وثانيه وليس بمصدر الفاظ محصورة تم نظمها فقال : —

ما سوى المصدر من فعـــلان   أليان خطوان (٨) شحذان

شقذان صبحان صحران   صلتان صميان علتان

---

١ — النزوان الوثبان ولا يقال الا للشاء والـــدواب والبقر في معنى الفساد .

٢ — والنقزان ومثله النقز هو الوثبان صعدا في مكان واحد وقد غلب على الطائر المعتاد الوثب كالغراب والعصفور .

٣ — العسلان : ان يضطرم الفرس في عـــــدوه فيخفق برأسه ويطرد متنه ، والعسلان ايضا ان يسرع الذئب والثعلب ويضطرب في عدوه ويهز راسه .

٤ — الرتكان مقاربة البعير خطوة في رملانه ولايقال الا للتغير .

٥ — انظر الشافية ج ١ ص ١٥٦ ، وشرح المفصل ج ٦ ص ١٤٧ والاشمونى ج ٢ ص ٢١٦ ابينه المصادر وسيبويه ج ٢ ص ٢١٨

٦ — قال في شرح المفصل ج ٦ ص ٤٧ واكثر مايكون الفعلان في هذا الضرب مما فيه حركة واضطراب ولايجىء فعله متعدى في الفاعل الا ان يشذ شيء نحو شنئتـــه شنانا .

٧ — انظر شرح المفصل ج ١ ص ٤٥

٨ — صحتها بالخاء المنقوطة

شرح المفردات في ابيات ابن مالك

كبش اليان : ما كان فيه شحم ولحم في العجـــز في الزهر بالحاء المعجمة وصحته بالخاء المنقوطة .
الخضوان : والظاء محركة من ركب بعض لحمه بعضا .
الشحذان : قال في القاموس الشخذان ان محـــركه السواق والجائع والخفيف في سعيه
قال في القاموس : الشقذان محركة الذى يكاد ينام، والذى يصيب الناس بالعين ، والشديد البصر السريع الاصابة .
رجل صبحان : محركة الذى بعجل الصبوح .
الصحران : غبره حمرة خفيفة الى بياض قليل .
الصلتان محركة النشط الجديد الفؤاد مـــن الخيل .
الصميان بفتحات من الرجال الشديد المحتنك السن والجرىء .
الشجاع والتلفت والوقت يقال رجل صميان اذا كان ذا توثب على الناس .

عدوان فلتـــان قطوان	كذبان لهبـــان ملدان
يردان حدثان دبـــران	ذنبان رمضان سرطان
سرعان سفوان شبهـــان	صرفان سفوان علجان
عنبان غطفان كـــروان	نفيـــان ورشان يرقان

القطوان مقارب الخطو فى مشيهه يقال قطا فى مشيته يقطو واقطوطى فهو قطوان ٠
العدوان مفركة الشديد العداوة ٠
الفلتان محركة النشيط والصلب الجرىء وطائر يصيدالقـــردة ٠
الورشان بفتحـــات طائر يشبه الحمامة والانثيورشانه ٠
والكروان بالتحريك طائر ويدعى الحجل وجمعـــهكروان بكسر فسكون وكراوين ٠
اللهبان محركة اشتعال النار اذا خلص من الدخان٠ الملدان محركة الشباب والنعمة ٠
البردان حب الغمام ٠
الحدثان الليل والنهار ، والحادثة انظر مختار الصحاح
الديران محركة منزل القمر ٠
الذنبان محركة عشب او ثبت كالذرة واحدته بهاءوماء بالعيص ٠
السرطان برج فى الشماء وورم سوداوى يبتدىء مثلاللوزة فاذا اكبر ظهر عليه عروق حمر وخضر شبيـــه بارجل السرطان لا مطمع فى برئه ٠
سرعان الناس محركة اوائلهم المستبقون الى الامـــروالسرعان الوتر القوى ٠
الشبهان محركة النحاس الاصفر ويكسر ، ونبـــتشائك له ورد لطيف احمر ٠
صفوان اليوم البارد بلاغيم ولا كدر ٠
الصرفان محركة الموت والنحاس والرصاص ، وتمررزين صلب المضاع يعدها ذو العيالات ٠
العلجان محركه اضطراب الناقة والعلجان تـــرابتجمعه الريح فى اصل شجره ٠
العنيان محركة النشيط الخفيف والثقيل من الطباراو المسن منها وهو من الاضداد ٠
غطفان محركة حى من قيس ٠
نفيان بالتحريك ما تنفيه الريح فى اصول الشجرةمن التراب ، وما يتطرف من معظم الجيش ٠
اليرقان افة للزرع ومرض معروف ٠
سفوان محركة موضع بالبصرة ٠
قال الشاعر : وظل لنسوة النعمان منا ٠٠٠ على سفوان يوم اروناني
وجاء أيضا الحصوان فى القاموس مادة (حـــصى)
والحصوان محركة موضع باليمن ٠

* * *

واصلي واسلم على سيدنا محمدصلى الله عليه وسلم وبعد فانوقعت على هفوة فسبحان مـــن انفرد بالكمال وتنزه عن الشركوالمثال فان الانسان محــــــلالنسيان واولناس أول الناس ٠

النمل والنحل مملكتان..

فسبحان الرحمن

لفضيلة الدكتور محمد نغش

سبحان الرحمن الذى أوحى الى مملكة النحل ليخرج من بطونها شرابا فيه شفاء وغذاء ، وهو الذى ألهم النمل في مملكته الى حسن التدبير ، والصبر على العمل من أجل تحصيل الرزق الوفير .

مملكة النحل :

قال الله رب العالمين « وأوحى ربّك الى النّحل ان اتّخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ، ثم كلى من كلّ الثمرات فاسلكى سبل ربّك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس انّ في ذلك لآية لقوم يتفكرون »

ان خلية النحل الواحدة مجموعة من المصانع ، لانتاج الدواء الذى فيه شفاء للناس ، مصانع لانها تبدأ أولا في البناء لبيوتها في أشكال هندسية بوحى من ربها ، أى بالهام وهداية وارشاد : ليس في أبنيتها فرجة ولا خلل ، بل هى محكمة الصنعة مسدسة الهيئة ، أقامتها بطريقة هندسية في همة عالية ، دون استخدام آلة أو الاستعانة بأية ماكينة عصرية ، انها تستخدم امكانياتها الطبيعية التى منحها لها ربّ البرية .

يقول ابن قيم الجوزية في كتابه مفتاح دار السعادة : « تأمل كمال طاعتها وحسن ائتمارها لأمر ربها ، اتخذت بيوتها في هذه الأمكنة الثلاثة في الجبال في الشّقفان ، وفي الشجر ، وفي بيوت

الناس حيث يعرشون أى يبنون العروش وهى البيوت . فلا يرى للنحل بيت غير هذه الثلاثة ألبته. وتأمل كيف أن أكثر بيوتها في الجبال والشّقفان وهو البيت المقدم في الآية ثم في الأشجار وهى من أكثر بيوتها ، ومما يعرش الناس وهى أقل بيوتها بينهم حيث يعرشون ، وأما في الجبال والشجر فبيوت عظيمة يؤخذ منها من العسل الكثير جدا . . ثم تأمل كيف أدّها حسن الامتثال الى أن اتخذت البيوت أولا ، فاذا استقر لها بيت خرجت منه فرعت وأكلت من الثمار ثم آوت الى بيوتها لأن ربها سبحانه أمرها باتخاذ البيوت أولا ثم بالأكل بعد ذلك ، ثم اذا أكلت سلكت سبل ربها مذللة لا يستوعز عليها شئ ، ترعى ثم تعود » .

والنحل واحدته نحلة ، وقال أبو اسحق الزجاج : « جائز أن يكون سمى نحلا لأن الله عزوجل نحل أى أعطى الناس العسل الذى يخرج من بطونها » ، وقال غيره من أهل العربية : « النحل يذكر ويؤنث ، وقد أنثها الله عز وجل ومن ذكر النحل فلأن لفظه مذكر ، ومن أنثه فلأنه جمع نحلة » .

وبالرغم من أن النحل يعد مصانع منتجة ، الاّ أنه كما يصفه القزْوينى في كتابه عجائب المخلوقات « ذو هيئة ظريفة وخلقة لطيفة ، وبنية نحيفة ، وسط بدنه مربع مكعب ، ومؤخره مخروط ، ورأسه مدور مبسوط ، وركب في وسط بدنه أربع أرجل ويدين متناسبة المقادير كأضلاع الشكل المسدس في الدائرة » .

وقد سمينا جماعة النحل بالمملكة لأن اليعسوب ملكة النحل المطاعة في الخلية تتوارث الملك عن أبائها وأجدادها . وهى أكبر جثة تكون بقدر نحلتين ، تقسم الأعمال بين النحل ، فهم يعرفون نظام التخصص الذى هو سمة العصر الحديث فلكل اختصاص لا يتعداه . . وكان العرب قديما يظنونها ذكرا لضخامتها ولقوتها البدنية ، فهم يقولون : هو يعسوب قومه : أى رئيسهم وكبيرهم ومقدمهم .

وقوله سبحانه وتعالى « يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس » فألوانه ما بين أبيض وأصفر وأحمر ، وغير ذلك من الألوان الحسنة ، على اختلاف مراعيها ومأكلها منها .

وقد احـــتار القدماء والمحدثون في معرفة كيفية تحول الرحيق الذى ترشفه النحل من الأزهار الى عسل حلو لذيذ سائغ للشاربين . تتغذى منه هى وأولادها وتختزن بعضه لوقت الشتاء ، وهى

تغطى مخازنها بغطاء رقيق من الشمع فلا يسقط منه شئ .

وقوله تعالى « فيه شفاء للناس » اشارة الى أهمية العسل كدواء ، وتنبيه الناس الى طريقة استخلاص الأدوية المفيدة من الأزهار المختلفة .

وقد كان رسول الله الكريم صلى الله عليه و سلم يوصى بالتداوى به فيقول : « عليكم بالشفائين : القرآن والعسل » . فالقرآن علاج للأمراض النفسية والعسل علاج للأمراض البدنية .

وقوله سبحانه « ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون » يقول ابن كثير : « ان في الهام الله لهذه الدواب الضعيفة الخلقة الى السلوك في المهامه ، والاجتناء من سائر الثمار ، ثم جمعها الشمع والعسل وهو أطيب الأشياء لآية لقوم يتفكرون في عظمة خالقها ، ومسخرها ، وميسرها فيستدلون بذلك على أنه الفاعل القادر ، الحكيم العليم ، الكريم الرحيم » .

وفي العصر الحديث في مختلف بلدان العالم المتحضر ، يعكف الأطباء والباحثون على الاستفادة بالعسل كدواء لكافة الأمراض ، البسيط منها والمستعصى ، الباطنى منها وغير الباطنى ، وقد وجدوا فيها مقويا عاما للأبدان ، ولفت نظرهم من قديم الزمان ، أن العسل يحتفظ بخواصه لا يدركه العفن ولا الفساد .

وفي العصر الحديث اكتشفوا أن الجراثيم المؤذية للانسان اذا وضعت في العسل ماتت ، فهو ينفع للعين والبطن وما حوت، وتعالج به الأمراض الجلدية والجروح المتقيحة . وهم يحاولون الآن أن يعالجوا به السرطان ، هذا البلاء الذى يفتك بالانسان ، والذى حير العقول والأذهان في كل مكان .

ان الله سيكشف لعباده معجزاته في كلّ أوان ، وسيرون أن القرآن من الرحمن الذى خلق الانسان وعلمه البيان



مملكة النمـــل :

قال الله تعالى في محكم آياته « حتّى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنّكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسّم ضاحكا من قولها وقال ربّ أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت عَلَىَّ وعلى والدىّ » .

فالنملة هذه المخلوقة الصغيرة الحجم الكبيرة الشأن ، لها لغة تتخاطب بها فيما بينها كما أنها عاقلة ذكية ، تستطيع أن تميز الأشياء ، فتعرف سليمان عليه السلام بعينه ومن معه من جنوده ، ثم انها مخلوقة حازمة في أمرها لبنى جنسها في أخذ الحيطة من مرور سليمان

عليه السلام وجنوده من فوقهم ، فيحطمونهم دون قصدهم ، لأنها تعرف أنهم لم يأتوا لحربهم .

فما هو تصرف سليمان عليه السلام الذى قيل إنه سمع حديث النملة من مسافة بعيدة ، قيل : إنه أمر جنوده أن يتوقفوا حتى يدخل النمل مساكنهم رحمة منه ، وشفقة على مخلوقات الله الضعيفة ، ثم هو يشكر ربه الذى أنعم عليه ، اذ جعله نبيا ذا سلطان على الحيوان والجان .

روى أن رجلا استوقف المأمون ليسمع منه فلم يقف له ، فقال : يا أمير المؤمنين ان الله استوقف سليمان بن داود عليهما السلام لنملة ليستمع منها ، وما أنا عند الله بأحقر من نملة ، وما أنت عند الله بأعظم من سليمان ، فقال له المأمون : صدقت . ووقف له، وقضى حاجته .

وقال فخر الدين الرازى ان وادى النمل المذكور في الآية بالشام ، وأن الله تعالى أتي بحرف الجر « على » لوجهين أحدهما أن اتيناهم كان من فوق ، فأتي بحرف الاستعلاء . الثاني أنه يراد به قطع الوادى وبلوغ آخره » .

وحكى عن قتادة أنه دخل الكوفة فاجتمع عليه الناس ، قال : سلوا عما شئتم . وكان أبو حنيفة حاضرا ، وهو يومئذ غلام حدث ، فقال : سلوه عن نملة سليمان أكانت ذكرا أم أنثى ؟ فسألوه ، فأفحم ، فقال أبو حنيفة كانت أنثى ، فقيل له : كيف عرفت ذلك ؟ فقال : من قوله تعالى : قالت ولو كانت ذكرا لقال : قال نملة لأن النملة مثل الحمامة ، والشاة في وقوعها على الذكر والأنثى .

وقال السهيلى : ان في قول النملة « وهم لا يشعرون » اشارة منها الى عدل سليمان عليه السلام وفضله وفضل جنوده اذا شعروا بهم . وقال : ان تبسمه عليه السلام كان سرورا بهذه الكلمة من تلك النملة ، ولذلك أكد التبسم بقوله « ضاحكا » .

اذن قد يكون التبسم من غير ضحك ولا رضا . ألا تراهم يقولون : تبسّم تبسم الغضبان وتبسم تبسم المستهزئ ، وتبسم تبسم الضاحك ، وتبسم الضحك انما هو من سرور » .

وقال بعض البلغاء : انها تكلمت بعشرة أنواع من البديع : قولها : يا نادت أيها نبهت ، النمل سمت ، ادخلوا أمرت ، مساكنكم نعتت ، لا يحطمنكم حذرت ، سليمان خصت ، وجنوده عمت ، وهم أشارت ، لا يشعرون اعتذرت .

والآن نسأل أنفسنا هل مساكن النمل

تقيهم من مرور جيش على واديهم ؟
وللاجابة على هذا السؤال ، نقول : لا يتخذ النمل مساكنه الا في أعالى الوديان ، وما ارتفع عن السيل من مكان ، ويبنى النمل بيوته بطريقة هندسية في أعماق التربة ، بحيث تكون هذه المساكن مقسمة الى حجرات مكيفة قريبة من الماء ومن الهواء ، حتى لا يصيب غذاءها آفة من الآفات .

والعجيب هو كيفية بناء هذه البيوت المتينة السّقوف الغائرة الأعماق ، المقسمة الى حجرات ودهاليز كبيرة ، بواسطة هذه المخلوقات الدقيقة الرقيقة ، وبهذه القوائم التى لا تكاد ترى بالعين المجردة . كل هذا بدون آلات هندسية مساعدة ، رغم أن مساكنها بمثابة الحصون الحصينة ، التى تبنيها الدول خوفا من الجيوش المغيرة .

وهى تخرج من أسرابها طالبة لقوتها ، فاذا ظفرت به اتخذت طريقين أحدهما للذهاب والآخر للإياب ، وكأنها تصنع كما يصنع الانسان المتحضر في رسمه طرقه وتنظيمه لمواصلاته ، فترى فريقين من النمل في خطين منتظمين .

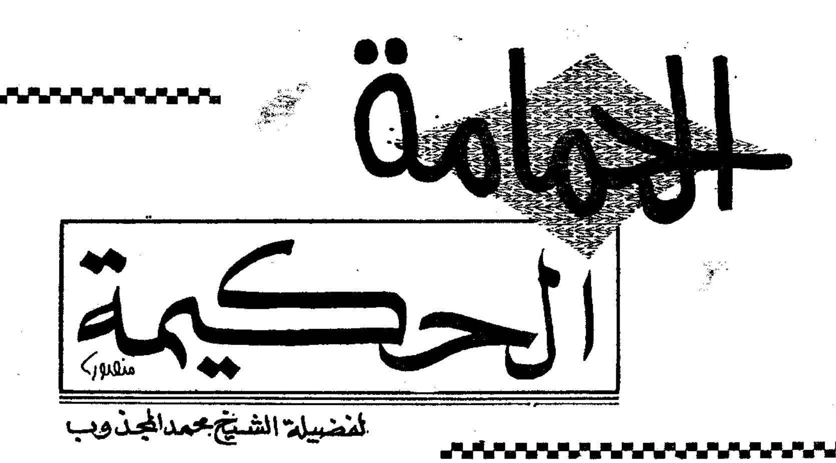
واذا ثقل على نملة منهم حمل شئ اجتمعت عليه جماعة النمل ، تساعد على حمله ، انها تعمل في وحدة متحدة ، من أجل مصلحة مشتركة ، وهى توفير الغذاء في الصيف لوقت الشتاء .

والنمل حيوان حريص ، يحمل أكثر من وزنه ، قوىّ الشّم ، كثير الدأب على تحصيل رزقه ، ويصفه القزوينى في كتابه عجائب المخلوقات « ان النملة اذا جمعت الحّب في بيتها خافت أن ينبت ، فتقطع كلّ حبة مقطعين لتذهب عنه قوة النبت ، وتقطع حبة الكزبرة اربع قطع لأن نصفها ينبت ، واذا كان عدسا أو شعيرا أو باقلا تقشرها ولا تكسرها ، فان بالتقشير يذهب عنها قوة النبت ، ثم تأتي بقطعها وتبسطها في الشمس حتى تزول عنها النداوة فلا تتعفن ، واذا أحسّت بالغيم ردتها الى مكانها خوفا من المطر ، واذا ابتل شئ منها بالمطر تنشرها يوم الصحو لتزول عنه النداوة » .

* ● *

وأخيرا فهذه لمحات عن أمتين خلقهما الرحمن ، وجعلهما آيتين ليتعلم منهما الانسان ، وهما يسبحان بحمده ، فلنأخذ العبرة منهما ، ونخلص لله خالقهما ، ونشكره على نعمه علينا : ونعمل باخلاص حتى يرضى عنا الله الذى كرمنا .


قصص
مختارة



الحمامة الحكيمة

لفضيلة الشيخ محمد المجذوب

كان سرب الحمائم يغطي أحد المربعات الرملية في الفناء الجنوبي من المسجد النبوى المبارك ، عندما أقبلت هذه الحمامة الغريبة ترف فوق السرب كأنها تتخير موضعا معينا لهبوطها .

كانت كل واحدة من السرب مشغولة بما أمامها من الحبوب الذهبية ، تسرع في النقر ، كأنها تخشى أن ينتهي المنثور من الحنطة قبل أن تملأ حوصلتها حتى الكظة ، لذلك لم يكن ثمة متسع لملاحظة هذه الزائرة الساقطة عليهن من فضاء الفناء .

وجعلت هذه تتجه الى هنا ثم هناك ، وتهم بالنزول ، ثم يخطر لها ما يمنعها من ذلك ، فتعود الى الرفيف مرنقة فوق السرب المشغول . . الا أن ذلك لم يستمر سوى دقائق يسيرة حتى ضمت جناحيها وجعلت تهبط في أنـــاة حتى احتلت الفجوة الصغيرة ، التى فسحتها لها احدى هاتيك الحمائم .

وأقبلت كل من الاثنتين على الأخرى تتمسح بها في تماس بشبه العناق ، ثم جعلت المواطنة تكرم النزيلة بتقريب بعض الحبوب نحوها ، فتنقرها هذه في رشاقة تنم عن السرور . . حتى اذا استنفد السرب الحبوب ، فلم يبق ما يستهويه للبقاء

هناك ، هبّ في حركة واحدة نحو الفضاء ، وكأنه يستجيب بذلك لامر صادر من جهة لا يسع حمامةً مخالفتها .

وتكاثف الرفيف حتى استحال دويا ، وترنحت أفواج الحمائم متهادية بين مختلف الزوايا ، ثم جعلت تنتشر على جوانب السطح القبلى المطل على المربعات الاربع ، فتستقر هناك ، كأنها تنتظر دفعة أخرى من هذه الحبوب ، التى لا ينفك أولو القلوب الطيبة يحملونها اليها وفاء لنذر ، أو كفارة عن سيئة ، أو تقدمة بين يدي نجوى . . حتى تفيض عن حاجتها فتفقد الشهوة اليها ، وبخاصة أيام الموسم ، عندما تتدفق على المدينة الحبيبة سيول الزوار آتين من مختلف أرجاء العالم، فتتراكم صدقاتهم من هذه الحبوب ، حتى لا يجد خدم المسجد سبيلاً لتفادى ضررها الا بتعبئتها في الغرارات ، ثم نقلها من تلك الأفنية الى حيث يتم الانتفاع بها .

وحوّمت، الحمامتان بعض الوقت ، حتى وجدتا الظل المناسب في جوار أحد الأضلاع من القبة الخضراء فهبطتا في رفق ، وحيتا في أدب بالغ صاحب القبر المطهر ، ثم أخذتا في حديث طويل جميل .

قالت (لطيفة) الزائرة ذات الثوب الابيض كالثلج : هنيئا لك الحياة في هذا الجوار السعيد يا (رضية) . . وتنهدت رضية ذات الثوب الرصاصى الداكن ، ثم أجابت : كثيرات من الحمائم المنزلية يرددن مثل هذه التمنيات . . ولا أعلم لذلك سببا معقولا .

— عجبا . . وأى سبب أكثر معقولية من هذا الجو الذى ميزه الله على سائر انحاء المدينة بحلول خير خلقه . . ألم تخبريني يا رضية أن الصلاة في هذا المسجد المبارك تعدل ألف صلاة في سواه ! . .
— بلى يا لطيفة ، وهذا بلاغ عن النبي الكريم ، تلقيناه من افواه العلماء الذين ينشرون هديه من هذا المسجد . . ولكن .
— ولكن . . ماذا ؟ . .
— ولكن الصلاة غير الاقامة . .

— أوضحي يا رضية . . فان في جوابك غموضا .

— ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدد الافضلية بكون الصلاة في هذا المسجد تعدل ألفا في غيره الا البيت الحرام الذى تعدل الصلاة فيه مئة ألف . . وإلا المسجد الاقصى الذى تعدل الصلاة فيه خمسمائة في غيره . .

— ما شاء الله . . وما أوسع رحمته !

— ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخبر أن الاقامة في هذا المسجد أفضل من الإقامة في المنازل . .

— نعم ؟ ! . . زيديني وضوحا يا رضية ، زادك الله فقها .

— أريد أن أقول لك ان اقامتنا نحن الحمائم الدكن في هذا المسجد المبارك ، وكذلك اقامة أخواتنا في المسجد الحرام لا فضل لها على اقامتك أنت في في منزل أصحابك ! . .

وأطرقت لطيفة تتأمل في هذا الذى سمعت من صاحبتها . . وجعلت تستعيده في ذات نفسها كلمة كلمة ، محاولة أن تنفذ الى ابعاده بكل ما تملك من قدرة . . وبحركة عفوية رفعت رأسها واتجهت ببصرها الى رضية لتقول : أتقولين يا صديقتى إن اقامتى حيث أسكن كإقامتك أنت في كنف هذا الحرم المطهر ؟ . .

— المدينة كلها حرم يا لطيفة من عير إلى ثور . . ألا تعرفينهما ؟

— الجبلان اللذان يعانقان المدينة من جنوب وشمال . .

— والمسجد النبوى جزء من الحرم ، الا أنه يمتاز بمنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبأفضلية الصلاة فيه . . أما الاقامة . .

— نعم . . نعم الاقامة يا رضية ، كيف تكون اقامتى في كنف أصحابي كاقامتك في كنف رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ . .

— اسمعى يا لطيفة ، وحاولى أن تفهمى ما أقوله ، فلا تكوني كالذين ينظرون ولا يبصرون ، ويسمعون ولا يعون . .

— سأحاول جهدى . .

— كثير منا نحن معاشر حمائم هذا المسجد المبارك يروى أباً عن جد عن أكابر علماء هذه الامة المفضلة أن رجلا كان يكثر من التردد على القبر الشريف للسلام على نزيله صلوات الله وسلامه عليه ، فرآه أحد علماء أهل البيت المطهر فأرشده إلى الإقلال من ذلك التردد قائلا له : سلمْ على رسول الله حيث كنت يبلغه سلامك ، فما أنت ورجل بالاندلس الا سواء في هذا . .

وكانت لطيفة تصغى بكل جوارحها الى هذه الموعظة ، فلم تستطع أن تكتم دهشتها مما تسمع ، وقالت لصاحبتها وهي تتطلع باتجاه القسم الشمالى من المسجد : انظرى يا رضية . . ألا ترين ؟ . .

— مـــاذا ؟ . .

— هؤلاء الذين لا يرضون أن يُغادروا المسجد إثر فراغهم من الصلاة الا بعد أن ينصرفوا الى جهة القبر الشريف مطأطئي الرءوس ، ناكسى الابصار مكتفي الأيدي ، يتمتمون بالدعاء والسلام على صاحبه ! . .

— بلى . . وهذا ما أراه كل يوم وفي عقب كل صلاة من كثيرين من المصلين . . فماذا ترين في ذلك ؟ . .

— أرى . . أليس هؤلاء أفضل منا نحن الحمائم ، وأعلم منا بما يجب عمله . . فلو لم يكن هذا حقا وخيرا لما أقبلوا على فعله . .

ولم تتمالك رضية زفرة خفيفة حزينة ، ثم عقبت على كلام صاحبتها : لم تستعملى عقلك جيدا في فهم ما ترين وتسمعين ، بل استهواك هذا التصرف بما وراءه من حسن القصد فتقبلته دون تفكير . .

قالت لطيفة في استحياء : لاتتوقعى منى أن اكون مثلك أنت جارة المسجد وتلميذة علمائه . . وعلميني مما علمك الله يا رضية . .

— بارك الله فيك يا لطيفة . . ونفعك بما تتعلمين . أول ما أذكـر بـه هنا هو أن أفضلية الجنس البشرى علينا نحن معشر الحمائم ليست مطلقة ، فهم أفضل المخلوقات الأرضية دون شك ، بما جهزهم الله به من وسائل لبناء الحضارة ، واقامة المدنيات ، والقدرة على حل ألغاز الكون . .

– حقا . . حقا . .

– وهذه الافضلية خاصة بالجنس الآدمي بالنسبة لغيره من الاجناس ، ولكن . .

– مـــاذا ؟ . .

– ولكن كثيرين من هذا الجنس لا يحسنون استعمال قدراتهم الموهوبة ، فلا ينتفعون بسمعهم ولا بصرهم ولا عقلهم . .

– حقا . . حقا . .

– فمثل هؤلاء لا يحققون أفضليتهم على أي جنس من المخلوقات الاخرى . . بل ربما هبطوا بجهلهم الى ما دون مستوانا نحن . .

– ما كان أجهلني لهذه الحقائق ! . .

– وهؤلاء الذين تستحسنين تصرفاتهم في أعقاب الصلوات انما يفعلون ذلك تقليداً لغيرهم ممن لا يملكون علما ولا فقهاً . .

– هكذا إذن ؟ . .

– أجل . . لان العلم – كما سمعنا من اهله في حلقات هذا المسجد المبارك – يلزم صاحبه باتباع الدليل من كتاب الله وسنة رسوله وعمل السلف الصالح .

– وما أجل شأن العلم ! . .

– ولو هم رجعوا الى هذه المصادر لما وجدوا مسوغا لما يفعلون ، ولوقفوا عند حدود ما أمر الله ورسوله ، بالصلاة والسلام على رسول الله حيثما كانوا وكلما ذكر . .

– زادك الله من فضله . . ولكن . . ألا ترين أنك لم تقطعي بموضوع الإقامة حتى الآن ؟ . . كيف تكون اقامتي في كنف أصحابي معادلة لاقامتك أنت في هذا الجو الذى يزودك بكل هذا الخير ! . .

وارتسمت على وجه رضية ابتسامة خفيفة لم يفت لطيفة معناها ، ومست بمنقارها العقيقي أذن لطيفة ، وجعلت تقول في لهجة أقرب الى الهمس : سامحكِ الله . . ألم أبين لكِ وجوب الوقوف عند الحكم الشرعي دون تزيد ولا مغالاة ! . .

والحكم الشرعى يثبت أفضلية الصلاة ولا يعطي الإقامة أية أفضلية . .

— أوشكت أن أفهم . .

— أضيفى الى ذلك أمرا هاما غفلنا عنه كلنا ويا للاسف ! . .

— ما هو . حفظك الله ! . .

— هو اننا بهذا المقام في المسجد قد عطلنا طاقاتنا الموهوبة ، فلم ننفع أحدا ، وأصبحنا عالة على كل أحد . .

— لم أفهم ما تقصدين . .

— تأملي يا لطيفة في كل ما يقع عليه بصرك من أشياء هذه الدنيا تجدى أن كل واحد من هذه الاشياء يأخذ ويعطي . . وبهذا الأخذ وذاك العطاء يسهم في خدمة الحياة على قدر طاقته .

— ما كان أبعدني عن هذا التأمل ! . .

— أما نحن . . فكما ترين . . نأخذ كل شئ ولا نعطي شيئا . . ويا ليت سبيلنا وقفت عند هذه الحدود فقط . . بل اننا لنكافئ على الخير بضده في معظم الأحيان . .

— وكيف يكون هذا ؟ . .

— اسمعي يا لطيفة . . المسكن الذى تعيشين فيه ماذا تأخذين منه وماذا تعطينه ؟ . .

وتمتمت لطيفة في استحياء ممزوج بالتعجب : لم أتوقع سؤالا كهذا قط . . فما أدرى كيف أجيب عليه ! . .

— حسنا . . لا تعجلي . . هل يوفر لك أصحابك وجباتك اللازمة من الطعام ؟ . .

— والشراب أيضا . .

— مقابل أي شئ ؟ . .

— الآن فهمت . . طبعا مقابل ما نقدمه لهم من لحومنا ولحوم فراخنا العزيزة . .

— اذن أنت تأخذين وتعطين ! . .

— طبعا وأعطى أكثر مما آخذ . .

— تلك هى العدالة والكرامة يا لطيفة . . فتذكرى بازاء ذلك أن الناس يتخيرون لنا أفضل الحبوب ، التي لا يكاد يحلم بمثلها الكثير من فقرائهم . . ويؤثروننا بالعذب النقي من الماء . . ثم لا نعطيهم أي شيء أبدا . .

ورانت على الحمامتين المتناجيتين غمرة من الصمت . . حتى عادت رضية الى الكلام فقالت وهى تغص بدموعها : والأسوأ من ذلك يا أختاه أننا نؤذيهم إى والله نؤذيهم . . بل نؤذى المسجد الطهور نفسه . .

— أعوذ بالله . . وكيف ! . .

— بما ألقيه من زَرْقِنا على سطح المسجد . . نلقيه دون تفكير بعواقب ما نفعل . حتى اذا جاءت رحمة الله بالغيث سالت الميازيب به. متحللا في ذلك الماء فيلقاه بعض الجهلاء بأفواههم ، أو بأوعيتهم ليتبركوا بارتشافه ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

— وي . . وي . . إنها لمضرة بالغة . .

— واذكرى مع هذا ما نلقيه من ذلك الزرق خلال الحصى الذى ننقر عنه الحب ، فما يكاد يختلط بماء المطر حتى يسرع في التخمر ، ثم لا يلبث أن يطلق من الروائح ما نكاد نحن نموت منه اختناقا . .

— أعوذ بالله . .

— أجل . . هكذا يستحيل زرقنا سما لآناف المصلين وأفواههم يا صديقتى ، في حين يكون زرقكم خيرا كله عند أصحابكم ، اذ يجمعونه ثم يغذون به أطايب المزروعات والازاهير ، لتكون نعمة وبركة للانسان والطير والحيوان على السواء . .

وأثبتت لطيفة في وجه صاحبتها عينين تفيضان بالرضي . . وجعلت تتمتم : ليت الحمائم كلهن يعلمن ما تعلمين .

ومضت رضية تقول : هل أدركت يا عزيزتي لماذا أضيق صدرا بالمقام في هذا المكان الكريم . . وأود لو أستبدل بحياتي كلها أسبوعا واحدا في قفصك الذي ما كنت لتعرفي قيمته من قبل ! . .

وفي فرحة غامرة ردت لطيفة : ألف أهلا . . بك . . على الرحب والسعة . . ان في قفصي السعيد لمتسعا لرفيقة حكيمة صالحة مثلك . .

وفي حزن لم تستطع إخفاءه أجابت رضية : شكرا لله لك حسن مودتك . . ولكن . .

— ماذا ؟ . .

— ان اصحابك سيطردونني حتما . .

— أهذا ممكن ! . . ولم ؟

— لاني لا أستطيع مكافأتهم على أي معروف . .

— وكيف ! ألست ستهاجرين الينا مع قرينك ، فتلدين كما ألد ، وينتفعون بك كما ينتفعون بي تماما ! . .

— هيهات يا عزيزتي . . ان الناس لا يستحبون لحومنا ، ولا يستحلون لحم فراخنا ولو عشنا في بيوتهم وعلى طعامهم . . وهكذا سنظل طاقات معطلة كما وصفت لكِ لا فائدة فينا لاحد من خلق الله . .

— هكذا ! . .

— أجل يا عزيزتي . . سنظل أبدا نأكل ونشرب ونتوالد ثم نموت دون أن نرد للمحسن جميلا . . ودون أن تظفر إحدانا من مخلوق بكلمة (رحمها الله) على حين لا يذبح احداكن ذابح ، ولا يأكلها آكل الا ذكر عليها اسم الله . . وكفى بهذا عزاء لها جميلا .

— ولكن يا رضية . . ان كثيرات من سربك يَعِشْنَ في بيوت المدينة . . ولابد أن حياتهن هناك كحياتنا نحن في بيوت أصحابنا . . يأخذن من خيرها ويعطينها من خيرهن . .

— ذلك محض الظن . . أما الحقيقة فهي على الضد من ذلك . .

— وكيف ؟ . .

— ان هؤلاء المهاجرات قد لجأن الى أطناف تلك البيوت رجاء الحصول على مثل حياتك . . الا أنهن . .

— أتمي . . ولا ترددي . .

— الا انهن أخفقن تماما ، لأن القوم يرفضون باصرار تغيير رأيهم فينا . . لذلك يضيقون ذرعا بهؤلاء النزيلات ويعملون للتخلص منهن بكل ما يملكون من قدرة قد تصل الى حد الترويع والإيذاء . .

— عجيب . .

— وهم معذورون في ذلك . . لانهم لا يلقون من هؤلاء المتطفلات عليهم سوى الضرر المحض . .

— ضرر ! . .

— أجل . . ضرر لا يطيقونه ، ولا يملكون له دفعا . .

— أوضحي يا رضية . . فانا لا أعرف الضرر الذى تعنينه .

— وأى ضرر أسوأ من أن يجدوا كل فرجة في بيوتهم مقرا لبعض هذه الازواج تبنى فيها عشها ، وتضع فراخها وتلقى بزرقها على كل شيء ، لا تستثني من ذلك الثياب ، والمارة والسيارات . .

— أف . . حقا انه لعمل مخجل .

— ولانه مخجل لم أسمح لنفسي بسلوك هذه الطريق حتى الساعة . .

— ولماذا لا تفكرين وأمثالك من الحكيمات بمخرج من هذا المأزق ! . .

— المخرج معروف . . وخطير يا رضية . . لانه يصادم عادات الناس ومألوفهم .

— وما هو ؟ . .

— هو ذبحنا . .

— وي . . وي !

— أجل ذبحنا . . وهو حكم أصدره ثالث خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من على منبره في هذا المسجد المبارك . .

— وهل يعقل هذا ؟ . .

— وهل يحكم خليفة رسول الله بغير المعقول ؟ . . لقد لاحظ ما تجره الحمائم من أذى على المسجد ، وما تحدثه الكلاب من اضرار في المدينة فقال للناس : اذبحوا الحمام واقتلوا الكلاب . . (١)

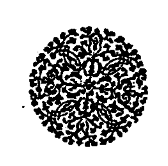
— وهل أنت مستيقنة من هذا الخبر يا رضية ؟ . .

— لقد سمعته من بعض علماء هذا المسجد المبارك . . ورويناه بالتسلسل أبا عن جد عن عثمان رضي الله عنه .

— أكاد أقتنع بهذا الحل يا رضية . . ولا سيما في شأن الكلاب التي بلغ من ضررها في المدينة أن افترست طفلين في منطقة قباء خلال السنوات الأخيرة . .

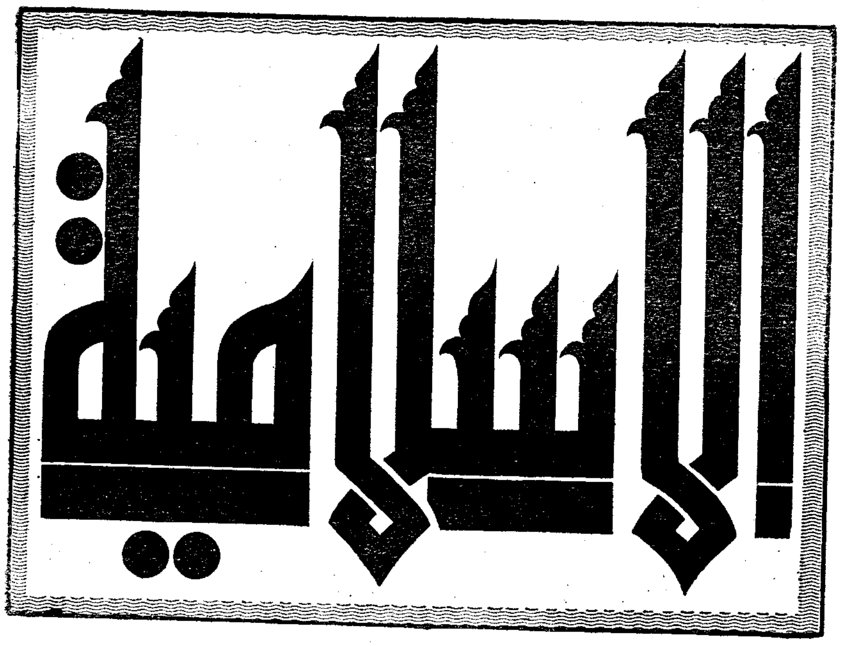
★ ● ★

وفي هذه اللحظة ارتفع صوت المؤذنين لصلاة الظهر . . فانقطع الحوار ، وانصرفت الصديقتان الى متابعة كلمات النداء في خشوع عميق .



١ ـ اخرجه الامام احمد فى مسنده عن عثمان رضى الله عنه


المكتبة


الإسلامية



مقدمة بين يدي هذه النظرات

كانت ماكرة تلك الهجمة الاستشراقية الصليبية على الإسلام والمسلمين في هذا العصر ، فراحت تتهم الإسلام بشتى التهم وراح بعض المسلمين – وبعاطفة الدفاع عن الإسلام – يلصقون بالإسلام ماليس منه أويلتمسون من هنا وهناك شهادات للغربيين بأن الإسلام دين الرحمة أو دين المدنية ليقولوا للناس (والفضل ما شهدت به الأعداء) وكان هذا في أول هذا العصر .

ولم تنتشر الثقافة الإسلامية بعد بهذا المدى التي وصلت إليه الآن ، ولذلك فنحن لا نحاسب الذين تأثروا بهذه الهجمة بما نحن عليه الآن ولكننا نرى أن مقالاتهم وكتاباتهم وإن أفادت في وقتها وتأثر ناس بها ولكنها الآن لا تناسب ما وصل إليه الشباب المسلم من وعي ، لأنها كتبت من موقف الدفاع والضعف لا من مركز القوة واستعلاء الايمان ، إن كتابات مثل كتابات ابن تيمية في أول القرن الثامن الهجرى نتلقاها الآن وكأنها كتبت بالأمس وذلك لأنها كتبت من مركز القوة . . والاستعلاء على فلسفة اليونان وكل الترجمات التى تأثر بها المسلمون منذ بدأت الترجمة في العصر العباسي : كتبت بدون عقدة النقص التى يشعر بها المسلمون الآن تجاه الحضارة الغربية .

وإلا فما حاجتنا إلى شهادة مستشرق خبيث مثل (دوزي) ليقول لنا : إن العرب تغيرت حياتهم بعد فجر الاسلام.

إن اسم (دوزى) على كتاب مثل

(مع الرعيل الأول) تزكية له والرجل من أخبث المستشرقين وسأنقل إن شاء الله بعض كلامه في هذه المقالة .

٢ – وكذلك كانت موجة القومية العربية قد طغت في أول هذا العصر وخاصة في بلاد الشام بعد الحرب العالمية الأولى (لأن الذي حركها هم نصارى لبنان للتخلص من الدولة العثمانية) (١)

وأول من تأثر بها هم من يسمون أنفسهم المثقفين ، ولكنها أصابت ببعض شررها بعض المخلصين من المسلمين أيضا الذين يحبون الإسلام وخاصة أنه كان عندهم رد فعل على محاولة طمس اللغة العربية من قبل جمعية الاتحاد والترقي التى حكمت الدولة العثمانية في أواخر حياتها وكانت جمعية معروفة بعدائها للإسلام .

ويظهر أن الكاتب الكبير محب الدين الخطيب كان ممن أصابهم شرر هذه القومية ، وسيتضح هذا من بعض فقرات كتابه .

وكذلك نقول : إننا لا نحاسب الأستاذ محب الدين الخطيب على عصره فالبيئة لها تأثير كبير ، ولكن نقول : إن الأمور قد اتضحت الآن ولابد من بيان الخطأ .

٣ – وليس معنى ملاحظاتنا على كتاب (مع الرعيل الأول) أننا نغمط حق مؤلفه ، أبداً فكتابة المؤلف عن الصحابة كتابة قوية وفيها أسلوب جديد يجمع بين الأدب الرفيع والتحقيق العلمي ، ولولا ما سوف نلاحظه على تأثر الكاتب بالأشياء التى ذكرت لكانت هذه الطريقة هي الطريقة المثلى في إعادة كتابة تاريخ أفضل الأجيال .

بعد هذه المقدمة سنبين بعض الملاحظات على الكتاب ويمكن أن نجمعها أو نشد خيوطها إلى ثلاثة أمور :

١ – الدفاع عن الاسلام من مركز الضعف والشعور بقيمة ما عند الغربيين عن الإسلام .

٢ – بعض الألفاظ التى توحى بتأثر الكاتب ببدعة القومية العربية

٣ – ملاحظات عامة

ونبدأ بالنقطة الاولى فنقول :

إن المؤلف أكثر من الاستشهاد بالمستشرقين ونقل أقوالهم . ففى أول صفحات الكتاب ينقل مقالا كاملاً للمستشرق (دوزي) . وقد قلت إن

---

١ – ان العلاقة بين النصارى والقومية العربية واضحة من اسماء روادها : نجيب عازورى ، قسطنطين زريق مشيل عفلق • الخ

هذا المستشرق من أخبث المستشرقين ففى كتابه المشهور (تاريخ مسلمى أسبانيا) يقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . « ربما كان رسول الله لا يفوق أحداً من معاصريه ولكنه لم يكن على شاكلتهم فقد ورث عن أمه رقة الطبع وحدة المزاج » ؟ ! (١) . ويتهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه يشاطر قومه (قريش) في احتقارهم لأهل المدينة لأنهم زراع (٢) ولكنه لما يئس من قومه اضطر لتناسي هذه النظرة فرحب بوفود هذه المدينة (٣) ومثل هذا الكـلام كثير في كتابه فلا يجوز أن يذكر مثل هذا وكأنه من المعتدلين .

وفي المقال الثاني صفحة (٧) يبدأ المقال بكلمة (جوستاف لوبون) وفي نفس المقال يستشهد بأقوال ثلاثة من الغربيين وينقل عن أحدهم (ويلز) تعريفه للإسلام بأنه هو المدنيه . فهل هذا التعريف صحيح ؟ . وماذا يقصد (ويلز) بالمدنية ؟ الله أعلم بمدنيته ماذا تحتوى لأنه يقول : « إن الدين الذى لا يسير مع المدنية فاضرب به عرض الحائط » (٤) . وهل الإسلام يقاس بالمدنية أم العكس .

وفي الصفحة التاسعة أراد أن يستشهد بكلام (المسيو كلودفارير) فأتي به من مقدمة كتاب (العباسة) لجرجى زيدان وذكر كتاب جرجي زيدان بدون تعليق عليه كأنه توثيق له . ومعلوم أن هذا (الجورجى) من أساطين الصليبية والاستعمار الحاقدين .

وفي صفحة (١١) يريد أن يمدح الإسلام فيقيسه ببعض المصطلحات عند الغربيين يقول : « إن الإسلام الذى بعث الله به صاحب هذه الذكرى هو ما يسميه الإفرنج (السبرمان) ؟ ! »
أولاً : نحن لا نقيس الإسلام بما عند الغربيين .

ثانيا : إن كلمة (السبرمان) تعنى الرجل المثالى الخيالي الذى قد لا يوجد على الأرض . ولكن الإسلام وجد على الأرض . ويناسب أهل الأرض . وطبق على هذه الأرض .

وفي صفحة (١٥) نلاحظ تأثره بالغربيين (وهذا حصل لغيره بسبب عدم وضوح هذه المفاهيم على أساس الإسلام) . فنراه يقيس الإسلام بالديمقراطية .

---

١ ــ درزى : تاريخ مسلمى اسبانيا ١ : ٢٢
٢ ــ درزى : تاريخ مسلمى اسبانيا ١ : ٢٧
٣ ــ درزى : تاريخ مسلمى اسبانيا ١ : ٢٧
٤ ــ مع الرعيل الاول ص ٨

وهي كما نعلم مبدأ غربي لا يمت إلى الإسلام بصلة لأن معناه هو حكم الشعب وفي الإسلام الحكم للشريعة التي أنزلها الله وليس للشعب .

يقول : (ونحن الآن في عصر الديمقراطية الذي تنزل فيه الدولة على حكم الأمة) ويطلب من القراء أن يكثروا من المطالبة بالإسلام حتى ينزل مجلس النواب على رأيهم ! ؟ ونحن نقول : إذا كان مجلس النواب هو ثمرة هذه الديمقراطية المهترئة فكيف يكون هو ، وكيف نطلب منه أن ينقذ المسلمين ويحكم بالإسلام .

في صفحة (١٤٩) يركز كثيراً على موضوع الأخلاق . وهذه شنشنة غربية معروفة وهى أن (الدين المعاملة) التي يرددها كثير من الناس الذين يتساهلون في أمور العبادات كالصلاة وغيرها . . لذلك نراه يقول : « والعقيدة بلا أخلاق ساحل لبحر لا ماء فيه » والأخلاق عنده هى البحر الأعظم من الدين . . ولو قال العكس لكان أفضل ، فالعقيدة هي الأساس والأخلاق وغيرها يبنى على العقيدة .

٢ ـ وأما تأثر المؤلف ببعض شرر القومية فهذا ما نلاحظه في ثنايا كثير من الصفحات وبعض الكلمات والاشارات

ففى صفحة (١٩) دافع عن أهل مكة في الجاهلية وبرر لهم عدم وجود حكومة تجمعهم فقال : « لأنهم (أي أهل مكة) قلما عرفوا فيهم مواطناً تنزع نفسه إلى الشر » . مع أن هذا نقص في أهل مكة والعرب الجاهلية ، وقد ذم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال « من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » (١) يعني كما كان أهل الجاهلية لا يبايعون أحدا ولا يجتمعون على رئيسلهم يسوسهم. ويردد كثيراً كلمة العروبة . ومعلوم أن هذه الكلمة أصبحت تستعمل الآن بمعنى القومية الذميم وليس بمعنى حب اللغة العربية أو اختيار الله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم خيارا من خيار .

ويقول في صفحة (١٥٠) : « وأنا أعتقد أن تاريخ العرب قبل الإسلام من أخصب تواريخ الأمم وأثمنها » .

أما أن يكون عند العرب قبل الإسلام بعض الصفات التي تمتاز بها عن غيرها مثل بعدها عن فساد الحضارة والمدنية فهذا صحيح وأما أن يكون تاريخهم في الجاهلية من أثمن التواريخ فهذا مما يُشك فيه . .

١ ـ جزء من حديث ص ٣٣٤ مختصر صحيح مسلم .

ويقول أيضا « إن الإنسانية لا تعرف أمة أثرى وأنبل وأوغل في مثلها العليا قولاً وعملاً من أمة العرب في الجاهلية » فكيف تكون في جاهلية وعندها هذا الثراء . .

ويكـــرر في صفحة (١٥١) : «ويستلذ السهر في إخراج تاريخ العروبة والإسلام » . . فهل العروبة غير الإسلام ويكرر هذا ايضاً في صفحة ١٦٧ . . ويصرح أكثر ي صفحة (١٧٧) عندما يصف بعض القبائل العربية « وكان لهم نضوج العقل وجمال المنطق وهما من ميراث القومية العريق في القدم » .

وفي تبرير أفعال عبد الملك بن مروان قال في صفحة (٢٠٣) : « وأمثال عبد الملك كانوا يرون أن ما كان عليه الخلفاء الراشدون إنما كان فوق مستوى البشر » . . ولم يعلق على هذا . فإذا كان مستوى الخلفاء الراشدين فوق مستوى البشر فكيف يأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتبعه ونتبع سنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده .

والله سبحانه أرسل الرسل من البشر حتى لا يقول الناس (لو أرسل لهم ملائكة) هؤلاء ملائكة لا نستطيع تقليدهم أو اتباعهم والإسلام أنزل حتى يطبق في الأرض لا ليكون فوق مستوى البشر ، وكيف استطاع عمر ابن عبد العزيز أن يهتدي بهدي الخلفاء الراشدين ، وعبد الملك لا يستطيع ؟

ولقائل أن يقول ما صلة عبد الملك بالقومية العربية . فأقول : إن المؤلف يبرر كثيراً من أخطاء بني أمية لأنه يعتبر أن دولتهم دولة عربية ولذلك يبرر أخطاء الحجاج بل ويدافع عنه دفاعاً مجيداً . ويهاجم عبد الله بن الزبير ، وينتقد أهل المدينة بسبب موقعة الحرة وهذا في (تعليقه على كتاب (العواصم من القواصم) .

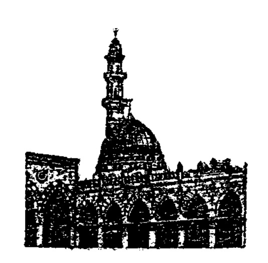
٣ ـ هناك ملاحظات عامة : فمثلاً كرر ذكر المولد النبوي في صفحة (١١) فقال : (وهذا الدين الذى نحتفل بذكرى رسوله الأعظم في شهر ربيع الأول من كل عام) وكذلك في صفحة (١٥) مع أنه من المعلوم أن هذا الاحتفال بدعة .

وعندما تكلم عن عمرو بن العاص رضى الله عنه وتحت عنوان صغير (سحر العروبة) ذكر أن أعظم عمل قام به الفاتحون لمصر هو تحبيب اللغة العربية لهم حتى أصبحت كما يقول : « لغة الزوجين في كوخهما بآخر قرى كوم امبو ولغة التأليف والنشر ولغة المنابر والمعابد ولغة الموسيقى والأغاني »

فهل هذا اعتراف منه بالموسيقى والأغاني المصرية ؟ !

وأخيراً نعود فنقول : إن المؤلف قد أبرز سيرة بعض الصحابة كالنعمان ابن مقرن المزني وعمرو بن العاص وبعض التابعين كالأحنف بن قيس وسعيد بن المسيِّب بما هم له أهل وبما يستحقون من إبراز محاسن أفعالهم وعظيم جهادهم في الفتح الإسلامي وكذلك أبرز سيرة بعض الفاتحن الذن قلّ أن يدرى بهم شباب الإسلام اليوم من أمثال الجراح بن عبد الله الحكمى . الذى توغل وفتح ما يسمى بلاد الخزر والتي تقع الآن تحت حكم روسيا . كل ذلك بأسلوب بليغ ومحبة لهؤلاء الصحابة والتابعين ومحاولة تنبيه الشباب إلى أمجاد التاريخ الإسلامى .

ولكن ما يفيد في وقت قد لا يفيد في وقت آخر ، وقد مرت على المسلمين فترة كانوا فيها بموقف الذي يجعل الإسلام في قفص الاتهام ثم يحاول الدفاع عنه . وقد تجاوز المسلمون هذه المرحلة الآن الى مرحلة الثقة المطلقة بالإسلام وإلى الهجوم على كل مبدأ غريب عن هذا الدين بدلاً من محاولة إلصاق أي مبدأ براق به ، لتزيينه أمام الشباب، كما يزعم . وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نكون دائما في موقف العزة ، « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » .





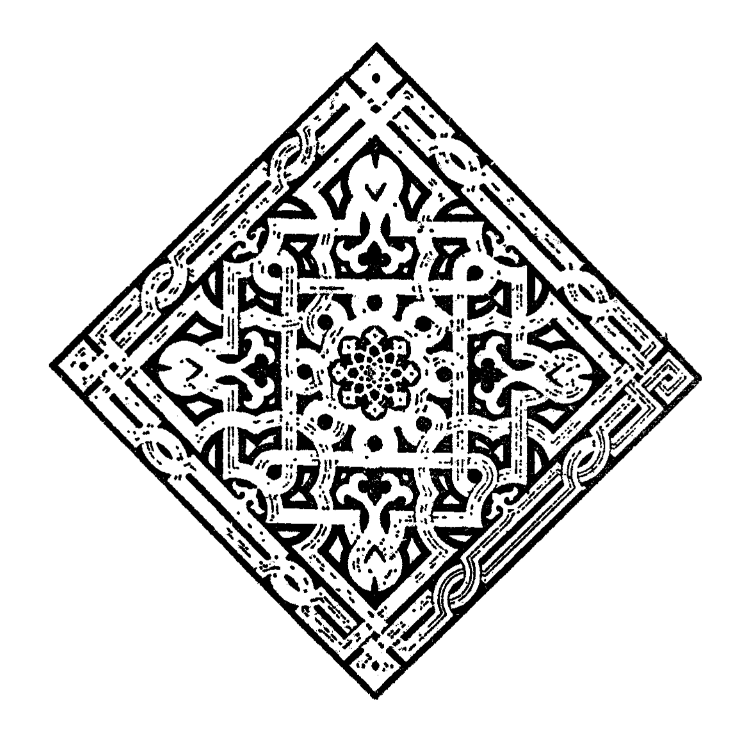
بقلم الطالب محمد الأمين الشيخ

ظلمـــــوني

ظلموني . . حقا لقد ظلموني . .   حرموني الحياة في ظل ديني . !
حكموني بغـير ديني فنفسي .   في اضطراب ، وأمتي في شجون
أبعدوني عن هديه فخطاي الْـ   يوم عـرجٌ مصابة بالجنـون
أبعدوني عن نـوره فظـلام الـ   ليل حولىَّ موحش بالسكون
أبعـدوني عن الهدى فأضـاعو   ني وقد كنت في حماه الحصين
عشت في ظـله عزيزاً رفيع الـــــرأس لا أنحنى لعسف القرون
ظلموني لم ينشروا العدل في أرْ   ضى ولم يزرعوا بذور اليـقين
بـذروا الذل والمهـانة في نفـــــسي وضحوا بعـزتي للهُون
ظلمــوني فسلموا الوطن الْغَا   لي على الرغم من صلاح الدين
وأضاعوا ما أحـرز البطل النا   صر بالسيف في رُبَـا حطين
ظلمــوني فحكموا الغرب في أمْــــرى وحادوا عن الكتاب المـبين
فاعتـلى كرسي القضـا يتحدا   ني ويقضي بحكمه في شؤوني
ظلموني انا الـذى علم الغـر   بَ شئون الدستور والقانون
مِن بنِيَّ استفاد. كيف اصيرالـ   يوم تلميذه ، لقد ظلمـوني
انا قاضي الوجود والحاكمُ العا   دل أقضي بالعلم لا بالظنون

بيـدى المصحف الكريم أأحـ تاج الى الجاهلين في التقنين !
كيف أقضي بشرعهم وكتابُ الله غضٌّ التنـزيل والتبيين !
من يـنابيعه تفجـرت الأز هارُ واخضلّت الربا بالمعـين
ظلموني كنت المعـلم والأسـ تاذ منّي استمد اهل الفنـون
ظلموني فمزقـوا شمل أبنـا ئي وحدّوا الحدودَ بين البنين
ولقد كان عالمي الأفُقَ الرحـ ب وكانت أطرافه في الصين
ظلموني كنت السحابـةُ للـ نّاس ووردَ الربيع والزيتـون
أينما كنت كنت غيثاً مريعـاً يتحدىّ مخلّفـات السـنين
وانا اليوم أجتدى العالم الظمـ آن شأن الفقير والمسـكين
ظلموني فعندىَ البحر والنهرُ . . ومزن السما ومـاء العيـون
ظلموني فعكرّوا أفْـقيَ الـصافي وشابوا ازرقاقه بالطـين
كنت في ظلمة الدياجى أناجى مشرق النفس باليقين المكـين
أنتشى ان قرأت في الليـل قُر آني ورتلته بشدوٍ حـزين
فرْحتِي دمعة تبـلّل خدى . . عندما يختفي رقيب العيـون
ذقت في هدأة الدجى طعم إيما ني وطعمَ الهدى وطعم اليقـين
يحلم الليل في فـؤادى بالأسـرار حيثُ الوجودُ غافي الجفون
فغـروني فأغـرقوني بالألْـحان والحان والهـوى والمجون
ظلموني فأطِفـئوا شعـلة القلـب وزجّوه في ظـلام السجون
كنت في روضةٍ تعالى الأنْسـام واليوم صرت في أتـون
ظلمـوني فعلموني دين الغرب دينَ الالحـاد واللّا ديـن
ظلمـوني فعلموني دين الخمر دين الحـشيش والأفيـون
ظلموني فعلموني ديـن البغـي دين الغـازات والهيـدرجين
ظلمـوني فحطموا سدّ أخلا قي وكانت منيعة التحصـين
ظلموني . مَن الذي علم الختو د فنون المجون في الصـالون

ظلموني من الـــذى زين الـ | شـّر على شـــاشة التلفـــزون
ظلموني من الــذى بث في المذ | يـــاع سمّ الايحـــاء والتلقـــين
ظلموني من الــذى بغض الديـ | ن وكنا نهفــــو له بالحـــنين
ردة نـــام عن كوارثها الحـــا | رس في حضن رزقه المضمون
ورآها الجمهـــور من سنن الكو | ن فطمت على الربـــا والحزون
أين حكم الهـــدى وايامه البيـ | ض وتاريخه الوضيءُ الجبـــين
حكمتنى بعد الهـــدى زمر استا | لينِ تروى الإجرام عن ليـــنين
فاشتكت للاشجّ منهم دمشق | واشرأبت بغـــداد للمـــأمـــون
وتعالت مقـــيرة النيل يـــا فا | روق يـــا عمرو يا صلاح الدين
وتلاقت في الشرق والغرب صيحا | ت تعاني من العذاب المهـــين
ما لنـــا والسفين في لُجّة البحر | شراعٌ إلا دعـــا ذى النـــون
هؤلاء الطغـــاة قد حكمـــوني | واستبدوا على خطا موسليني
ظلموني فاين من ينصـــفوني | أين من يغرقون كى ينقذوني ؟ !




مختارات
من
الكتب



١ — يجوز في الثقيلة والخفيفة أن يستدرك بهما بعد الإيجاب ما كان مستغنيا : نحو قولك : جاء زيد فأقول : لكن عمرا لم يأت ، وتكلم عمرو ولكن خالداً سكت . المقتضب ٤ : ١٠٨ .

جاءت (لكن) في القرآن بعد الإثبات . وبعد (لو) . و (لولا) وبعد النفى .

١ — الجمهور على أن (لكن) المخففة لا تعمل عمل المشددة سيبويه ١ : ٢٨٣ ، ٤٨١ وأجاز المبرد إعمالها المقتضب ١ : ١٢ ، ٥١ ، ابن يعيش ٨ : ٨٠ ، الرضي ٢ : ٣٣٥ قرئ في السبع بتشديد (لكن) وإعمالها وبتخفيفها وإهمالها في قوله تعالى :

١ — وَلكِنَّ الشيَّاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ٢ : ١٠٢

٢ — وَلكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِالله ٢ : ١٧٧

٣ — وَلكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ١٠ : ٤٤

٤ — وَلكِنَّ البِرَّ مَنِ اتَّقَى ٢ : ١٨٩

وقرأ أبو جعفر (من العشرة) بالتشديد في قوله تعالى :

١ — لكِنِ الّذِينَ اتّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ ٣ : ١٩٨ .
النشر ٢ : ٢٤٧

٢ — لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ ٣٩ : ٢٠ .
النشر ٢ : ٣٦٢

وقرئ في الشواذ بالتخفيف والإهمال في قوله تعالى (ولكن الله سلم ٧ : ٦٣)

وقرئ في الشواذ بتشديد (لكن) وإعمالها في قوله تعالى :

١ — وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٢ : ٥٧ .
(أنفسهم) اسم (لكن) ولا يضمر الشأن لأنه مختص بالشعر . البحر ٣:٣٨

٢ — وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهِمْ يَظْلِمُونَ ٣ : ١١٧ .
ابن خالويه : ٢٣ .

٣ — مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ ٣٣:٤٠
الخبر محذوف ، أى خاتم النبيين . البحر ٧ : ٢٣٦ ، ابن خالويه : ١٢٠

٣ — لم تقع (لكن) العاطفة في القرآن .

٤ — (لكن) المشددة لم تجئ في القرآن من غير الواو بل كانت مع الواو (ولكن) .

(دراسات لاسلوب القرآن الكريم)
للشيخ عبد الخالق عضيمه





لم يفرض الإسلام زكاة في أى قدر من المال النامى ، وإن كان ضئيلاً ، بل اشترط أن يبلغ المال مقداراً محدداً يسمى (النِّصَابَ) في لغة الفقه، فقد جاءت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بإعفاء ما دون الخمس من الإبل ، والأربعين من الغنم ، فليس فيهما زكاة ، وكذلك ما دون مائتي درهم من النقود الفضية (الورق) ، وما دون خمسة أوسق من الحبوب والثمار ، والحاصلات الزراعية .

قال شيخ الإسلام الدهلوي في بيان الحكمة من هذه المقادير :

« إنما قدر من الحب والتمر خمسة أوسق ، لأنها تكفي أقل أهل بيت إلى سنة : وذلك لأن أقل البيت الزوج والزوجة وثالث : خادم أو ولد بينهما ، وما يضاهي ذلك من أقل البيوت . وغالب قوت الإنسان رطل أو مد من الطعام ، فإذا أكل كل واحد من هؤلاء ذلك المقدار كفاهم لسنة ، وبقيت بقية لنوائبهم أو إدامهم .

« وإنما قدر من الورق خمس أواق (مائتي درهم) لأنها مقدار يكفي أقل أهل

بيت سنة كاملة إذا كانت الأسعار موافقة في أكثر الأقطار . واستقريْ عادات البلاد المعتدلة في الرخص والغلاء تجد ذلك .

« وإنما قدر من الإبل خمس ذود ، وجعل زكاته شاة ، وإن كان الأصل ألا تؤخذ الزكاة إلاّ من جنس المال ، وأن يجعل النصاب عدداً له بال ، لأن الإبل أعظم المواشي جثة ، وأكثرها فائدة : يمكن أن تذبح ، وتركب وتحلب ، ويطلب منها النسل ، ويستدفأ بأوبارها وجلودها . وكان بعضهم يقتني نجائب قليلة تكفي كفاية الصرمة . وكان البعير يسوى في ذلك الزمان بعشر شياه ، وبثمان شياه ، واثنتي عشر شاة ، كما ورد في كثير من الأحاديث فجعل خمس ذود في حكم أدني نصاب من الغنم ، وجعل فيها شاة (٢) » ا — هـ .

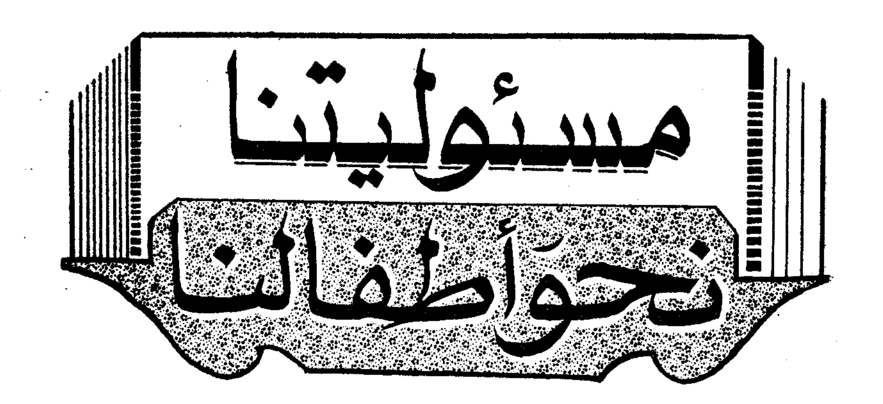
واشتراط النصاب في مال الزكاة مجمع عليه بين العلماء في غير الزروع والثمار والمعادن ، ويرى أبو حنيفة أن قليل ما أخرجت الأرض وكثيره العشر ، وكذلك روي عن ابن عباس وعمر بن عبد العزيز وغيرهما ـ أن في عشر حزم من البقل تخرجها الأرض حزمة منها صدقة واجبة .

ولكن جمهور العلماء يرون النصاب شرطاً لابد منه لوجوب الزكاة في كل مال يستوى في ذلك الخارج من الأرض وغيره من المال ، وحجتهم في ذلك حديث : «ليس فيما دون خمسة أو سق صدقة» وهو ما يقتضيه القياس على الأموال الأخرى ، من الأنعام والنقود وعروض التجارة .

والحكمة في اشتراط النصاب واضحة بينة ، وهي ان الزكاة إنما هي ضريبة تؤخذ من الغني مواساة للفقير ، ومشاركة في مصاحة الإسلام والمسلمين ، فلابدّ أن تؤخذ من مال يحتمل المواساة ، ولا معنى لأن نأخذ من الفقير ضريبة ، وهو في حاجة إلى أن يعان ، لا أن يعين ، ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم : « لا صدقة إلاّ عن ظهر غنى » (١).

ومن هنا اتجه التشريع الضريبي الحديث إلى إعفاء ذوي الدخل المحدود من فرض الضرائب عليهم ، رفقاً بهم ، ومراعاة لحالهم ، وعدم مقدرتهم على الدفع ، هو ما سبقت به شريعة الله منذ أربعة عشر قرناً من الزمان .

(فقه الزكاة) — للدكتور يوسف القرضاوي



مسئوليتنا نحو أطفالنا

بالرغم من أن سلوك الأطفال منظم في الشريعة الاسلامية ، حتى في أدق تفاصيله ، فإن الشرع غير متوجه إليهم ، بل إلى آبائهم ، وإلى الحكام ، والأساتذة ، والرؤساء ، أي إلى الأمة بأكملها ، فهي التي على كاهلها تقع مهمة تربيتهم ، وتقويمهم ، حتى تظفر منهم بأقصى درجات التوافق مع القاعدة .

وإذن ، فإذا كانت مسئوليتهم قد تخففت ، فما ذلك إلا لترتبط مسئوليتنا تجاههم . وحسبنا هنا أن نقدم ثلاثة أمثلة لنبين ان الانسان المسلم الصغير ، يجب أن يتعوّد — منذ حداثته — على ما يقرب من سلوك الرجل الناضج ، في سلوكه الشخصي ، وفي علاقته بالآخرين ، وفي علاقته بالله سبحانه .

المثال الأول : نحن نعرف قواعد الأدب والحياء التي فرضها القرآن على كل فرد ، ألا يدخل بيوت الآخرين دون أن يستأذن ، ويسلم عليهم في أدب :

« يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَى تَسْتَأْنِسُوا وتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا » (١) ، أما فيما يتعلق بخدمنا وأطفالنا فإن القرآن يمنحهم نوعا من التساهل في بعض القيود ، لا على سبيل الإعفاء منها ، فهو يقيد وجوب هذه الأوامر بأوقات الراحة حين نكون غالباً مسترين : « يَاأَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمْ الذِينَ مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ والذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الحُلُمَ

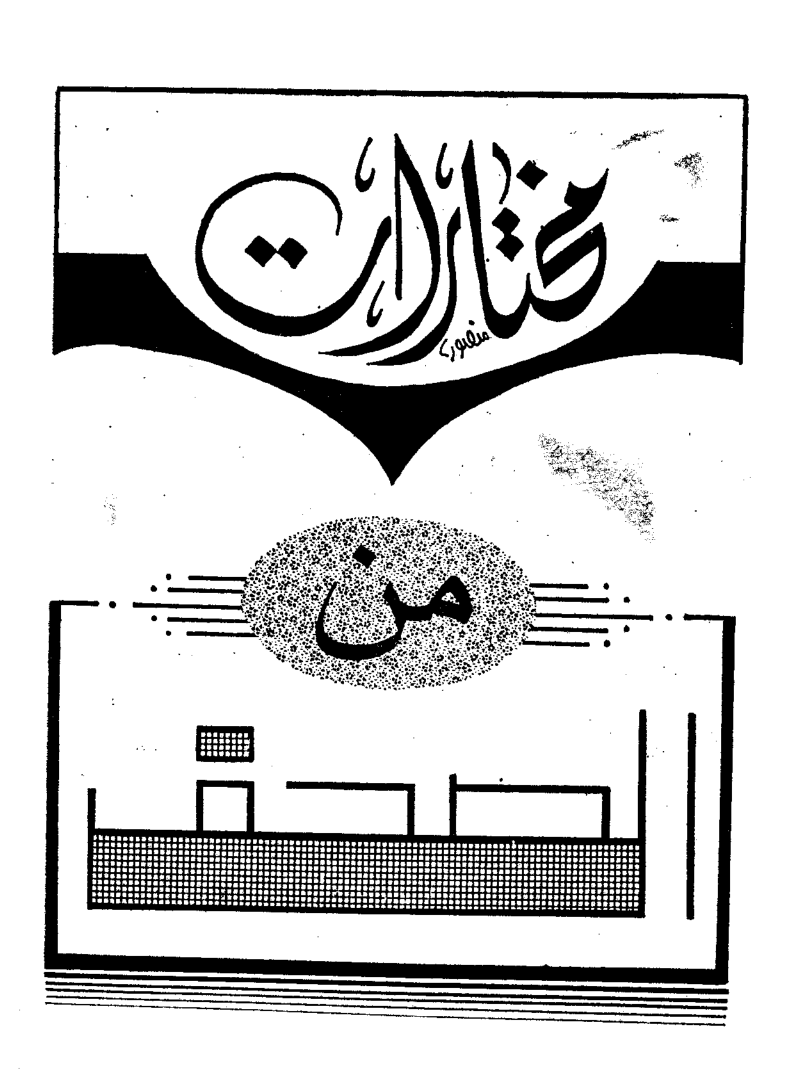
مِنْكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الفَجْرِ ، وحِينَ تضَعُون ،َ ثِيابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ ، ومِنْ بَعْد صَلاةِ العِشَاءِ ، ثَلاَثُ عوْرَات لَكُمْ ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلاَ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ، طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ ، بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ » ١ ، ٢ سورة النور .

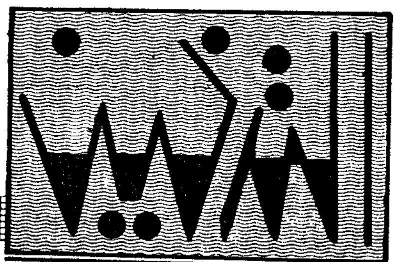
المثال الثاني : إن الإسلام في دعوته الأطفال لأداء شعائرهم الدينية لا ينتظر بلوغهم بل يجب علينا أن نشجعهم ، متى بلغوا سن السابعة ، على أن يؤدوا الصلاة دون إكراه ، فإذا بلغوا العاشرة ولم يطيعوا أدبناهم عليها أدباً مترفقاً ، وفي هذه السن يجب أن نفرق بينهم في فرشهم ، ومن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك : « مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين ، وإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها » ، وفي رواية : « مروا أولادكم . . وفرقوا بينهم في المضاجع » (١) .

المثال الثالث : إننا ملزمون بألا ندع أطفالنا ، منذ طفولتهم الأولى ، يأكلون ، أو يستعملون من الأشياء ما ليس لهم . ونحن نعرف ما كان سائداً على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، من أن الصدقات نقدية أو عينية والتي كانت مخصصة للتوزيع على الفقراء وأشباههم ، كانت تجمع أولاً في المسجد ، أو في أحد البيوت المجاورة ، الخاصة بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم ، وذات يوم لمح النبي ، وهو عائد إلى بيته ، تمرة من تمر الصدقة ، أخذها حفيده الحسن ، فجعلها في فيه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم بالفارسية « كِخْ ! كِخْ ! ، إرمِ بها ، أما تعرفُ أنَّا آل محمد لا تحل لنا الصدقة ؟ » .

(دستور الاخلاق في القرآن) — للمرحوم الدكتور عبد الله دراز

✶ ● ✶


مختارات
من
الصحف



وأمراض القلب

(منظور)

للدكتور محمد علي البار

يعتقد كثير من الناس ان تدخين السجائر يؤثر على الرئتين فحسب . . فلقد أصبح من المعلوم لدى العامة والخاصة أن السجائر تسبب سرطان الرئة . . ولكن قليلين هم الذين يعرفون تأثير السجائر على القلب والجهاز الدورى .

ان تأثير السجائر على القلب والجهاز الدورى يرجع الى وجود مادتين سامتين في السجائر هما : النيكوتين وأول أوكسيد الكربون . .

فأما المادة الاولى وهي النيكوتين فهي مادة شديدة السميه . اذ تكفي الكمية الموجودة منه في سيجار واحد لقتل انسان في أوج صحته اذا أعطيت له هذه الكمية بالوريد . . ومع هذا فان أى مدخن يأخذ اضعاف هذه الكمية يوميا دون أن تقتله مباشرة . . فكيف يا ترى يتمكن الجسم من مواجهة هذه المواد الشديدة السمية . يستطيع الجسم بواسطة الانزيمات ان يحول هذه المواد السميه اذا اخذت بالتدريج الى مواد أقل سميه وأبطأ فاعليه .

يؤثر النيكوتين على القلب والجهاز الدورى عن طريق زيادة ضربات القلب كما تزداد الكمية التي يضخها القلب في كل ضربة . وهذا أحد اسباب وجيب القلب وخفقاته التي يعاني منها كثير من المدخنين . . والسبب في ذلك أن مادة النيكوتين تزيد من افراز مادة الادرينالين ومادة النوأدرينالين . . وهما المادتان المسئولتان عن زيادة ضربات القلب وانقباض الأوعية الدموية . .

وهكذا يضطر القلب إلى زيادة عمله عند تدخين كل سيجارة وفي نفس الوقت تقل كمية الدم التى تغذى عضلة القلب وذلك لانقباض الشرايين التاجية التى تغذى عضلة القلب بالدم . . فالنيكوتين يسبب انقباض هذه الشرايين التاجية كما يسبب ايضا انقباض الأوعية الدموية في كافة أنحاء الجسم .

وليس هذا فحسب وانما يساعد - النيكوتين على تكوين الجلطات بتأثير مباشر على المواد التى تسبب تخثر الدم . . وفي نفغ ائح على أن تلتصق ببعضها مكونة جلطة تسد مجرى الدم . . وتعتمد الاعراض على الوعاء الدموى الذى انسد بالجلطة فاذا كانت الأوعية الدموية للرجل هى التى انسدت فان ذلك يسبب الما شديدا في الساق ثم ينتهى بالغرغرينا وبتر الساق أو الفخذ . واما اذا كان الانسداد في أحد الشرايين التاجية فان ذلك يؤدى الى جلطة القلب التى كثيرا ما تنتهى بالوفاة .

هذا باختصار تأثير مادة النيكوتين على القلب والاوعية الدموية فما هو تأثير أول أكسيد الكربون . . ؟

ان أول اكسيد الكربون هو غاز ينتج عن الاحتراق عندما تكون كمية الاكسجين قليلة . . واحتراق السجائر يؤدى الى تكون غاز اول اكسيد الكربون بنسبة واحد الى خمسة في المائة . . وخطورة هذا الغاز انه شديد القابلية للاتحاد بالهيموجلوبين (صبغة الدم الحمراء) والتى تحمل الاكسجين . . فينتج عن ذلك ان جزءا كبيرا من الهيموجلوبين يتحد بأول اكسيد الكربون . . ويبقى جزء بسيط لحمل الاوكسجين (غاز الحياة) . في الانسجة والخلايا . . وذلك يؤدى الى الذبحة الصدرية وخاصة عند المصابين بتصلب الشرايين . . أو عند القيام بمجهود عضلى شديد . . أو حتى عند هيجان العواطف واشتعال الغضب .

ان تدخين عشرين سيجارة يوميا يؤدى الى حرمان الجسم من خمسة عشر في المائة من الهيموجلوبين . . اذ تصبح هذه الكمية متحدة مع أول أوكسيد الكربون ولا يمكن الاستفادة منها في حمل الاكسجين .

ولقد اكتشف أن لهذا الغاز تأثيراً في زيادة ترسيب الكوليسترول على جدر الاوعية الدموية مما يساعد على سرعة تكون تصلب الشرايين وبالتالى الجلطات . .

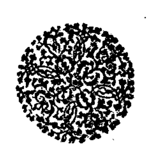
هكذا يتبين لك باختصار ما تفعله السجائر بالقلب والأوعية الدموية وفي آخر تقرير للكلية الملكية للاطباء الذى نشر قبل بضعة اسابيع في لندن ذكر أن ٣١ر٠٠٠ رجل و ٨٠٠٠ امرأة قد لاقوا حتفهم نتيجة جلطة القلب في عام ١٩٧٤ . . وجميع هؤلاء ما بين الخامسة والثلاثين والرابعة والستين ويرجع التقرير وفاة ٩٥٠٠ شخص من هؤلاء الى التدخين مباشرة . . أما عدد الذين ظلوا على قيد الحياة ولكن حياة ملؤها الاسقام والادواء فقد بلغوا مئات الآلاف .

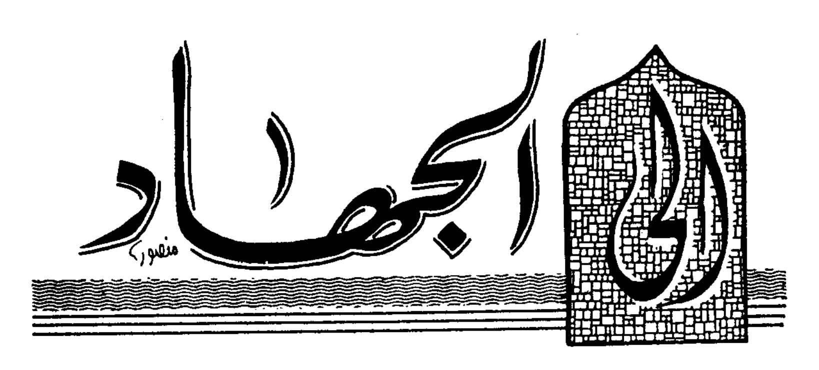
ويبلغ عدد الذين أصيبوا بجلطات المخ عشرات الالاف سنويا وكثير منهم يلاقي حتفه في الحال ولكن ما يبقى يكون أشد تعاسة ممن مضى الى العالم الآخر فذلك قد أراح واستراح . أما من بقى فهو للعذاب والآلام والعناء لا يكاد يرفع يده الا بمعونة ولا يخطو خطوة الا بالاستناد الى غيره . فهو في عنت ومشقة هو ومن معه . .

وأهو ن عليه من كل هذا العذاب أن يبادر الى هذه الأفعى التى بين يديه فيقذفها بعيدا عنه . . ليتمتع بصحته وشبابه . . فقد أثبت الطب ان كل عشر سجائر تفقدك ساعة من عمرك كل يوم وتضيف لك عشرات الساعات والأيام والشهور والسنين والتعاسة والامراض والاسقام . ولا بديل لك الا ان تحزم أمرك وتعزم عزمة اكيدة على ترك هذه السجائر دون رجعة . واسأل ربك العون والتوفيق فانه جدير بأن يهبك العون اذا لجأت اليه صادقا . والله يتولاني واياكم .

د. محمد على البـــار

عضو الكلية الملكية للاطباء بلندن





جدة : قال السيد ابو هشام ممثل حركة فتح في المملكة العربية السعودية في كلمة نشرتها جريدة المدينة التى تصدرها بمناسبة ذكرى تأسيس هذه المنظمة :

اننا اليوم ومع الانسان العربي نعلنها صريحة ألا درب إلا درب الجهاد ولا طريق الا طريق لا اله الا الله ولا حركة الا حركة جهاد اسلامى يتسابق فيها المؤمنون لنصر الله . .

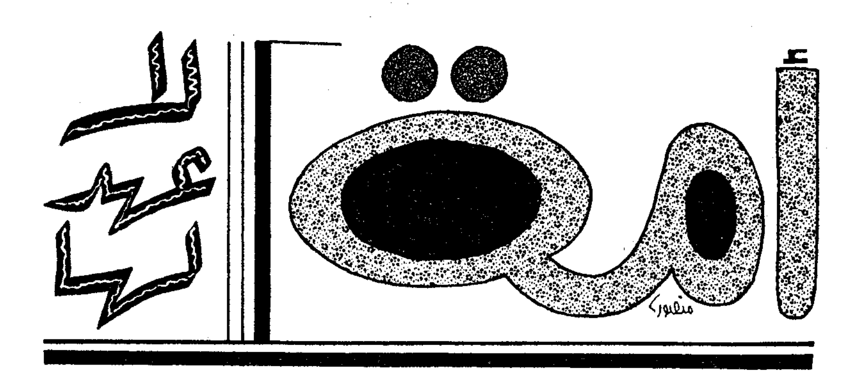
واضاف اننا نعلن اليوم انه لن يوقف زحف التلمود الى المنطقة الا القرآن الكريم والقرآن فقط لذلك قررنا ان نتخذ القرآن منهجا ودستورا واسلوب عمل . تماما كما كانت احلامنا يوم ان نشأت « فتح » قبل ان يحرفها الذين حرفوها . . ويدخلوا عليها مبادئ لم تكن فيها بل كانت دخيلة عليها . .

واختتم السيد ابو هشام كلمته :

اليوم . . لابد من ان نشهر اسلام (فتح) فمن سار على هذا الدرب فهو منا لانها هذه فتح كما فهمناها من اللحظة الاولى امتدادا لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم ونصيحة ابي بكر وعمر لجهاد خالد وصلاح الدين . . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله . . الا ان نصر الله قريب .

« اخبار العالم الاسلامي »

المجلة : (وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا)



صرح وزير الأوقاف والشئون الاسلامية يوسف جاسم الحجى أن اليهود على مر التاريخ أثبتوا للعالم أجمع أنهم بلا عهود ولا مبادئ . وهم زمرة متآمرة . على القيم والاخلاق والمجتمعات . وأضاف الوزير الحجى في رده على (السياسة) حول ما إذا كان يرى حدودا معينة للتعايش مع اليهود قائلا :

إن التلمود : وبروتوكولات حكماء صهيون أكدت أن اليهود جاءوا الى هذه الارض والعالم للفساد . . وللحكم عن طريق المغريات والاعلام . وأضاف قائلا إن حرب الخندق التى خاضها المسلمون بإيمان واجهوا فيها تآمر اليهود مع المشركين لضرب المسلمين. واليهود كما هو معروف اصحاب مكر وخداع ، ولذلك طردوا من الجزيرة العربية ، ومن يقنع نفسه بالتعايش مع اليهود فهو على خطأ كبير لانهم لا يحفظون العهد ويستخدمون كل ما من شأنه تحطيم الاخلاق . وهم ما زالوا حتى الآن يتبعون كل السبل والوسائل ويمولون المشروعات الاقتصادية عن طريق الربا والاقتراض بالفوائد ليسيطروا على مقدرات هؤلاء الحكام وشعوبهم وبلدانهم ليبقوا تحت سيطرتهم ، ومن هنا أقول إن التعايش مع اليهود مرفوض بشدة .

« البلاغ الكويتية »



◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆

قال رئيس وفد اليهود في مؤتمر القاهرة بالحرف الواحد : « منذ ٣٠ عاما بعد أن حررنا بلدنا من المستعمر الأجنبي في صراع بطولي ، أعلنا استقلالنا الوطني .. في أرض أسلافنا .. وكل ما هو عزيز علينا .. وغال ، ومقدس في حياتنا القومية » ..

مجلة الدعوة القاهرية



مايسمع المقلدون

أجرت مجلة (مارى كير) الفرنسية استفتاء تحت عنوان (وداعاً عصر الحرية والمساواة ، وأهلاً بعصر الحريم) . . استفتت فيه الفتيات الفرنسيات من جميع الأعمار والمستويات الاجتماعية والثقافية شمل مليونين ونصف المليون عن رأيهن في (الزواج من العرب ولزوم البيت) . . فكانت إجابة تسعين بالمائة منهن بالموافقة على ذلك ، وقد عللن ذلك بالاسباب التالية :

١ ـ مللت المساواة مع الرجل .
٢ ـ مللت حالة التوتر الدائم ليل نهار .
٣ ـ مللت الاستيقاظ عند الفجر للجري وراء المترو (قطار تحت الارض) .
٤ ـ مللت الحياة الزوجية التي لا يرى فيها الزوج زوجته إلا عند النوم .
٥ ـ مللت الحياة العائلية التي لا ترى الأم فيها أطفالها إلا حول المائدة .

« مجلة الاعتصام ـ القاهرة »

★ ● ★

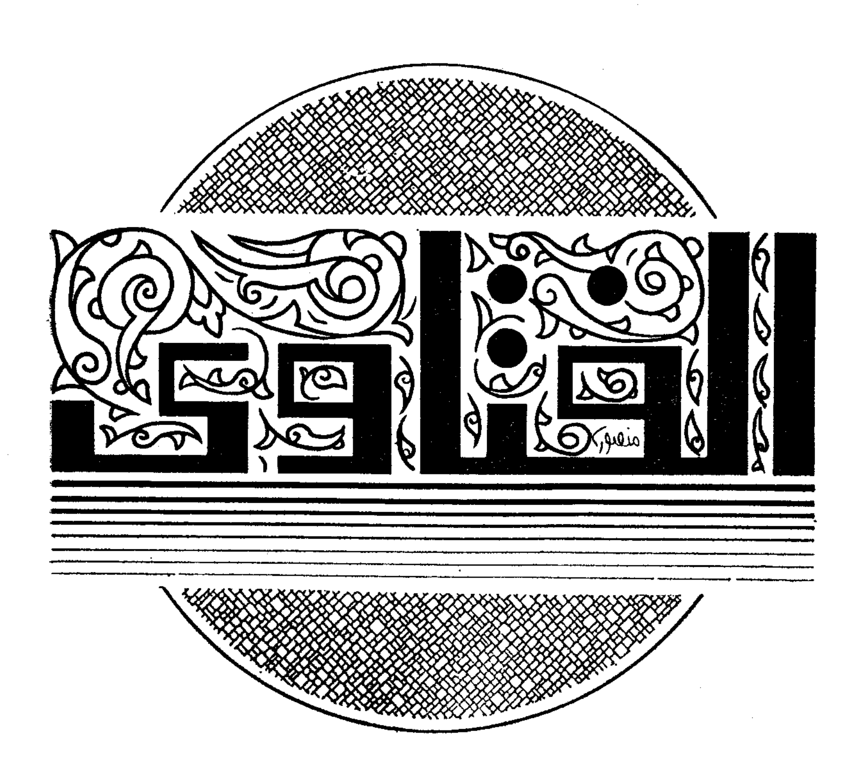
التعصب الهندوكي

يتحرك ضد المسلمين

بعد انتقال الحكم من المؤتمر الوطني الى حزب « جنتا» كان يبدو أن جماعة المتطرفين ستعدل أفكارها الضيقة وخططها العصبية المعادية للمسلمين وخاصة بعد أن نشأت علاقات بينها وبين الجماعة الاسلامية التي حملت الجماعة الاسلامية على تبرئة هذه العصابة ولكن دهش المتتبعون للحركة وتطوراتها بتصريح أحد زعمائها في مجلس مشترك بين المسلمين وغيرهم أزال الستار عن الحقيقة وننقل هنا من كلامه الذي نشرته الصحف :

« إن هذه حقيقة تاريخية أن المسلمين توغلوا في هذه البلاد كغزاة معتدين ولم يعتنق الناس دينهم إلا خوفاً من سيوفهم . حطموا معابدهم وحولوها الى مساجد وتزوجوا من نسائهم قهراً ، ولا يزال يستمر هذا العمل القاسي ، فالخونة هم المسلمون. هم المسلمون والهنادك أبرياء من كل هذا وباكستان هو العدو الأول لبلادنا لن نسمح لهم الآن أن يهتفوا بأن أحوالهم الشخصية خاصة منفصلة وأن لسانهم غير لساننا وهذا وذاك ، ولو يريدون أن يسكنوا في هذه البلاد فعليهم أن يعتنقوا ديننا وحضارتنا وثقافتنا وإلا فلا ، أما هذه الحفلات المشتركة ، والاهتمام فيها بالأكل والشرب فلا تغني المسلمين شيئاً. وقد احتجت الصحف الاسلامية على هذا التعدي الساقر على حضارة المسلمين وتزوير التاريخ الاسلامي المجيد فإن جميع آثار المدنية والحضارة الموجودة في الهند ترجع الى ذلك البعد الظاهر .

« الرائد الهندية »





الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه أما بعد . .

فقد جرت عادة الكثير من الدول الاسلامية في هذا العصر بالأمر بالاحداد على من يموت من الملوك والزعماء لمدة ثلاثة أيام أو أقل أو أكثر مع تعطيل الدوائر الحكومية وتنكيس الاعلام ولا شك أن هذا العمل مخالف للشريعة المحمدية وفيه تشبه باعداء الاسلام وقد جاءت الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تنهى عن الاحداد وتحذر منه الا في حق الزوجة فانها تحد على زوجها أربعة أشهر وعشرا كما جاءت الرخصة عنه صلى الله عليه وسلم للمرأة خاصة أن تحد على قريبها ثلاثة أيام فأقل أما ما سوى ذلك من الاحداد فهو ممنوع شرعا وليس في الشريعة الكاملة ما يجيزه على ملك او زعيم او غيرهما وقد مات في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ابنه ابراهيم وبناته الثلاث وأعيان آخرون فلم يحد عليهم عليه الصلاة والسلام وقتل في زمانه امراء جيش مؤته زيد بن حارثه وجعفر بن ابي طالب وعبد الله بن رواحه رضى الله عنهم فلم يحد عليهم ثم توفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو أشرف الخلق وأفضل الأنبياء وسيد ولد آدم والمصيبة بموته أعظم المصائب ولم يحد عليه الصحابة رضى الله عنهم ثم مات أبو بكر الصديق رضى الله عنه وهو أفضل الصحابة واشرف الخلق بعد الأنبياء فلم يحدوا عليه ثم قتل عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم وهم أفضل الخلق بعد الأنبياء وبعد أبي بكر الصديق فلم يحدوا عليهم وهكذا مات الصحابة جميعا فلم يحد عليهم التابعون وهكذا مات

أئمة الاسلام وأئمة الهدى من علماء التابعين ومن بعدهم كسعيد بن المسيِّب وعلى بن الحسين زين العابدين وابنه محمد بن على وعمر بن عبد العزيز والزهرى والامام ابي حنيفة وصاحبيه والامام مالك بن أنس والأوزاعى والثورى والامام الشافعى والامام احمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة العلم والهدى فلم يحد عليهم المسلمون ولو كان خيرا لكان السلف الصالح اليه أسبق والخير كله في اتباعهم والشر كله في مخالفتهم وقد دلت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أسلفنا ذكرها على أن ما فعله سلفنا الصالح من ترك الاحداد على غير الأزواج هو الحق والصواب وأن ما يفعله الناس اليوم من الاحداد على الملوك والزعماء امر مخالف للشريعة المطهرة مع ما يترتب عليه من الأضرار الكثيرة وتعطيل المصالح والتشبه باعداء الاسلام وبذلك يعلم أن الواجب على قادة المسلمين وأعيانهم ترك هذا الاحداد والسير على نهج سلفنا الصالح من الصحابة ومن سلك سبيلهم ، والواجب على أهل العلم تنبيه الناس على ذلك واعلامهم به أداء لواجب النصيحة وتعاونا على البر والتقوى ولما أوجب الله سبحانه من النصيحة لله ولكتابه ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولأئمة المسلمين وعامتهم رأيت تحرير هذه الكلمة الموجزة .

وأسأل الله عز وجل أن يوفق قادة المسلمين وعامتهم لكل ما فيه رضاه والتمسك بشريعته والحذر مما خالفها وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا جميعا انه سميع الدعاء قريب الاجابة . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله واصحابه . .

الرئيس العام
لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد
عبد العزيز بن عبد الله بن باز

حكم الاحتفال بالمولد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه ، أما بعد . .

فقد تكرر السؤال من كثير عن حكم الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم والقيام له في أثناء ذلك ، والقاء السلام عليه ، وغير ذلك مما يفعل في الموالد . . والجواب أن يقال : لا يجوز الاحتفال بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا غيره ، لأن ذلك من البدع المحدثة في الدين ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعله ولا خلفاؤه الراشدون ولا غيرهم من الصحابة رضوان الله على الجميع ولا التابعون لهم باحسان في القرون المفضله وهم أعلم الناس بالسنة وأكمل حبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومتابعة لشرعه ممن بعدهم ، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » أى مردود عليه ، وقال في حديث آخر : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » ففي هذين الحديثين تحذير شديد من احداث البدع والعمل بها ، وقد قال الله سبحانه في كتابه المبين « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وقال عز وجل « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » وقال سبحانه « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » وقال تعالى « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا

عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم » وقال تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » والآيات في هذا المعنى كثيرة ، واحداث مثل هذه الموالد يفهم منه أن الله سبحانه لم يكمل الدين لهذه الأمة وأن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يبلغ ما ينبغي للأمة أن تعمل به حتى جاء هؤلاء المتأخرون فأحدثوا في شرع الله ما لم يأذن به الله زاعمين أن ذلك مما يقربهم الى الله ، وهذا بلا شك فيه خطر عظيم واعتراض على الله سبحانه وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، والله سبحانه قد أكمل لعباده الدين وأتم عليهم النعمة ، والرسول صلى الله عليه وسلم قد بلغ البلاغ المبين ولم يترك طريقا يوصل الى الجنة ويباعد من النار الا بينه للأمة كما ثبت في الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بعث الله من نبيٍّ الا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم « رواه مسلم في صحيحه » ومعلوم أن نبينا صلى الله عليه وسلم هو أفضل الأنبياء وخاتمهم وأكملهم بلاغا ونصحا ، فلو كان الاحتفال بالموالد من الدين الذي يرضاه الله سبحانه لَبيَّنَهُ الرسول صلى الله عليه وسلم للأمة أو فعله في حياته أو فعله أصحابه رضي الله عنهم ، فلما لم يقع شيءٌ من ذلك علم أنه ليس من الاسلام في شيءٌ بل هو من المحدثات التى حذر الرسول صلى الله عليه وسلم منها أمته كما تقدم ذكر ذلك في الحديثين السابقين ، وقد جاء في معناهما أحاديث أخر مثل قوله صلى الله عليه وسلم في خطبة الجمعة : « أما بعد : فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلاله » رواه الإمام مسلم في صحيحه ، والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة ، وقد صرح جماعة من العلماء بإنكار الاحتفال بالموالد والتحذير منه عملا بالأدلة المذكورة وغيرها ، وخالف بعض المتأخرين فأجازه اذا لم يشتمل على شيءٌ من المنكرات كالغلو في رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاختلاط النساء بالرجال واستعمال آلات الملاهى وغير ذلك مما ينكره الشرع المطهر ، وظنوا أنه من البدع الحسنة ، والقاعدة الشرعية رد ما تنازع فيه الناس الى كتاب الله سبحانه وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم كما قال الله عز وجل « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم في شيءٌ فردوه الى الله

والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » وقال تعالى : « وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله » وقد رددنا هذه المسألة وهي الاحتفال بالموالد الى كتاب الله سبحانه فوجدناه يأمرنا باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به ويحذرنا عما نهى عنه ويخبرنا بأن الله سبحانه قد أكمل لهذه الأمة دينها ، وليس هذا الاحتفال مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون ليس من الدين الذى أكمله الله لنا وأمرنا باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فيه . وقد رددنا ذلك أيضا الى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم فلم نجد فيها أنه فعله ولا أمر به ولا فعله أصحابه رضي الله عنهم ، فعلمنا بذلك أنه ليس من الدين بل هو من البدع المحدثه ، فاتضح بذلك لكل من له أدنى بصيرة ورغبة في الحق وانصاف في طلبه أن الاحتفال بالموالد ليس من دين الاسلام بل هو من البدع المحدثات التى أمر الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم بتركها والحذر منها ، ولا ينبغي للعاقل أن يغتر بكثرة من يفعله من الناس في سائر الأقطار فان الحق لا يعرف بكثرة الفاعلين وانما يعرف بالأدلة الشرعية كما قال تعالى عن اليهود والنصارى « وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » وقال تعالى « وان تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله » الآية ، ثم ان غالب هذه الاحتفالات بالموالد مع كونها بدعه لا تخلو من اشتمالها على منكرات أخرى كاختلاط النساء بالرجال واستعمال الأغاني والمعازف وشرب المسكرات والمخدرات وغير ذلك من الشرور وقد يقع فيها ، ما هو أعظم من ذلك وهو الشرك الأكبر وذلك بالغلو في رسول الله صلى الله عليه وسلم أو غيره من الأولياء ودعائه والاستغاثة به وطلبه المدد واعتقاد انه يعلم الغيب ونحو ذلك من الأمور الكفرية التى يتعاطاها الكثير من الناس حين احتفالهم بمولد النبي صلى الله عليه وسلم وغيره ممن يسمونهم بالأولياء ، وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إياكم والغلو في الدين فانما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين » وقال عليه الصلاة والسلام : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، انما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » أخرجه البخارى في صحيحه من حديث عمر رضي الله عنه ، ومن العجائب والغرائب أن الكثير من الناس ينشط ويجتهد في حضور هذه الاحتفالات المبتدعه ويدافع عنها ويتخلف عما أوجب عليه من حضور الجمع والجماعات ولا يرفع

بذلك رأسا ولا يرى أنه أتي منكرا عظيما ، ولا شك أن ذلك من ضعف الايمان وقلة البصيرة وكثرة ما ران على القلوب من صنوف الذنوب والمعاصى ، نسأل الله العافية لنا ولكم ولسائر المسلمين ، ومن ذلك أن بعضهم يظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحضر المولد ولهذا يقومون له محيين ومرحبين وهذا من أعظم الباطل وأقبح الجهل ، فان رسول صلى الله عليه وسلم لا يخرج من قبره قبل يوم القيامة ولا يتصل بأحد من الناس ولا يحضر اجتماعاتهم ، بل هو مقيم في قبره الى يوم القيامة وروحه في أعلى عليين عند ربه في دار الكرامه كما قال الله تعالى في سورة المؤمنون : « ثم انكم بعد ذلك لميتون ، ثم انكم يوم القيامة تبعثون » . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أنا أول من ينشق عنه القبر يوم القيامة وأنا أول شافع وأول مشفع » ، عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام ، فهذه الآية الكريمة والحديث الشريف وما جاء في معناهما من الآيات والأحاديث كلها تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الأموات انما يخرجون من قبورهم يوم القيامة ، وهذا أمر مجمع عليه بين علماء المسلمين ليس فيه نزاع بينهم ، فينبغى لكل مسلم التنبه لهذه الأمور والحذر مما أحدثه الجهال وأشباههم من البدع والخرافات التى ما أنزل الله بها من سلطان والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولاقوة الا به .

أما الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي من أفضل القربات ومن الأعمال الصالحات كما قال الله تعالى : « ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرا » وهى مشروعة في جميع الأوقات ومتأكدة في آخر كل صلاة ، بل واجبة عند جمع من أهـــل العلم في التشهد الأخير من كل صلاة وسنة مؤكدة في مواضع كثيرة ، منها ما بعد الأذان ، وعند ذكره عليه الصلاة والسلام ، وفي يوم الجمعة وليلتها كما دلت على ذلك أحاديث كثيرة ، والله المسئول أن يوفقنا وسائر المسلمين للفقه في دينه والثبات عليه وأن يمن على الجميع بلزوم السنة والحذر من البدعة انه جواد كريم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه . . » .

الرئيس العام لادارات
البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد
عبد العزيز بن عبد الله بن باز

من مؤلفات أساتذة الجامعة

منقول

صـــدر حديثا

١ ـ الحق . . وبالحق صدعنا	تأليف فضيلة الشيخ محمود عبد الوهاب فايد
٢ ـ رسائل لم يحملها البريد	فضيلة الشيخ عبد الرؤوف اللبدى ط١
٣ ـ أساليب الغزو الفكرى للعالم الاسلامى	« « الدكتور على جريشه ومحمد شريف ط١
٤ ـ قصص لا تنسى (من تاريخنا)	فضيلة الشيخ محمد المجذوب طبعه ثانيه
٥ ـ مشاهد من حياة الصديق	« « « « « «
٦ ـ قصتان من الماضى	« « « « « «
٦ ـ قصتان من الماضى	« « « « « خامسة
٧ ـ كلمات من القلب	« « « « « أولى
٨ ـ بطل من الصعيد وقصص أخرى	« « « « « «
٩ ـ تأملات في المرأة والمجتمع	« « « « « ثانية

فهرست